دماء على ضفاف السين

الطبعة الأولى
١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

اسم العمل : دماء على ضفاف السين
اسم الكاتب: أحمد كمال
التدقيق اللغوي: ريهام مصطفى
تصميم الغلاف: محمد مجاهد
الإخراج الداخلي: عمر أسامة
رقم الإيداع: ٢٦٩٣٥ / ٢٠٢٤
الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٩٩٩-٨٠-٨

مسار للنشر و التوزيع
شارع ونس - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية - مصر
01020439639
massar.pub1@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، ورقيًا أو إلكترونيًا، سواء بشكل كامل أو جزئي أو عرضه مجانًا عبر أي وسيلة وبأي شكل من الأشكال من دون الحصول على تصريح خطي من دار مسار للنشر.

دماء على ضفاف السين

أحمد كمال

مَسَار
للنشر و التوزيع

إهداء

إلى..

مَن ولدت جسدي وتحمل روحي.. أمي

أكبر الداعمين عقلًا وأكثرهم حبًا.. والدي

السند في الحلوة والمرة محمد هشام الشافعي وحسين علي الكريتي.

حبي لكم طبع بغير تكلف والطبع في الإنسان لا يتغير

إن الدهاء غالب على الدوام، وكثيرًا ما يتحالف معه الشر، فينتصر الشر!

أيلول عام ١٩٣٩: استيقظ هتلر في الخامسة صباحًا يشعر بالملل فقرر ضرب بولندا التي انفصلت عن ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى لتكون شارة البدء للحرب العالمية الثانية.

١٠ أيار عام ١٩٤٠: انتهاء الحرب المزيفة واقتحام غابة أردين على الحدود ما بين فرنسا ولوكسمبرج وبلجيكا.

١٣ أيار عام ١٩٤٠: دخول القوات الألمانية مدينة سيدان.

٢٦ أيار عام ١٩٤٠: الاستيلاء على شمال فرنسا.

٢٨ أيار عام ١٩٤٠: استسلام ملك بلجيكا أمام النازيين وانسحاب الحلفاء ناحية الساحل.

٤ حزيران عام ١٩٤٠: إطباق الحصار على الحلفاء وسقوط دنكرك.

١٠ حزيران عام ١٩٤٠: خروج أهالي باريس إلى الشوارع.

١٥ حزيران ١٩٤٠: إيقاف الخروج وتدمير جسور نوار.

٢٠ حزيران عام ١٩٤٠: إعلان فرنسا الرغبة في الهدنة وشجب تشرشل لهذا الإعلان.

٢٢ حزيران عام ١٩٤٠: توقيع اتفاقية استسلام فرنسا أمام ألمانيا النازية في عربة القطار نفسها التي وقّعت فيها ألمانيا معاهدة استسلامها في الحرب

العالمية الأولى ١٩١٨ أمام فرنسا.. تحقق الانتقام

٢٤ حزيران عام ١٩٤٠: تقسيم فرنسا ما بين هتلر وموسوليني..

من يوم الرابع والعشرين من حزيران حتى انتهاء الحرب سعى النازيون إلى الاستيلاء على الأعمال الفنية في عواصم الفن العالمية التي تتقدمها باريس، كان هتلر يكره الأعمال الفنية الحديثة ويصفها بالمتدنية الوضيعة كما ذكر ذلك في مذكراته التي نشرت فيما بعد باسم "كفاحي"، ثم أمر بجمع جميع الأعمال الفنية التي استولى عليها النازيون في باريس التي تردد عليها أكثر من عشرين مرة في مدّة وجيزة، منها لوحات تعود لبابلو بيكاسو وبيسارو ورامبرنت، فقد كان هتلر رسامًا فاشلًا رفضته مدرسة الفنون الجميلة الألمانية، إلا أن عشقه للفن لازمه حتى تولى قيادة حزب العمال النازي ومنه إلى قيادة ألمانيا، الدمار التام يسيطر على مدينة النور التي لم تكن تحرك ساكنًا سوى من مجنزرات قوات المحور وذباب أزرق يحوم حول أشلاء الضحايا الممزقة وأصابع المصورين تلتقط صورًا لهتلر أمام برج إيفل العريق وهو يمسك بيده برقية تهنئة من ستالين زعيم الجيش الأحمر، قوات المحور تمشّط المدينة وتجمع ما تجمع من الأعمال الفنية والغنائم، يقبع في إحدى غرف القيادة رجل أشقر يرتدي بذلة عسكرية احتلَّ الصليب المعقوف أوسط ذراعها الأيسر يستمع للفنان الفرنسي (موريس شوفالييه) يصيح بصوت جرامفون عثر عليه أحد الجنود، كانت الغرفة تجاور أحد أماكن جمع اللوحات المتعارف عليها، ولج أحد الجنود بلوحة (نهر السين) للفنان الانطباعي (كاميل بيسارو) رآها ذلك

الرجل، استوقف الجندي قائلًا: ما هذه؟

الجندي: إحدى اللوحات سيدي.

الرجل: ضعها هنا.

وضعها الجندي ثم وقف ينتظر أمر الانصراف، أشار له الرجل ثم قام إلى اللوحة يرمقها بإعجاب، أراد أن يجعل منها غنيمة الحرب له فوضعها خلف باب سري لا يعلمه إلا هو، وما إن تسنت له فرصة تهريبها حتى فعل وكانت له الغنيمة..

الشوارع..

اقتربت الأرض من إتمام دورتها حول نفسها واستعد الصبح للتنفس، تسللت بعض أشعة الشمس خِلسة إلى السماء لتقطع خطوط الظلام التي كست بعض الماديات في العراء لتظهر تفاصيلها، أما التي في العمار فقد منعت أشعة الشمس عنها البيوت والمباني المتفرقة في أنحاء المكان ولمعت جزيئات الزجاج المتناثرة بشكل غير مُرتّب لتنعكس على أعين الناظرين من النوافذ والشُرفات، في أحد البيوت المرتفعة عن سطح اليابسة كانت تدور إحدى المعارك اليومية في حرب الزوجية بين ماندي وزوجها سيليون الذي قد تزوجها بعد إعجاب بسيط قد تبادلاه قبلًا، لقد كان الإعجاب في بادئ الأمر بالمظاهر والحديث الرقيق الذي يتفنن فيه الذكور في بدايات العلاقات كما تتفنن الإناث في السذاجة، وإما أن يبقى الحال على ما هو عليه وتستمر الرقة من جانب الرجل أو تستحيل الحياة إلى عراك مقدس تحت مسمى الرباط المقدس، إلا أن الإناث دائمًا ما يحتفظون بسذاجتهم فإن كان الرجل قاسيًا في المعاملة يكفيه هدية تذكارية تخلّد جحيمهما المؤبد حتى ترضى عنه أنثاه، ثم يعود لقسوته، وسرعان ما استغل سيليون هذا الإعجاب حتى تزوجها وفقد رقته فبدأ العراك...

دخل المنزل وجلس بلا أدنى كلمة حتى خرجت إليه ماندي التي شغل قلبها رجل آخر، لكنها لا تستطيع التخلص من زوجها فقررت أن تحوّل

حياته إلى ضنك حتى تحصل على حريتها، افتتحت ماندي الحديث قائلة: أين كنت؟

سيليون: ليس من شأنك.

ماندي: إن لم يكن شأني فشأن مَن؟! أين كنت ليلة البارحة؟

سيليون: أغربي عن وجهي كي لا أحطمه.

كان سيليون قد اعتاد على ضربها من حين لآخر وقتما يحلُ له، همّت ماندي باستئناف الحديث فقام إليها وأمسك برأسها ثم انهال عليها ضربًا حتى شهقت من كثرة البكاء وهو يقول: أنتِ هنا لستِ أكثر من أمة قد اشتريتها بمالي، إذا تدخلتِ في شيءوني مرة أخرى ستلقي هذا المصير نفسه، تكومت ماندي في زاوية من المنزل شاهقة من الصياح، ثم ختمت حديثها بقولها الخافت: أقسم أنني سأقتلك، أقسم أنك ستموت قتيلًا يا سيليون...

انطفأ بريق بعض الجزيئات لما حجب عنها النور ظل تجاوز ثلاثة أمتار من انخفاض زاوية سقوط النور على جسد رجل يرتدي سترة رمادية تجاوزت حد الفخامة وقبعة سوداء تحجب الرؤية عن وجهه من الأعلى وحذاء صلب حطّم الجزيئات الكبيرة من الزجاج الذي عاقب الرجل بصوت أصابه بالقشعريرة، تعامدت يده على جانبه حيث ارتكز كوعه على جانبه الأيمن ليصنع قضيبًا يكسوه قماش من القطن ترتكز عليه بومة كبيرة تغرز مخالبها فيه، لا يتحرك منها شيء كأنها تمثال صنعه فنان مبدع، راح حتى أدرك أحد البيوت ووقف أسفله، نظر لأعلى ليتأكد أن الشرفة خالية من البشر ثم نظر

إلى البومة وربت على ظهرها فانتبهت، ثم رفع يده الأخرى مشيرًا إلى الشرفة فضغطت البومة على يده ضغطة خفيفة ومدّت أجنحتها استعدادًا للطيران، مرّت أجزاء من الثانية أعقبها تحليقها في الهواء قاصدة الشرفة، عرجت إلى أن استقرت على سور الشرفة ودارت رأسها دورة كاملة بشكل بطيء، ثم نزلت إلى يد الرجل ووقفت وقفتها الأولى، راح الرجل مرورًا بالشوارع وفعل ما فعله أمام الشرفة في بعض الشوارع الأخرى، في المرة السادسة من تكرار ذلك الفعل أمام آخر شرفة قصدها الرجل، خرج القاطن لما أبصر البومة ونظر إلى حيث نزلت، رأى الرجل فصاح قائلًا: ماذا تريد يا هذا؟

سكت صاحب البومة قليلًا ثم رد دون أن ينظر إليه قائلًا: لا تكن عجولًا، ستأتي إليَّ بنفسك قريبًا، كان سيليون قد خلد إلى النوم حينما وصل الرجل ببومته إلى أسفل منزله وماندي ما زالت في زاويتها تبكي، كانت الزاوية تجاور النافذة التي عرجت إليها البومة ووقفت على عكس البيوت السابقة فقد كانت تحفظ أماكنها وتهبط إلى يد الرجل، قامت ماندي بحذر إلى النافذة حتى أبصرت البومة، لحظة أن أبصرتها هبطت البومة إلى يد الرجل الذي كان ينظر لأعلى باتجاه النافذة، تحققت من وجهه حتى أدركت أنه حبيبها الذي شغل قلبها مؤخرًا، خفّت إلى الباب تفتحه ثم نزلت إلى الطريق بسرعة زادها الشوق والحزن من مُصابها، أبصرت الرجل قد ابتعد قليلًا عن المنزل ثم خفّت إليه تنبهه، لما انتبه عانقته عناقًا حارًا أكثر دموعها من حرارته وزادت من ضمتها له، فرغا من عناقهما ثم وضع يده برفق على منكبها يهدئها ثم قال: ماذا حدث؟!

مانديي: الذي يحدث كل ليلة وكل يوم، اعتدى عليَّ بالضرب حتى شهقْت من البكاء.

رد الرجل غاضبًا: لقد هممت أن أعرج إلى منزلك فأهشّم رأس هذا الرجل.

مانديي: ما الأمر؟ ولماذا أتيت إلى هنا وما شأن هذه البومة؟!

الرجل: هذه بومة قد أعددتها لتكون بومة مراسلة فقد جهزت لأمر كبير.

أصاب مانديي الفضول فاستأنف: حدثت معي أمور مؤخرًا لا يتسع الوقت لذكرها، لم يكن الأمر في بادئه يخصك لكني قررت أن أدرجك على قائمة المشاركين

مانديي: ما الأمر؟

الرجل: غدًا عندما يروح هذا الأبله من المنزل ستأتين إليَّ حتى أخبركِ به، وبعض التدريبات على استخدام السلاح سأعلمكِ إياها، لا تنسي ميعادنا وأعدك أنني سأخلصك من هذا الجحيم...

أومأت برأسها إيجابًا، ثم عانقها و راح.

الواحدة صباحًا

***

أتمت الساعة دقتها الواحدة معلنة عن انتهاء أول ساعة من آذار وبدأ

الجليد في الانصهار واستعدت الأزهار للتفتح والشجر لاستعادة أوراقه الخضراء النضرة، ما زال جاد وسيرون متواجدين في مقر الشركة ينهون عملهم بصحبة بعض موظفي الدوام الليلي يستعدون لإتمام صفقه ما، استأذن سيرون أن يخرج من مقر الاجتماع فأذن له جاد، كان سيرون هو المدير المالي لتلك الشركة التي يملكها جاد منذ خمسة عشر سنة لخبرته الواسعة في سلك المال والأعمال، خرج إلى غرفة مغلقة فافتتحها ليبصر مكتبًا كسته الأوراق والمستندات يجاوره هاتف أرضي، رفع السماعة وأخرج رقمًا من جيبه وحرره.

بضع ثوان مرت قبل أن يرد الآخر قائلًا: سيد سيرون؟

سيرون: نعم، أين أنتم؟

الرجل: نحن في طريق العاصمة القديمة ننتظر الأوامر.

سيرون: حسنًا، انطلق الآن.

***

أغلق الرجل الهاتف وأشار إلى آخرين اتبعوه قاصدين العاصمة وتحديدًا شرقها حيث يقبع أكبر مخازن الأقمشة لشركة جاد ومصنعه، أدركوا المخزن وكانوا أحد العاملين به فلم يسألهم أحد عن وجهتهم أو نيتهم، أشعل أحدهم لفافة تبغ وتصنع الآخرون انشغالهم ببعض الأعمال حتى انتهت لفافة التبغ، فألقى شاربها نظره على المخزن الذي وضع أحدهم به مقدارًا قليلًا من أحد

مشتقات البِترول، ثم ألقى اللفافة حيث وضع رفيقه المشتق فاشتعلت نيران صغيرة أعقبها عودة الرجال إلى مقر الشركة إلا شارب اللفافة بقي ظنًا منه أنها وسيلة لتجنب الشبهات.

مرّ حين من الدهر يكفي أن تتمكن النار من أركان المخزن فزعم شارب اللفافة أن رائحة احتراق أنسجة قد احتلت أنفه بشدة تبعه باقي العمال، هرعوا إلى داخل المخزن ليجدوا نارًا عظيمه قد تداعت على ما احتوى من أقمشة وأسلاك كهربائية معزولة وأخشاب صُنعت منها طوابق توضع فيها أصناف الأقمشة فأتت عليهم جميعًا، اتشحت الجدران بالسواد الحالك وانصهر عزل الأسلاك حتى التمست فأصدرت وميضًا شديدًا أعقبه صوت مقتضب قطع الكهرباء عن أرجاء المخزن بأسره، فزع العمال من هول النيران وخفّ أحدهم إلى الهاتف يستدعي المطافئ التي حضرت تصطحبها الشرطة إلى حيث الحريق، جمع أفراد الشرطة العمال وهمّ رجال المطافئ بالحريق، بضع ساعات مرّت قبل الانتهاء منه ثم فتح الضابط تحقيقًا مع العمال وأبلغ جاد بالأمر.

***

استمر التحقيق حتى حضر جاد فزعًا يسأل الضابط بقوله: ما الذي حدث؟

الضابط: لقد احترق المخزن بأكمله ولم تحدث أية خسائر في الأرواح إلا أن جميع الأشياء في المخزن قد احترقت

وضع جاد راحته على رأسه من هول الخطب، ثم نظر إلى العمال يصيح في غضب: أيها المهملون الفشلة، ماذا كنتم تصنعون وقت الحريق؟! أقسم أنني سوف أحاكمكم جميعًا.

همّ بضرب أحدهم فاستوقفه الضابط قائلًا: اهدأ سيد جاد حتى يعود إليك حقك.

جاد: كيف أهدأ وقد خسرت أكبر المخازن لديَّ.

الضابط: لا تقلق، سنعيد لكل ذي حق حقه.

تراجع جاد ووقف بجانب الضابط الذي استأنف: فيمن تشتبه في ذلك الحدث؟

أشار جاد إلى العمال قائلًا: أشتبه فيهم جميعًا ما بين مهمل وبين صانع الحريق بيديه.

استدعى الضابط جنديًا وأمره أن يجمعهم ويتجه إلى القسم من بينهم شارب اللفافة، فركبوا جميعًا سيارة الترحيلات وبقى الضابط ومحقق ولجوا إلى المخزن يتفقدونه، كتبوا ملاحظاتهم وأفاد المحقق أن الحريق نتج عن شعلة صغيرة انتشرت بسرعة فائقة نظرًا لما يحتويه المخزن من مواد سريعة الاشتعال وليس من ماس كهربائي، أخذ الضابط تقرير المحقق ثم صرفه وعاد إلى القسم ليبدأ تحقيقه، ولج يحييه الجنود والضباط حتى أدرك مكتبه فجلس مستدعيًا أحد الجنود وأمره أن يحضر العمال، بضع دقائق مرت قبل أن يدخل

بهم الجندي وانصرف، وقف الضابط وأشعل لفافة تبغ يرمقهم جميعًا بتحفز شديد وقد بدا له أن الأمر لن ينتهي سريعًا لكثرة عددهم وعلاقتهم الطيبة ببعض، إذًا لن يفلح الاستدلال على أحدهم بالآخر، تنحنح قائلًا: حسنًا، من الذي كان بداخل المخزن عند الواحدة والنصف؟

ردوا في صوت واحد: جميعنا.

الضابط: أودّ أن أخبركم أن المتستر على جريمة يأخذ عقاب الفاعل الأصلي، يمكنني أن أحبسكم جميعًا معتبرًا أنكم شركاء في الجريمة، أرى أن التعاون أفضل لكم.

تغيرت ملامح العمال حتى بدا للضابط أن تهديده أصبح مجديًا معهم فقرر الاستمرار، إلا أنه لم يكن يعلم أنه لا أحد منهم يعلم بحق من الذي فعل ذلك، إنما تكهنات تراودهم قد تصيب أحدهم مظلومًا فيندم المتكهن على ظلمه فصمتوا...

رمق الضابط أولهم قائلًا: منذ متى وأنت تعمل بالمخزن؟

العامل: منذ خمس سنوات.

الضابط: ومن آخر من أتى للعمل به؟

العامل: لا أعلم، فقد أتى الكثير ورحل الكثير.

الضابط: أقصد من أتى ولم يرحل.

صمت العامل قليلًا ثم قال: لا أعلم.

اقترب الضابط منه ثم همس في أذنه يقول: أقسم أنني قد أُفرج عنهم جميعًا وتتحمل أنت كافة التهم والشبهات، ما رأيك في ذلك؟

كان ذلك العامل هو من ألقى لفافة التبغ في المخزن وأكبر العمال سنًا وأقدمهم فكان أبعدهم عن الشبهات.. تنحنح ثم همس للضابط: آخر من جاء المخزن هو الرجل الذي يتوسط الصف.

تركه الضابط وراح للأخير قائلًا: هل تدخن؟

العامل: نعم.

أومأ الضابط إيجابًا ثم أمر بهم فعادوا إلى الحجز إلا أقدمهم الذي واصل معه التحقيق فلم يُجْد معه نفعًا، لا دلائل تدينه ولا دلائل تدين الآخر.

قرر إعادته إلى الحجز لحين تجلّي الحقيقة ثم جلس ليباشر أعماله اليومية، كان جاد قد عاد إلى مقر شركته وجلس بشرود يبحث عن أمثل الحلول، استدعى نائبه الذي كانت عطلته ذلك اليوم فحضر سريعًا قلقًا يقول: خيرًا سيدي؟!

جاد: ليس خيرًا، لقد احترق مخزن العاصمة بالكامل.

النائب فزعًا: يا إلهي، كيف حدث ذلك؟!

جاد: هذا لا يهم الآن، ماذا سنصنع في تلك النائِبة؟

قام النائب يجول أنحاء المكتب يفكر ثم قال: هل علمت الشرطة بالأمر؟

جاد: وماذا يفيد ذلك؟! نعم لقد علمت واعتقلت جميع العمال، ماذا سنصنع فيما فقدنا؟

النائب: لا حل سوى شراء مواد أخرى، ولكن في مكان أكثر تحصينًا وعمال أكثر أمانة.

لم يرد جاد فأستأنف: أرى أن يُسرح جميع العمال في المصنع وإغلاقه لحين تعيين عمال جدد وشراء مواد جديدة.

جاد: هذا ليس حلًا صائبًا فكما تعلم أن التزامات المصنع كثيرة وعليها شروط جزائية قاتلة.

ساد الصمت حينًا ثم استأنف: أعلم أن الميزانية لا تسمح الآن بشراء مواد بحجم المفقودة، لكن هذا هو الحل الوحيد.

النائب: وماذا سنفعل في شأن العمال؟

جاد: أرى أن نبقى عليهم، ثم نسرحهم بالتدريج بعد إعلان عن حاجة المصنع إلى عمال نختار منهم من نتوسم فيه الأمانة وجدية العمل.

النائب: حسنًا.

جاد: اجمع لي جميع المسئولين بالشركة صباح اليوم حتى نتدبر الأمر معًا.

***

أومأ الأول برأسه إيجابًا وقاموا إلى منازلهم، توقفت الحركة بالمصنع

ومعظم أنحاء الأرض إلا أن الشمس لم تتوقف واستكملت الأرض دورانها حتى غزت الشمس جنبات الليل متسلّمة منه زمام السماء وعادت الحركة تدب على البسيطة، حضر جاد إلى المصنع واجتمع المسئولون ينتظرونه بما فيهم سيرون الذي كان السعيد الوحيد ليلة البارحة، ولج جاد مقر الاجتماع تحوطه نظرات الموظفين المترقبة للقرار الذي سيصدره هذا المجلس حيث لا يجتمع إلا قليلًا، وقف المسئولون يحيوه ثم جلس وأجلسهم فقال: يؤسفني أن أخبركم أن مخزن العاصمة قد احترق عن آخره، وبما أن التزامات المصنع كثيرة فقد رأينا أن نشتري مواد أخرى سأضطر أن أتم ثمنها من أموالي الخاصة لعدم كفاية ميزانية المصنع، غدًا سنبدأ في تلك الإجراءات حتى أستطيع تجهيز الأموال، وقد قررت الاستغناء عن جميع العمال تدريجيًا بعد الإعلان عن حاجة المصنع لآخرين وفتحت الشرطة تحقيقًا حول مرتكب الحادث.

***

أومأ الجميع برأسهم إيجابًا فأمرهم بالانصراف ولم يكن يرى أن للمخطط بقية صنعها سيرون حيث سيسرق الأموال المرصودة للمواد الجديدة ويمضي في طريقه هاربًا.

العاشرة صباحًا..

تناوبت مطرقة صغيرة تخص المنبه دقًّا على قطعتي المعدن المجاورين لها تصدر صوتًا رنانًا يصيب النائم بالفزع حتى يستيقظ، كان النائم هو نيرو ذو الخمس وأربعين خريفًا، متوسط القامة ذو رأس كبير قد اتسم بوسام رجال الأعمال التقليدي من البذلة الفاخرة مختلفة الألوان والسيجار الكوبي الثخين والبطن المتدلية يحتويها قميص قد دُس في سروال البذلة المحكم بحزام جلدي لن يتشقق أبدًا، إلا أن رداء نومه كان فقط الرداء الداخلي وما استتر خلف البذلة، تعاقبت موجات الصوت على آذانه حتى انتفض من نومه مستفيقًا، اعتاد أن يضع المنبه بعيدًا عن متناول يده في وضع السُبات حيث كان يوقفه ويعود للنوم، تحامل على جسده قائمًا إلى الطاولة التي يعلوها المنبه حيث كانت تقبع آخر الغرفة ليسكت ضجيجه ثم عاد إلى خزانة ملابسه، أخرج البذلة المختارة لهذا اليوم ثم إلى المرحاض يستفيق من غياهب السبات

***

كسا ردائه الداخلي بالبذلة ثم نزل إلى الطريق يقصد سيارة كانت تنتظره منذ ساعة كما يأمر سائقها، وما إن استقلها حتى ظهر أربع رجال أشدّاء من العدم قد ركبوا سيارة أخرى تتقدمهم، انطلقا قاصدين مقر إدارة شركات نيرو الكثيرة في حين استخرج صحيفة من جورب قماشي يجاوره يتصفح أخبار المال والأعمال في البلاد، ما بين منزله والمقر طريق صحراوي متوسط

الطول يمر عليه كل يوم بهدوء، إلا أن القدر قد أذن للفوضى والدمار أن يحلا محل الهدوء هذا اليوم.

***

خطف بصره من أحد السطور صوت ناقلة ضخمة ظهرت من العدم وقد ضغط سائقها المكابح حتى تآكلت طبقة من المطاط نتيجة احتكاكه بالطريق في حين لم يفلح سائق المرسيدس التي يستقلها نيرو في إيقافها فتحولت قوة دفعها إلى قوة مدمرة أطبقت مقدمة السيارة على مؤخرتها وانقلبت سيارة الحراس إثر انحرافها عن الطريق، انفصل رأس السائق مستقرًا في مؤخرتها مجاورًا لنيرو وتقطع لحم الأخير فاقدًا للوعي، ظل الطريق على ذلك الحال حتى استفاق أحد الحراس وقام إلى سيارة نيرو يتفقده، أدرك قطرات دماء على الأرض لطخت حذاءه قبل أن يدرك السيارة ليبصر رأس السائق ينظر بعين شاخصة إلى نيرو الذي فقد معظم دمائه من كثرة الأوعية الدموية التي تقطعت منه، تركه وراح إلى وسط الطريق يستوقف المارة ليسعفوه فتوقفت ثلاث سيارات همّ سائق الأولى أن ينقل نيرو إلى المشفى الأقرب للطريق وحضرت رافعة أقلّت حطام السيارة بمن فيها، عاد الحارس إلى سيارة الحرس فوجد أقرانه قد استفاقوا إلا أنهم لا يستطيعون الخروج وقد لحقتهم كدمات وزعت عليهم بالتساوي.

***

ظل يدفع باب السيارة الخلفي ويجذبه حتى أخرجهم في حين حضرت

الشرطة والإسعاف فأقلت منهم من لم يستطع السير على أقدامه وراح الباقون إلى مقر العمل وما إن وصلوا حتى ذاع خبر الحادثة في أرجاء المقر، ولج أحدهم مكتب (بنجامين) شقيق نيرو الصغير ومعاونه في العمل، قصير القامة فقد عينه اليسرى في الحرب يتمتع بدهاء شديد كما كانت شدة حقده على نيرو وتمنيه لموته حتى يحل محله في أمور العمل، أبصر وجه الحارس وقد ذهبت منه الدماء من الخوف وأثر الحادثة ثم قال: ماذا حدث؟

الحارس: أمر خطير، لقد اصطدمت سيارة السيد نيرو بشاحنة ضخمة على الطريق راح ضحيتها السائق والسيد نيرو في المشفى بحالة حرجة.

انتفض بنجامين من مَقْعَده مذهولًا، ثم قال: كيف هذا؟! وأين هو الآن؟!

الحارس: في مشفى الطوارئ على الطريق أظن ذلك.

تصنّع بنجامين الغضب، ثم قال: أغرب عن وجهي.

خرج الحارس وأراح بنجامين ظهره على مَقْعَده وأشعل لفافة تبغ يدبر لأمر بدا له جيدًا، من المحتمل أن ينجو نيرو من تلك الحادثة وتضيع عليه فرصة التسلط والسطوة على أملاكه، أسعفه دهاؤه بخطة تعتمد على أثمان الضمائر الزهيدة، ظل أكثر من نصف الساعة يحكمها ثم يعاود إحكامها حتى اكتملت أركانها فقام متجهًا إلى المشفى، راح في طريقه حتى أدركه فولج يسأل عن غرفة نيرو فقيل له إنها العناية المركزة فاتجه لها وهمّ بالدخول، فاستوقفه الطبيب بقوله: ممنوع الدخول.

بنجامين: هذا أخي أريد الاطمئنان عليه.

الطبيب: حالته الصحية لا تسمح سيدي، انتظر يومًا أو يومين.

بنجامين: حسنًا.

***

استند على الجدار ثم رمقه مستأنفًا: كم تملك من الأولاد؟

الطبيب: ثلاث أطفال إحداهم أنثى.

بنجامين: هل تمانع أن نتحدث قليلًا؟

نظر الطبيب إلى ساعته قائلًا: ولكن سريعًا فلديَّ عمل بعد قليل.

بنجامين: حسنًا، تفضل في استراحة المشفى.

نزل بنجامين على الدرج يتبعه الطبيب حتى أدركوا مَقْعَدين فارغين فجلسا، وقال الطبيب: ماذا تريد؟

بنجامين: أريد المساعدة.

إبتسم الطبيب قائلًا: يبدو الوضع أنك من تحتاج المساعدة.

بنجامين: في الواقع نعم، وأريد أن ينابك من المنفعة جانب.

الطبيب: كيف ذلك؟

بنجامين: أريد أن أخرج أخي من المشفى.

الطبيب: كيف ذلك وهو ما زال في العناية المركزة؟

بنجامين: أمر بسيط، نستبدله بآخر وكأن شيئًا لم يكن.

اعتدل الطبيب في جلسته ورمقه بحدة يقول: أتريد أن تعطيني رشوة؟!

بنجامين: ولماذا تسميها رشوة، دعنا نسميها صفقة أو مصلحة متبادلة.

الطبيب: أغرب عن وجهي وإلا استدعيت لك الشرطة.

بنجامين: سأدفع لك عشرون ألف دولار.

صمت الطبيب قليلًا يفكر ثم استأنف الأول: بدا على وجهك أمارات الرضا، لذا سأجعلها ثلاثون.

الطبيب: وكيف سنفعل ذلك؟

بنجامين: سنحضر رجلًا ميتًا يدعى نيرو ونضعه في العناية ونبدل التقارير وانتهى الأمر، وسأتكفل بأمر إخراجه من المشفى وإحضار الآخر وستكتب تقريرًا يفيد بوفاة أخي حتى ينتهي الأمر تمامًا.

الطبيب: ومتى سيتم ذلك؟

بنجامين: ستكون ليلة، سأنظر أي من الليالي المقبلة هي الأنسب وأخبرك.

***

صمت الطبيب وقام بنجامين يحييه ثم انصرف مبتسمًا من زُهد المال في الضمائر فأصبح يضمن ولاءها، عاد الطبيب الفقير إلى عمله وقد سبقه

عقله إلى غياب الشمس وما سيعقبه من أمر أفقد قسمه قيمته وشرفه، نادى بنجامين أحد حراسه وهو جالس يكتب خطابًا ثم قال له: الليلة ستختطفون ولد نيرو من امرأته القديمة وتضعون ذلك الخطاب على فراشه.

أومأ الحارس إيجابًا وراح إلى حيث يمضي وعاد بنجامين إلى مقر عمله يذيع نبأ وفاة نيرو وأنه سيخبرهم بموعد العزاء قريبًا.

***

قطع عقرب الساعات أشواطًا طوالًا حتى جاوز موعد الغروب يوم الاتفاق وانصرف الموظفون إلى منازلهم حيث فرغ المقر إلا من بنجامين ورجاله والأمن الليلي فطلب سيارة إسعاف موجهًا إياها إلى المشفى، ثم اصطحب رجاله إلى هناك وكانوا قد أحضروا الجثة التي ستحل محل نيرو فوضعوها بحقيبة السيارة، ثم راحوا إلى المشفى وولج بالجثة التي ما زالت تنازع اثنين منهم كأنما يطلبون النجدة في حين ولج بنجامين العناية بصحبة الطبيب واثنين آخرين وأخرجوا نيرو على ناقلة وسط انشغال المسعفين بالجثة الذين أخبروهم أنه سيقبع بالعناية المركزة كما أمر الطبيب وتظاهر محضروه بالجزع والحزن.

***

وضع بنجامين نيرو داخل سيارة الإسعاف وقد استُبدلت أوراق نيرو بالآخر بخفة يد محترفة، غادرت سيارة الإسعاف المشفى تقصد مشفى آخر كما ظن سائقها فرفع بنجامين سلاحه وصوّبه نحو السائق قائلًا: انعطف

يسارًا

فزع المسعف لذلك وامتثل لأمره سريعًا حيث راح إلى أن أوقفه الأول ونزل مُخرجًا نيرو الذي قد أوشك على التعافي وقيّده في فراشه، ثم قيّد السائق ووضعه بسرداب كان حيث توقفوا ثم أمر بنيرو فذهب به الرجل وأودعوه منزلًا فارغًا بعد تخديره، ثم لصق أحدهم ورقة على جداره وانصرفوا.

ولج السائق السرداب ليبصر بداخله شاب طويل الشعر مُقيّد على أحد الصواري بجانب الجدار، كان ذلك ولد نيرو الوحيد...

الثالثة عصرًا ..

تعرجت موجات هوائية متتابعة لما عبرت فوق أزرّة خزانة إبرام التي حوت من الأموال ما إن يفتحها حتى تسقط أرضًا من تدافعها لكثرتها، كانت تقبع في طابق أرضي لا يعلم بوجوده سواه فقد صنعه بنفسه يعلوه بيته الفخم الذي يدل على وجود مثل هذه الخزانة المكتظة من أثاثه الفاخر واتساعه الهائل، كان راقدًا على فراشه ينهي آخر دقائق سباته حتى سأم المنبه منه فصاح بأعلى صوته ليوقظه فقام إبرام متثاقلًا إلى المرحاض يزيل أثر النوم، ثم وضع غلاية المياه على النار ليجهز كوب الشاي الصباحي المقدس، تحطمت روابط المياه حتى غلت فصب الكوب وأضاف إليه قدرًا من اللبن ثم أشعل لفافة تبغ لترافق الكوب، راح إلى الفِنَاء وجلس يستعدل مزاجه ثم رفع سماعة الهاتف، كان قد رتب صفقة ليلة البارحة مع أخيل، أثرى أثرياء عاشقي الآثار واقتنائها في تمام الساعة الرابعة عصر ذلك اليوم، حرر رقم منزله فأمهلت الصافرة أخيل نصف دقيقة حتى اقترب من الهاتف رافعًا سماعته، ثم قال: مساء الخير.

إبرام: مساء الخير سيدي، إبرام يتحدث معك.

أخيل: أهلًا بك سيد إبرام.

إبرام: أين ستكون عند الرابعة؟

أخيل: أظن أنني سأذهب إلى المصنع، ثم أعود عند الخامسة.

إبرام: إذًا سآتي إلى المنزل عند الخامسة ومعي لك قطعة فنية نادرة أثق أنها ستحوز إعجابك.

أخيل: جيد، سأكون بانتظارك.

إبرام: حسنًا، وداعًا.

أغلق الخط ثم نظر من نافذة منزله يأمر السائق أن يستدعي رجاله ففعل، قام إلى خزانة ملابسه واعتطف سترة رمادية فوق سروال أسود وساعة يد تجاوز ثمنها ثمن السترة ثم نزل إلى الطريق يقصد سيارته، استقلها ثم أشعل لفافة تبغ شاردًا يعيد إحكام خطته التي رتبها منذ ليل البارحة وأبلغ بها رجاله، كان إبرام أحد تجار الآثار والسماسرة الذين ظهروا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية يعاون رجلًا يدعى أغسطس ذو الأربعين ربيعًا وكان ذو صيت كبير في أوساط التجارة الممنوعة وهواتها من أصحاب الأموال الطائلة، حضر الرجال بسيارة أخرى ثم اصطحبوه إلى منزل أغسطس حتى يأخذ اللوحة التي سيبيعها لأخيل، أدركوا منزله وفتح لهم الحارس بوابته فولجوا صافّين سياراتهم حذاء الحديقة، ثم نزلوا يستقبلهم ولد أغسطس الذي أشركه والده في تجارته منذ أتم الخمس عشرة سنة، مَدّ يده مسلّمًا على إبرام قائلًا: أهلًا بك سيد إبرام، تفضل.

راحوا قاصدين الفِنَاء فقال الأخير: أين والدك؟

ابن أغسطس: راح لقضاء حاجة ما لكنه ترك معي ما تريد.

أومأ برأسه إيجابًا حتى أدركوا الفِنَاء فأجلسهم الأخير وأمر لإبرام بقهوة وله بكأس النبيذ الذي يحتسيه كما يحتسي الماء أو أكثر، حضرت المشروبات ثم رمق ابن أغسطس إبرام قائلًا: متى حددتم الموعد؟

إبرام: عند الخامسة.

ابن أغسطس: أمرني والدي أن أذهب معكم.

تعجب إبرام لذلك إلا أنه لم يعترض، أدرك عقرب الساعات الرابعة وأدرك عقرب الدقائق زيادة نصف فقاموا إلى سياراتهم إلا واحدًا من رجال إبرام تظاهر بالذهاب إلى المرحاض وجلْب اللوحة فولج الغرفة الشخصية لأغسطس ولحظ الجدران حتى أدرك مراده. لوحة "نهر السين" لبيسارو، رمقها بإعجاب شديد ثم خلعها من على الجدار ووضعها بصندوق كان بحوزته وأرفقها بالتي أعطاها أغسطس لولده، ثم خرج إلى السيارة وراحوا قاصدين منزل أخيل، التفت إبرام خلفه إلى حيث يجلس ابن أغسطس قائلًا: هل ستحضر معنا إتمام الصفقة؟

ابن أغسطس: أودّ ذلك.

أومأ الأول إيجابًا ثم أخرج زجاجة نبيذ قد احتفظ بها لعلمه بإدمان ولد أغسطس له، ثم أخرج حبة من عقار تستطيع أن توقع أي شخص في السبات مدة لا تقل عن ثلاث ساعات وصبّ له كأسًا غاصت فيه الحبّة، ارتشفه الآخر

على جرعتين وراح العقّار في غياهب جوفه وبدأ عمله، بعد مرور بضع دقائق شعر بدوار شديد حاول التخلص منه فلم يفلح واستسلم له حتى غاب عن الوعي، كان إبرام قد اتفق مع رجاله على تلك الخطوات والتفاصيل حيث وعدهم بضعف مكسبهم إذا تم مراده ففعلوا وأطاعوه، أراح أحدهم رأس ولد أغسطس على مَقْعَده وربط حزام السيارة المجاور له عليه وراحوا في طريقهم حتى أدركوا منزل أخيل، صفّوا سياراتهم خارجًا حتى لا يلاحظ الأول وجود الولد غائبًا عن الوعي، ثم افتتحوا البوابة قاصدين الفِنَاء حين استقبلهم المعاون الشخصي لأخيل، أدركوا الفِنَاء فأخبرهم بحضوره خلال ثوان، ثم راح يحضر لهم شيئًا يشربونه، حضر أخيل فقاموا إليه مسلّمين ثم جلس وأجلسهم قائلًا: أهلًا بكم يا سادة.

إبرام: أهلًا بك سيد أخيل، كيف حالك؟

أخيل: بحالة جيدة، بدأت أولى خطوات الترشيح لمجلس النواب.

إبرام: هذا خبر جيد، أنا واثق من نجاحك.

أخيل: أتمنى ذلك.

أشار إبرام إلى أحدهم فراح إلى السيارة يجلب الصندوق وعاد واضعًا إياه أدنى مَقْعَد إبرام، فتحه وأخرج اللوحة الأولى قائلًا: إليك ما اتفقنا عليه.

التقطها أخيل ورمقها يتفحصها ثم أشار لأحدهم الذي أحضر حقيبة تزاحمت فيها أوراق من الدولارات فاستدركه إبرام بقوله: انتظر حتى ترى

ما أحضرت ثانيًا.

رمقه أخيل يترقب وهو يخرج لوحة نهر السين، ثم أعطاها له قائلًا: ما رأيك في هذا؟

تفحصها أخيل حتى اتسعت عيناه دهشة يقول: أهذه لوحة نهر السين لكاميل بيسارو؟

إبرام: نعم.

أخيل متعجبًا: من أين أتيت بتلك التحفة الفنية؟

أراح إبرام ظهره بثقة قائلًا: أستطيع أن أحضر لك أي شيء تريده.

وضع أخيل اللوحة جانبًا، ثم قال: إذًا كم تريد الآن؟

إبرام: كم كنت ستدفع في الأولى؟

أخيل: ألف ألف دولار حسب اتفاقنا.

إبرام: إذًا ثلاث أضعاف ما كنت ستدفع وينتهي الأمر.

لم يتردد أخيل حين أشار لأحدهم وأمره أن يحضر له ما يريد، راح الرجل وعاد بحقيبة كانت ضعف حجم الأولى وأعطاها لإبرام الذي فتحها يتفقدها، ثم أعطاها لأحد رجاله ثم قال: إليك اللوحتين.

ابتسم أخيل الابتسامة الدبلوماسية المعتادة بعد إتمام الصفقات، ثم قام مسلّمًا على إبرام وانصرف الأخير إلى سيارته بصحبة رجاله وما زال ولد

أغسطس غارقًا في سباته، راحوا حتى أدركوا متجرًا يحوي هاتفًا فاستوقفهم إبرام ونزل إليه ثم حرر رقم هاتف منزله، لم يرد أحد في الأولى ثم رد في الثانية رجل يقول: مساء الخير.

إبرام: مساء الخير، صاحب المنزل يحدثك.

الرجل: أهلًا سيدي، هل حدث شيء؟

إبرام: لا شيء، أردت فقط أن أطمئن على وصولك.

الرجل: شكرًا.

إبرام: وداعًا.

***

عاد إلى سيارته وانطلقوا إلى بيت أغسطس حتى أدركوه وأخرجوا ولده من السيارة ووضعوه حيث كان جالسًا وقت حضورهم إلى المنزل سابقًا ورحلوا، أمرهم إبرام أن يتخفوا عن الأنظار حينًا لأن أغسطس سيكتشف حتمًا أمرهم وسيبحث عنهم وعندما يمل البحث سيتواصل معهم لأعمال أخرى مع تاجر آخر، توقفت السيارات عند نقطة ما وراح كل في سبيل الاختفاء، انتصفت الساعة بعد الثامنة حين دخل أغسطس البيت وكان المنوم قد فرغ من تأثيره واستكمل النائم نصف ساعة في السبات من عنده، تعجب أغسطس من نومه بتلك الهيئة في الفِنَاء فأوقظه قائلًا: ما الذي حدث، لماذا تنام في الفِنَاء هكذا؟

ظل ولده يرمق ما يحيطه كأنما يتعجب من وجوده بمنزله، فاستدركه الأول بقوله: هل تمت الصفقة؟

الولد: لا أذكر شيئًا غير أنني كنت في السيارة بصحبة إبرام، ثم استيقظت لأجد نفسي نائمًا في المنزل.

أغسطس: كيف ذلك؟!

الولد: لا أعلم، صمت حينًا ثم قال: تذكرت شيئًا.. أعطاني إبرام كأسًا من النبيذ فتجرعته، ثم شعرت بدوار شديد فقدْت على أثره الوعي، ثم وجدت نفسي هنا.

تركه الأول وطفق يركض في أركان المنزل كالمسوس يتفقده حتى أدرك ضياع اللوحة، عاد إليه قائلًا: كيف تركتهم يأخذون اللوحة؟

اتسعت عيناه دهشه ثم قال: لم أرَ أحدًا يأخذها.

صمت الجميع حين تذكر أمر الحارس الذي أخبره أنه سيروح إلى المرحاض وقد أيقن أنه أخذها وخدّروه حتى لا يراها وهي تُباع لأخيل، لكنه قرر ألا يخبر والده حتى لا يزيد غضبه عليه فاستأنف: لقد خدروني ولم أرَ شيئًا.

أغسطس: قم الآن مع الرجال وابحث عنهم في البلاد كلها.

قام الولد بسرعة أثارها الخوف واستدعى الرجال قاصدين مكتب أعمال إبرام فلم يجدوه، راحوا إلى منزله فطرقوا الباب وفتح رجل لا يعرفونه يقول:

خيرًا.

لم يرد عليه أحد وأخرج أحدهم سلاحه وصوّبه في وجهه فرفع يده عاليًا فزعًا وولج الباقون قالبين المنزل رأسًا على عقب يبحثون عنه فلم يجدوا شيئًا، عاد ولد أغسطس إلى الرجل وأمسك بزمام ملابسه يقول: من أنت؟

الرجل: أنا ساكن جديد بالمنزل، ماذا جرى؟

أنزل الأول يده قائلًا: ساكن جديد! منذ متى؟

الرجل: منذ صباح اليوم، ثم مَدَّ يده بجيبه فاستخرج عقد الإيجار عليه إمضاء إبرام واستأنف: وهذا عقد الإيجار.

رمقه الأول بسرعه ثم طبّقه وأعطاه له قائلًا: نعتذر لك عما حدث فقد أخطأنا المنزل، وداعًا.

عاد برجاله إلى أغسطس يخبره بالأمر واختفاء إبرام، دفن أغسطس وجهه بين راحتيه حين استرسل ولده في الحديث عن خلافات تحدث مع آخرين واضطراب في أوساط الأعمال علّه يهدئ من ثورته، أدرك فشله في مهمته حين قاطعه أغسطس يقول: دعني وشأني.

العاشرة صباحًا..

الهدوء التام يفرض سطوته على جنبات الطريق بعدما استقر كل عامل بعمله وغرق الزوجات في السبات لحين ميعاد تحضير الطعام، استيقظت طليقة نيرو فجأه بعد كابوس حبسها عن اليقظة بضع دقائق، كان الكابوس المعتاد كل ليلة.. ترى فيه نيرو يقذف بها وببطنها المنتفخة إلى الطريق خارج منزله بعدما أخبرته بنبأ حملها منه، لم تُطق الصبر على إخباره خاصة وقد أحاط بها الوهم يخبرها أن نيرو يحبها أكثر من نفسه، على عكس الواقع الذي يخبر باستحالة ذلك، وإنما كان حبه لجمالها وجسدها، كُتب عليها أن تكون إحدى الإناث اللاتي يلعنّ قدرهن الذي حكم بجمال خلقتهن، أحبته بقلبها وأحبها هو بغريزته، ولم يكن له أن يملكها إلا بكلمة الحب التي قيلت كذبًا أضعاف ما قيلت صدقًا على مر التاريخ، تراجع عقلها الباطن وسيطر الظاهر لحظة أن فتحت عينها على الواقع المرير، كان بلاؤها في بؤس عقلها الباطن الذي عادة ما يلوذ إليه البشر إذا أطبقت عليهم رحى الحياة، نادت نيرو مرة ثم أدركت أن الكابوس هو الحقيقة، سكنت لحين على جانب الفراش ثم قامت متثاقلة إلى غرفة ولدها لتلقي نظرة الصباح عليه فلم يتبقَ لها من الدنيا إلا هو، ألقت بصرها على فراشه فوجدته فارغًا، خرجت إلى فناء المنزل المتهالك وجلست وقد بدأ ينتابها شعور بشيء سيئ آخر سيحدث، صمت عقلها لحظة تناديه فلم يرد، قامت تتفقد المنزل كله فلم تجده، عادت إلى غرفته شاردة فأبصرت

ورقة مطوية على منضدة تجاور الفراش، هرولت إليها تفتحها فقرأت:

"أمي العزيزة..

قد بدا لي أن الحال لن ينصلح ما دُمت جالسًا في المنزل بلا عمل، لذا قررت أن أسافر إلى عمل قد دبّره لي أحد أصدقائي، سأرسل لك ما يكفي من المال شهريًا، سيطول غيابي كثيرًا لكن القدر قادر على جمع شملنا مجددًا، لا تبكي على فراقي فعبراتك أغلى مني"

ظلّت ترمق الخطاب حينًا كبيرًا، ظنت أنها دعابة بسيطة وأنه لم يرحل، لكن عقلها قد خالف ظنها فقد اكتفت من تجرّع الأوهام، سارت ببطء إلى الشُرفة ووقفت تنظر إلى السماء متنهّدة، انتقل زفيرها في الهواء يعبر الآفاق ثم غيّر وجهته نزولًا إلى خصلات شعر ابنها الطويل مصطدمًا به يوجهه إلى طريق العودة لأمه المكلومة، لكنه لن يعود أبدًا بعدما أجبره عمه أن يسلم روحه لخالقها بدافع الطمع، حمل الناس جثته متجهين إلى مقرّه الأخير من بينهم عمه بنجامين تطلق عينه العبرات الكاذبة ويواسيه الناس في موت أخيه، فقد كانت هذه جنازة نيرو والحقيقة أنها جنازة ابن أخيه بعدما قتله ووضعه في التابوت، كان الابن هو الوريث الوحيد بعد وفاة أبيه ولا بد من التخلص منه حتى يستحوذ بنجامين على كل أملاك نيرو، سارت الجنازة حتى أدركت مقابر العائلة ووضعوه بجوار جده الأكبر وانصرفوا، مرت ساعات حتى أدرك الكون الظلام وكست عباءة الليل السماء لتحرر النجوم من أسر ضوء الشمس، على بعد ليس بكبير من المقابر يقبع نيرو مخدرًا في

منزل فارغ متكومًا في وسط غرفة وآثار الإبر التي كانت في العناية المركزة تملأ جسده، فتح عيناه فأبصر الدنيا مشوشة تهتز بسرعة رهيبة فأغمض عينه بسرعه وهمّ بالاعتدال فمنعه جسده المتهالك بألم شديد يغزو عقله وعينه فعاد لوضعه الأول، ولكنه أدرك أنه لم يعد بالعناية المركزة فشعر بالقلق وجاهد نفسه وألمه للقيام، فشل مرة أخرى فزحف باتجاه الجدران يستند عليه حتى أدركه واستقام واقفًا مغمض العينين، أخذ نفسًا عميقًا فسعل بشدة أعقبها زوال الألم عن عينيه ففتحها واعتدلت الرؤية أمامه، حوائط رمادية لم يكسها الطلاء وسقف قريب شعر أن رأسه ستصطدم به، انتفض جسده من الدهشة فعاد الألم يأمره أن يهدئ ردة فعله ويخفي دهشته، انصاع لأمره ومشى بخطى بطيئة يقصد الباب حتى أبصر ورقة بجوار الباب، ميّز الخط المكتوب فأدرك أنه خط بنجامين فسارع بقراءتها حيث كان محتواها:

" نيرو..

أرى أنه قد حان الوقت لتعرف أن الأيام دُول بين الناس، ظلمك لابنك وزوجتك قد حان الوقت لتذوق وباله ولا بد أن تتقبل نفسك ذلك، كما أن النسبة التي كنت أشارك بها في أعمالنا لم تكن ترضيني، فقررت أن تموت وأصبح أنا وصيًّا على باقي الأعمال وقد أحسنت الترتيب لذلك، أنصحك إذا استيقظت أن تعود لرقدتك فأنت أمام الناس والقانون ميت، ميتة سعيدة أخي العزيز.

بنجامين"

كان بنجامين قد اختطف ابن نيرو وقتله وصنع منه جنازة أخيه نيرو، واختطف الأخير بعدما رشا الطبيب المشرف على حالته لمّا أدرك تحسن حالته وداهمه الوقت ولم يكن قد فرغ من استخراج شهادة الوفاة بعد، ودعمه القدر ببضعة مسئولين قد حددوا ثمن ضمائرهم وعلموا كيف يحصنوا أنفسهم بستار القانون وثغراته فأتم ما يريد، أصبح الآن بنجامين هو المسئول عن جميع ممتلكات نيرو وورثه في حياته، ضرب رأس نيرو الصداع الشديد من الصدمة وجلس على الأرض من هولها وشعر بالانهيار، لقد فقد كل شيء بسبب الطمع الذي سيطر على نفس أخيه، ظل بضع دقائق منهارًا حتى تحول انهياره إلى روح انتقامية تشتعل فيها نار الكراهية وهمّ أن يأخذ حقه، فكّر في أن يعود بالقانون ويثبت أنه حي ولكنه قرر أن يؤجل هذه الخطوة لحين التشفي في بنجامين وقد قرر أن يتعاون مع الشيطان نفسه إذا حكم الأمر، نظر إلى نفسه ليرى بذلة كاملة الأناقة تحتويه فتعجب من ذلك الأمر، قام من رقدته قاصدًا الطريق لا يدري أين يروح، نزل ثم عبر الطريق ووقف حينًا يبصر جنباته يفكر حتى توصّل إلى اللامأوى، فهو لم يثق يومًا بأحد ممن يعملون معه ومن المحتمل إذا ذهب لأحدهم أن يكون متواطئًا مع بنجامين ويخبره بأمره، عبثت بعقله الظنون حتى قرر الاستقرار على الرصيف وجلس واضعًا رأسه بين قدميه.

المقر..

صوت الصفير الخفيف يجتاح طبول الآذان المتجولة في الطريق من انعدام الضوضاء التي تُسمع على بُعد كبير من الطريق، يقطع خطوط الظلام المتشابكة مصباح وحيد يطل على قارعة الطريق يصنع رفقاءً للأجساد المادية متمثلين في ظلال غير منتظمة المعالم، على مَدّ البصر بآخر مبنى ينتهي به الطريق يمتد قضيبًا من حديد تقبع فوقه بومة يكسوها اللون الرمادي لا يتحرك منها شيء إلا رأسها الذي لم يوضع له حدودًا في الدوران تستطلع به الطريق من جميع جوانبه على الرغم من ضعف بصرها.

***

أصدرت أرض الطريق صوتًا حادًا في اعتراض صارخ على قدمين تخطوان فوقها بحذاء صُلْب يقسو على ذراتها، شخص يتعطف سترة رمادية لم يرتديها أحد قبله يسير بخطى لها وقْع ثابت على الأرض يلقي بصره على القضيب الحديدي، أصدر صافرة ذات نَغْمَة مميزة لأذن البومة فأقبلت إليه شاهرة أجنحتها إلى أقصاها حتى كادت تمنع رؤية الناظر إلى ما خلفها لينتهي نظره عند أجنحتها التي تلطخت ببقع بيضاء تعطي في مجملها مظهرًا باهرًا.

***

سارت فوق ذرات الهواء حتى أدركت قضيبًا آخر يتمثل في يد الرجل

وضمت أجنحتها واقفة وقفتها التي كانت على القضيب، ربت على ظهرها ثم راح إلى أحد المنازل، ولجه ثم عرج الدرج وأدرك مدخل أحد البيوت فولجها، سمعت أذن البومة القوية صوت احتكاك معادن بأخرى نتج عن خمسة أسلحة شد أجزائها خمس أشخاص ثم أبصرت عين الرجل الأسلحة تُشهر بوجهه، أخفض الجميع أسلحتهم لما أبصروا البومة وتعرفوا على معالمها، لم ينطق الرجل بكلمة ولم ينتبه إلى ما يفعلون وأكمل سيره حتى أدرك مَقْعَدا يتقدمه مكتب يعلو الأخير دواية حبر فارغة، جلس يرمقهم وقد حضروا جميعًا متأثرين بلغة دفعتهم إلى الفضول الذي نجح أن يبثه فيهم من الخطابات التي أرسلها إليهم بالبومة

***

تنحنح أحدهم ثم نظر إليه قائلًا: لقد أرسلت في طلبنا، ماذا تريد؟

الرجل: لماذا أتيتم؟

نظروا إلى بعضهم فاستدركهم: تبحثون عن نشوة الانتصار، ولن يستطيع أحد أن يبلغكم إياها غيري، ولا أعتقد أن أحدًا منكم لديه رأي آخر فلو كان موجودًا لما أتى إلى هذا المكان.

نظروا إليه طالبين الاستكمال فأجابهم: جميعكم لديه أعداء يقفون في وجه مصالحكم وأبرزهم من ذكرتهم عقولكم تلك اللحظة، ما الذي يمنعكم من التخلص منهم سوى الخوف من الشرطة المتيقظة؟!

نظر الجميع في تفهّم فاستأنف: وضعت خطة ما تمكنكم من التخلص منهم دون لفت الانتباه وتباشروا أعمالكم بعدها.

***

قاطعه جاد قائلًا: وما مصلحتك من وراء ذلك؟

الرجل: المصلحة ستكون ما بعد العملية في نسبة مخصصة من أموال كل منكم توضع في حسابي سنتفق عليها لاحقًا، ولن تكون نسبة مجحفة ولكنها ترضيني، بالإضافة لسبب آخر أحتفظ به لنفسي وعدو يعترض طريقي أنا أيضًا.

قال أحدهم: وما الخُطَّة الموضوعة حتى نعلم دورنا بها؟

الرجل: كل شيء له وقته، الأهم من ذلك أن أعرف رأيكم فيما قلت.

سكت الجميع مفكرين وأعطاهم الرجل وقتهم، أغراهم هذا العرض وشوقهم إلى ما خسروه، لن يضرهم شيء إذا كان كاذبًا لا بد من المحاولة، نظر الرجل إلى ساعته قائلًا: مرت عشر دقائق في تفكيركم، الزعيم النازي هتلر لم يستغرق تلك المدّة لما أُمر بقصف بولندا، أخبروني بقراركم الآن.

نظر للأول فأومأ برأسه إيجابًا ثم مر عليهم جميعًا فأشاروا بالإيجاب، ابتسم الرجل ثم قال: حسنًا، أول ما يجب علمه عن هذه الخُطَّة أنها ستستغرق مدّة غير محددة، ما عليكم إلا أن تعودوا لحياتكم التقليدية حتى تأتيكم أول الأوامر.

سكت قليلًا ثم استأنف: أحدكم قرر الفِرَار بعد التخلص من عدوه ويأخذ حقي، ليس في مصلحته أولًا لأنه لن يستطيع مباشرة عمله في السر، ثانيًا لأن جميع المشاركين في الخُطَّة ستتم مراقبة حركاتهم وسكناتهم حتى إذا حك أحدكم أنفه بإصبعه سأكون أول من يعلم عن طريق عيون وزعتهم عليكم بالإضافة إلى بعض العيون داخل الشرطة، وجميعهم قد أخذ أمرًا بالتعامل الفوري إذا شعر بأية حركة غير طبيعية، بمجرد خروجكم من الاجتماع سيظهر قرينكم من الإنس كما لكم قرين من الجن، بعد انتهاء المهمة ستأتون إلى هذا المكان وقبل ذلك غير مسموح لأي منكم بالتواصل معي أو مع فرد منكم زيادة في التأمين، المراقبين فقط هم من سيتواصلون معي وإذا أردت أن أغير أمرًا سأرسل أحدهم إلى الشخص المطلوب.

***

أومأ الجميع إيجابًا فقام الرجل من مَقْعَده قائلًا: انتهى الاجتماع وتستطيعون الانصراف، أما سادسكم الذي لم يشهر سلاحه سيبقى.

قاموا حذرين إلى الباب وبقي السادس الذي رمقه الرجل مبتسمًا، ثم جلس أمامه قائلًا: كنت أخشى أن أراك شاهرًا للسلاح مثلهم، ذاكرتك قوية لتتذكرني بعد غياب تلك السنين.

***

همّ الرجل أن يتحدث فقاطعه أحدهم الذي يدعى (نيرو) حيث ولج المكتب قائلًا: هل أنت واثق مما تقول؟

الرجل: نعم، من مصلحتي أن يتم المخطط على أكمل وجه.

نيرو: حين يبدأ الأمر أريد أن أقتل عدوي بيدي حتى أشعر أنني قد انتزعت كرامتي منه.

الرجل مبتسمًا: على الرُّحب والسعة، تفضل.

خرج نيرو من البيت مبتسمًا لما شعر أن كرامته عائدة إليه قريبًا، على بُعد كبير من الوسط المحيط قاد جاد سيارته قاصدًا منزله وعقله يراجع تفاصيل وجه الرجل الذي اجتمع بهم، كان رسامًا ماهرًا شديد الدقة فقرر أن ينظر إلى الرجل أكبر قدر ممكن من الوقت حتى يستطيع رسم وجهه بتفاصيله كاملة، وقد لاحظ الرجل أنه يلحظه خفية وتعجب لذلك حتى ظن أنه شاذ جنسيًا فابتسم.

***

ولج جاد بيته مسرعًا إلى أدوات الرسم، أحضرها وجلس يبدأ عمله الذي عزم على أن يتمه في ليلته.

الثانية ظهرًا..

استدارت سيارة بسائقها تقصد مقرًا لإحدى شركات جاد في الطريق الموازي لما تسير فيه فاصطدمت أشعة الشمس بالمرآة الجانبية لها مما جعلها تنعكس على عين السائق، حوّل بصره عن الطريق لوهلة ثم توقف انعكاس الشمس على وجهه فعاد للطريق، كان السائق هو مدير تلك الشركة وأحد أصدقاء جاد المقربين فعيّنه مديرًا لها لثقته به، أدركت السيارة المقر فنزل بعدما صفّها جوار السور الحديدي ثم ولج المقر حتى أدرك مكتبه، جلس وأشعل لفافة تبغ رافقها كوب قهوة حضر عند انتصافها مع انتصاف نيسان بعدما بدأ أوائل أيامه بنبأ غلق مصنع الأقمشة الذي يملكه جاد من غرقه في الديون والشروط الجزائية المجحفة لعجز الميزانية وعجزه عن جبرها، انتهى كوب القهوة لحقته اللفافة وباشر المدير أعماله اليومية حتى دخل عليه موظف يخبره باستدعاء جاد إليه، أغلق ملفًا كان بحوزته وقام إلى الباب ثم سار آخر الممر وانعطف يمينًا حيث مكتب جاد، دخل يحييه بتحية خيّم عليها روح صداقتهم أكثر من روح العمل، ثم جلس قائلًا: خيرًا.

جاد: هل هناك أنباء جديدة عن العمل؟

المدير: لا شيء، كما هي العادة من أعمال تعرض ودراسات الجدوى.

جاد: حسنًا.

خيم الصمت حينًا فتنحنح المدير قائلًا بصوت الصديق: هذا ليس سبب استدعائي، هل هناك أمر آخر؟

جاد: نعم، إن أمر إغلاق مصنع الأقمشة هذا يؤرقني.

المدير: ألم تتوصل الشرطة إلى أمور جديدة؟

جاد: لا، بل وأفرجوا عن جميع العمال لعدم كفاية الأدلة.

ارتفع حاجبا المدير لما بدا له أن الأمر قد انتهى، فاستأنف جاد: وبعد ما حدث من احتراق المخزن سرق سيرون أموال الصفقات الجديدة وتقدم للتحقيق ولم تثبت عليه التهمة، بينما ثبتت على آخرين أكاد أجزم أنه لا علاقة لهم بالأمر، لكنهم كانوا أكثر الأشخاص المحيطين بالمال الذي دفعته من جيبي الخاص.

المدير: هل قدمت شهادتك في التحقيق؟

جاد: لم أكن شاهدًا على شيء فقد كنت أثق في رهط من الخونة.

المدير: وماذا عساك أن تفعل؟ إذا حدث لسيرون مكروه بيدك ستثبت عليك تهمه الاعتداء عليه، أما في قضية السرقة فهو بريء بأمر القانون، لكن العجب يكمن في كيفية براءته وهو المدير المالي للشركة.

جاد: هذا أمر آخر لم أستطع تفسيره، من الممكن أن يكون قد دفع رشوة هنا أو هدية هناك وانتهى الأمر.

المدير: أو أنه بريء بحق.

هزّ جاد رأسه يقول: لا أظن ذلك قط.

عاد الصمت إلى المكتب ودفن جاد رأسه بين راحتيه وقد عبثت به الظنون حتى قطع ذلك بومة عظيمة الجسد تنقر زجاج النافذة أحدثت صوتًا مقتضبًا، قام إليها المدير يتفقد مصدر الصوت فأبصرها وقد عُلّق خطاب بقدمها تتدلى منه ورقة مكتوب عليها (جاد)، أخبره بالأمر فقام إليه الأخير، ثم مد يده يلتقطه وفتحه ليقرأ:

"السيد/ جاد

تحيه وبعد..

لا يخفي على أحد ما حدث لك ولمصنع الأقمشة الذي تملكه، فعندما سمعت بالحدث راودني شغف دفعني إلى متابعته ومعرفه ملابساته حتى علمت بأمر الإفراج عن سيرون، أعلم أنك على تمام الثقة بتورطه بالأمر إلا أن القانون قد أبرأه وأوقد في صدرك نارًا لا يخمد لهيبها شيء سوى الثأر، أبعث إليك هذا الخطاب لأخبرك بنيتي في مساعدتك على تحقيقه، إذا أردت التعاون فإنني سأعقد اجتماعًا يحضره آخرون ممن واجهوا متاعبًا تلك المدّة وسأخبرك بموعده ومكانه لاحقًا، انتظر خطابًا آخر"

***

طوى جاد الخطاب وقد استزاد من تعجبه لأمر البومة وصاحبها وعلمه بتلك التفاصيل، لعن في نفسه حديث الناس ونميمتهم التي لا تتوقف، رمق

المدير الذي كان في مثل حالته قائلًا: أتدري ما يحوي ذلك الخطاب؟!

المدير: لا، أخبرني.

جاد: مرسله يخبرني أنه يعلم بثقته في تورط سيرون في الأمر، ويود مساعدتي على الثأر.

المدير: من هذا المرسل، وما أدراك أنه صادق؟!

جاد: لا أعلم، لكن عرضه بدا جيدًا لي.

المدير: وكيف سيساعدك؟

جاد: أخبرني أنه سيعقد اجتماعًا.

أومأ الأول برأسه إيجابًا، ثم استأنف: تستطيع الانصراف إذا أردت.

قام المدير وهمّ بالعودة لمكتبه فأرفق الأول بضع وثائق بيده آمرًا له بمراجعتها ثم انصرف الأخير، قام مستديرًا فالتقط سترة علقها خلف مَقْعَده يعتطفها، ثم خرج إلى الطريق وركب سيارته يقصد منزله، اتشح كونه بالسواد من تعاقب النوائب عليه في الآونة الأخيرة، بدأتها هيلينا التي تركته وراحت دون سابق إنذار أو خلاف ثم حريق المخزن ثم سرقة أمواله، ترك عقله الطريق وراح إلى حيث تختفي المتاعب في خياله فوجده متأثرًا بواقعه وأظلم عليه قاضيًا على آخر منفذ يلوذ إليه غير هذا العالم الظالم، أدرك منزله فخلع ملابسه جميعها إلا سرواله الداخلي وعزم على النوم فألقى جسده على الفراش وراح في أسره كما لم ينم من قبل، كان سيرون قد أوشك على الفراغ

من عمله فقد عُين في شركة أخرى بمنصب آخر حيث ثمه لا أحد قد قبل بتعيينه مديرًا ماليًا لشركته لما حام حوله من الشبهات، جمع بعض الأوراق وتوجه بها إلى أحد الموظفين ليتم عمله بها ثم عاد إلى مَقْعَده يتجهز للرحيل، حضر إليه نادل الشركة يخبره بأحدهم يطلب مقابلته، أذن له فولج رجل طويل القامة كريه المنظر حتى خاف سيرون منه فقال: من أنت؟ وماذا تريد؟

الرجل: هذا لا يهم، أنا رسول من أحدهم لأحدثك بأمر ما.

سيرون: ما هو؟

الرجل: أتذكر أمر المخزن الذي احترق والمال الذي سرقته؟

سيرون متحفزًا: أنا لم أسرق شيئًا وقد حصلت على براءتي.

الرجل: هذا ما قد قيل من قبل، وليس كل ما يقال الحقيقة، ولكن دعنا نقيم حوارًا أكثر صراحة.

همّ سيرون أن يستدعي له الأمن فاستدركه بقوله: ماذا لو قلت لك أسماء العمال الذين أوصيتهم بحرق المخزن؟!

تراجع الأول فاستأنف: أنا لست عدوًا لك، لقد أتيت لمساعدتك.

سيرون : وكيف ستساعدني، ولماذا؟

قام الرجل من مَقْعَده ومد يده بجيبه ثم أخرج خطابًا وقال: اقرأ هذا.

أخذه سيرون وانصرف الرجل ففتحه ليقرأ:

"السيد/ سيرون

تحيه وبعد..

أظن أن رسولي قد وضح لك الأمر بكامله ولا يفيد إعادته في الخطاب، المهم هو أنني سأعقد اجتماعًا سريًا أريدك أن تحضر إليه حتى أساعدك على التخلص من جاد فقد علمت نيته في الانتقام، يمكنك ألا تحضر ولكن انتظر حتفك قريبًا فإن جاد أيقن بتورطك في الحريق والسرقة"

***

فزع سيرون من ذلك وطوى الخطاب بشرود حار فيه من أمره، ما الذي يضمن له صدق هذا الرجل؟ حسم أمره أن يروح إلى الاجتماع حيث كانت المساومة تتم على أغلى ما يملك.. روحه.

الواحدة صباحًا..

استكانت ذرات الرمال المتناثرة بهيئة غير منظمة على الأرض وذرت الرياح ما ذرته منها إلا مواضع أثر حذاء قد ارتفعت مؤخرته بقضيب بلاستيكي صلب يصنع زاوية حادة ما بين أصابع أقدامها وسطح الأرض ويجبر ما برز من خلف جسدها على التمايل بنغم يشبه آلات الاحتراق الداخلي ما بين ذراع صاعد وآخر ينزل في لحظتها، كانت هيلينا في طريق العودة إلى المنزل بعد قضاء ليلة تقليدية لا تختلف عن سابقها في شيء، ظلت تقطع الأمتار سيرًا فقد كانت تعشق السير في جوف الليل، لم يطرأ على حياتها ما يخل بنظم رتابة الأيام إلا خلافها مع عمران الذي أبدت فيه من الشر ما لم تعهده في نفسها قبلًا، لكن ثمة لا شعور لديها يؤنب ضميرها على ما فعلت وظنت أن الأمر قد انتهى به المطاف، أدركت باب البيت وولجت فاستدركها حارس العقار بقوله: مساء الخير.

هيلينا: مساء الخير، ماذا تريد؟

الحارس: أحدهم ترك لك هذا الخطاب.

هيلينا: من هذا؟

الحارس: لا أدري.

هيلينا: حسنًا.

***

بسطت راحتها تأخذ الخطاب ثم نظرت إلى الغلاف فلم تبصر شيئًا قد يوحي بمحتواه، فتحته بترقب لتقرأ:

"إلى/ هيلينا

تحيه وبعد..

يبدو أن حياتك لم تتغير كثيرًا في الآونة الأخيرة، أو كما تظنين أن الحياة ستمضي بعدما حدث بينك وبين عمران كسابق عهدها، لا تسألي نفسك كثيرًا كيف حصلت على تلك المعلومات فأنا أترقبك منذ مدّة أنتِ ومجموعة أخرى من البشر قد تزامنت خلافاتهم مع آخرين في وقت خلافك لسبب أحتفظ به لنفسي، أما الآن فكل ما أرغب فيه هو المساعدة ليس أكثر، فقد علمت أن عمران لن يتوقف وينوي الانتقام، ومقابل المساعدة سنتفق عليه لاحقًا إذا أثمر التعاون نتائج جيدة، ولا أرى لك مخرجًا آخر غير التعاون ولك مطلق الحرية في الاختيار"

ابتسمت هيلينا ابتسامة ساخرة أبدت شعورها بأنها خدعة من أحدهم من ضحايا الفراغ، ألقت بصرها على يمينها لتبصر حارس العَقَار مخدّرًا على الأرض، تعجبت وبدأ الفزع يتملك قلبها، نادت عليه بصوت عالٍ أتبعه صوت من خلفها قد سمّاها باسمها، التفتت بسرعة خاطفة لتبصر عمران يشهر سلاحًا في وجهها ثم حرر منه طلقة استهدفت ما بجوار رأسها، خفضت رأسها وركضت على الدرج تقصد منزلها فتبعها عمران بتباطؤ

حتى ولجت المنزل وأغلقت عليها بابها، ثم أحضرت سلاحًا أبيض ووقفت خلف الباب، مرت لحظات قبل أن يحطم عمران قفل الباب وولج ليبصرها تركض نحوه تقصد طعنه في رقبته، قبض على معصمها ودفعها دفعة سقطت على إثرها أرضًا ثم وجّه السلاح إلى ذراعها الأيسر فأصابه، قامت مسرعة فغرست السكين في كفه الأيمن فسقط السلاح وتظاهر عمران أن الطعنة قد ثبطت قوته فجلس أرضًا في حين ألقت هيلينا بالسكين وركضت خارج المنزل إلى الطريق، ظلت هيلينا تركض بتدافع الأدرنالين الشديد في جسدها ويدها تشخب دمًا قد ارتسم خطوطًا متقاطعة على ذراعها، كانت تفكر أين تروح حتى قررت وجهتها إلى منزل إحدى صديقاتها المقربات، أدركت منزلها وطرقت الباب بعنف فتحت صديقتها على إثره بفزع فألقت بنفسها في أحضانها تبكي وصديقتها تتسع عيناها دهشة وتتساءل عما حدث، توقفت عن السؤال حين أدركت أناملها خطوط الدَّم المتقاطعة على ذراعها فخلعتها من أحضانها ونظرت لترى الطلقة التي غارت في ذراعها حتى أوشكت على النفاذ منه فصرخت وجذبتها لداخل المنزل تجلسها، هرعت إلى غرفة ثم جلبت قضيبًا من الحديد قد طهرت طرفه وحاولت إخراج الطلقة، ظلّت على تلك الحال تبكي وهيلينا تصرخ وتدفعها حتى أخرجتها وربطت الجرح بضمادة حبست الدماء عن النزول وجففت عنها عرقها الغزير ثم جلست صامتة بجوارها حتى تهدأ، استكانت هيلينا قليلًا فقالت صديقتها: ماذا حدث؟!

لم تكن هيلينا قد ذكرت لها ما يخص خلافها مع عمران من قبل، نظرت

إليها قائلة: عندما عدت إلى المنزل الليلة استوقفني حارس العقار ليخبرني أن أحدهم قد ترك لي خطابًا، فتحته لأقرأ أن أحدهم يريد حمايتي من آخر يريد قتلي، ظننت أنها مزحة سخيفة فألقيت الخطاب وهممت أن أعرج فرأيت الحارس ملقى على الأرض، لا أعلم هل فارق الحياه أم لا، ثم ظهر أحدهم يطلق عليَّ النار ولكنه لم يقتلني، عرجت إلى المنزل وعرج خلفي وأطلق عليَّ النار مرة أخرى فأصاب ذراعي وطعنته في يده وهربت.

صديقتها: من هذا؟! وماذا يريد؟

هيلينا: لا أعلم أي شيء.

صديقتها: هل اختلفتِ مع أحدهم مؤخرًا؟

هيلينا كاذبة: لا، كل شيء هادئ.

صديقتها: ومن تظنين أنه هو؟

هيلينا: لا أعلم.

صمتت صديقتها طويلًا من حيرتها وهيلينا ترتجف خوفًا من مصيرها، راح عقلها إلى ما يجاوز العشرين عامًا حيث رأت نفسها واقفة أمام مرآة طويلة وقد انعقدت مؤخرة شعرها برابطة قماشية حمراء وتمسك بدمية بلاستيكية تحدثها بأحلامها، ذكرت أن الدمية لم تكن تجيب عليها لكنها كانت ترى أنها تشعر بها تبكي لبكائها وتفرح لفرحها، كانت دائمًا ما تحدثها برغبتها في أن تصبح مضيفة في أحد المطارات الكبرى بالبلاد، لم تكن تخبر أحدًا بما تفكر

به نتيجة لعقدة صنعها إهمال الأم وتجاهلها، لكنها كانت تحبها حبًا جمًا على الرغم من ذلك حتى أصابها القدر هي وزوجها في حادثة طيران مروعة التي راح ضحيتها جميع من كانوا على الطائرة حيث سقطت في المحيط، أزاد ذلك عقدة جديدة هدمت حلمها وتخلت تمامًا عن الفكرة، ولم تذكر أنها قد بنت لنفسها حلم آخر، انتقلت إلى كنف خالها الذي أحب أمها كثيرًا وحرص على أن يكفلها بعد وفاتها حتى لحق بها قبل أن تتم هيلينا الخمس عشرة سنة، لم تطق المنزل من بعده فانتظرت ليلة أن أتمت الخمسة عشر وهربت، منذ ذلك الحين تداعت الأيام بأحداثها على الطفلة التي بداخلها حتى اندثرت وهي حية، أحيانًا تشعر ببعض همساتها تحت أنقاض الشقاء تستغيث بها، لكنها تعلم جيدًا أنه لا مكان لمثل هذه الطفلة في هذا الكون الموحش الفاسد، قطع استرسال الذكريات صوت صديقتها يقول: وماذا ستفعلين؟

هيلينا: لا أعلم، أخشى أن أعود للمنزل فيقتلني.

صمتت صديقتها قليلًا، ثم قالت: لا أعتقد أنه يريد قتلك، فلو أراد لفعل.

هيلينا: وكيف ذلك؟

صديقتها: ألم تقولي أنه كان خلفك مباشرة بسلاحه ولم يصب هدفه؟ من ذا الذي قد يخطئ هدفه وهو أمامه مباشرة!

هيلينا: إذًا ماذا عليَّ أن أفعل؟!

صديقتها: أرى أن تبقي معي الليلة وتعودين لمنزلك غدًا.

هيلينا: وماذا إن عاد؟

صديقتها: لن يعود، أعتقد أن هذا كان مجرد تحذير من شيء لا أعلمه، فقط خذي حذرك.

تعجبت هيلينا من ذكاء لم تعهده في هذه الصديقة، إلا أنها قد أبدت اقتناعًا بما قالت، صمتت قليلًا ثم قالت: حسنًا، ماذا سنفعل الآن؟

صديقتها: لا شيء، فقط استرخي وإذا أردتِ الخلود إلى النوم أخبريني.

***

انتهت من حديثها ثم قامت إلى المذياع وفتحته لتنطلق موسيقى كمان هادئ يعزف به فنان متمرس، ثم جلست وأشعلت لفافة تبغ في صمت، راح عمران في طريقه راجلًا حتى أدرك أحد الطرقات الهادئة التي يعرفها جيدًا وأشار بعلامة النصر لأعلى دلالة على إتمام مهمته، فرغت الساعة من آخر دقاتها الأربع وفرغ العازف من مقطوعته وقد حرك مع أوتار كمانه وتر ذكرى العاطفة الوحيدة في حياه هيلينا.. ذكرى جاد، لم تكن تدري لماذا تركته أو كانت تدري وتنكر ذلك، إنه سأم حسن المعاملة، سجية بنات حواء جميعًا منذ نزلت من ضلع آدم، بالغ جاد في حسن معاملتها عسى أن يهون عليها ما أصابها طيلة حياتها، إلا أن نفسها غير السوية ملّت ذلك كأنها ترغب أن يقسو عليها لأنها لم ترَ شقاءً طرفة عين! صارع النعاس عقلها المنشغل حتى

صرعه فطلبت من صديقتها أن ترشدها لمكان نومها، أشارت لإحدى الغرف فقامت هيلينا إليها حتى أدركت الفراش واستلقت ناظرة إلى السقف بشرود حتى غفت جفونها، لم تتوقف الأرض عن الدوران كعادتها حتى سطعت الشمس في السماء معلنة انقضاء الليل وبدء يوم آخر من العناء، فتحت هيلينا عيناها تتلفت يمنة ويسرة من أثر حادث البارحة، سكنت أعضاؤها لما أدركت وجودها في بيت صديقتها، كان ذلك اليوم هو يوم عطلة صديقتها، خرجت هيلينا إلى فِناء المنزل فأبصرتها مستلقية على أحد المقاعد تقرأ إحدى الروايات، أغلقت الرواية قائلة: صباح الخير.

هيلينا: صباح الخير، ما الذي أوقظك مبكرًا؟

صديقتها: اعتدت الاستيقاظ مبكرًا للعمل، أما اليوم فهو العطلة.

جلست هيلينا بجوارها قائلة: وماذا سأفعل الآن؟

صديقتها: لا شيء، فقط ستعودين لمنزلك.

هيلينا: أخشى أن يعود هذا الرجل.

صديقتها: لن يعود أنا أثق بذلك، ولكن احذري من مستقبل غير مستقر تمامًا.

هيلينا: حسنًا، سأعود الآن.

صديقتها: انتظري قليلًا.

هيلينا: معذرة فلديَّ بعض الأعمال لأقوم بها.

***

نزلت هيلينا إلى الطريق شاردة لا تدري ما الأعمال التي ستقوم بها، لا تريد شيئًا سوى التخلص من كابوس عمران إلى الأبد، راحت في طريقها حتى أدركت منزلها، توقفت أمامه قليلًا تهدئ روعتها ثم ولجت لتبصر على يسارها خطابًا يشبه السابق، ارتعشت أطرافها خوفًا وهمّت أن تعود لبيت صديقتها، لكنها تخلت عن ذلك القرار وفتحت الخطاب لتقرأ:

"إلى هيلينا

تحية وبعد..

إذا قرأت تلك الكلمات فمن حسن الحظ أنك ما زلت على قيد الحياة، ولا أعتقد أنك ستلقين الخطاب أرضًا وتمضي كما فعلت سابقًا، منذ يومئذ جميع حركاتك وسكناتك ستصلني أولًا بأول، كل ما عليك فعله هو انتظار الأوامر وتنفيذها، هذا هو المخرج الوحيد من ذلك المأزق"

أعادت ثنيات الخطاب كما كانت وأصابتها الحَيْرَة من أمرها، إما أن تنتهي حياتها برصاصة من عمران أو ترزح تحت وطأه الاستغلال، ومن الممكن أن يكون المرسل عمران ليسّر على نفسه قتلها، حسمت أمرها بالتعاون وإطاعة الأوامر، فلا خيار آخر غير ذلك.

الواحدة ظهرًا..

تجاورت قوالب الطين المحترق مد البصر تشكل جدارًا أحاط بأكبر سجون البلاد يعلوه أسلاك شائكة تدعم منعته يتوسط جانبه الأيمن بوابة رئيسة، ثم جانبه الأيسر بوابة فرعية يخرج منها الضباط والجنود وخصصت الرئيسة لسيارات الترحيلات المحملة بنزلاء جدد، اليوم كان يوم الإفراج عن بعض ممن تراوحت أحكام سجنهم ما بين العقد والعقدين وأتم يصهار عقد سجنه فكانوا ممن خرجوا يومها، وقف الجندي بورقة أمام الباب تحوي أسماء من سُمح لهم بالمغادرة وكان يصهار سادسهم، مرت الأسماء حتى أتى دوره فخرج يتفقد كونًا قد تغير كليًا منذ محبسه حتى أنه لم يكد يعرف ما أحاط بباب السجن من الخارج لولا يقينه أن هذا هو الباب.

***

ضربت أشعة الشمس قرنيته لأول مرة منذ عقد أن تضربها بلا جدار يحيل ما بينهم أو ظل سلك متشابك يتكون على وجهه، وضع يده على عينه وراح يقصد منزله، ذكر زوجته التي انفصل عنها عند انتهاء نصف العقد لمّا يأست من خروجه وقررت أن تبحث عن حياة جديدة، ثم ابتسم لخيبة أمل أصابت نفسه لما تذكر ظنه أنها لن تتركه لغياهب الدنيا والمعتقل يتقاذفونه يمنة ويسرة.

***

راح هائمًا على وجهه يترك الأمر لعقله الذي احتفظ ببواقي معالم طريق العودة لمنزله، أدرك المنزل بعدما أخطأه ثلاث مرات متتالية فصعد الدرج ثم أدار مفتاح المنزل وولج يبحث عن الفراش، أدركه وخلع كل ملابسه وما إن وضع رأسه على الوسادة حتى التقطه السبات من الوعي ونام كما لم ينم من قبل، استدرجه جرس الهاتف رويدًا رويدًا من عمق سباته حتى أدرك ضحالته فاستيقظ على ثالث جرس لثالث اتصال، اعتدل على جانبه الأيمن ورفع السماعة يقول بصوت متهدج: من المتصل؟

المتصل: هذا أنا أخيل.

يصهار: أهلًا بك يا صديقي.

أخيل: كيف حالك؟

يصهار بعد صمت: كيف حالك أنت؟

أخيل: بخير، أود أن أهنئك على الإفراج.

يصهار: أشكرك.

أخيل: سأمر ببيتك عند الخامسة.

يصهار: أنا في انتظارك.

***

وضع السماعة ثم قام إلى المرحاض فاستوقفته المرآة بوجهه الذي فزع

لما أبصره، لقد مر عامان بعد آخر مرة رأى فيها وجهه حتى كاد ينساه، تفقد الشيب الذي غزى شعره وانكماشات طرأت على وجهه بتقدم الأيام به، أعاده النظر في عينه إلى ما يجاوز العشرة أعوام لّما كان جالسًا في مكتبه يدير أعماله بهدوء تام يسيطر على حياته حتى دخل عليه مجموعة من الجنود يرافقهم ضابط يخبره بأمر اعتقاله، لم يكن يدري لم اعتقلته الشرطة حتى ذكر خلافه مع فيليب في سيارة الترحيلات، فيليب أحد أكبر الحيتان في البلاد وما زال يصهار قرشًا صغيرًا في محيط رجال الأعمال، لكن أيام المعتقل الطوال تستطيع أن تصنع من قط صغير ليثًا جامحًا يلتهم كل ما يعترض طريقه، ومن أول يوم ولج فيه القط المعتقل وهو يبحث عما يجعله كذلك قبل انتهاء مدته فخرج ليثًا ناضجًا يتعطش للثأر، لم يكن يعلم أن القدر سيمهد له نواياه منذ شاهده رجلان كانا ينتظران خروجه حتى يخبر أحدهم الزعيم والآخر أخيل، مكث في تأمله حينًا إلى أن انتهى عقرب الساعات من إتمام الخامسة فأوقف شروده أول دقات تمامها، راح إلى المرحاض فأهال على وجهه الماء ليستفيق من نومه ثم عاد إلى الفِنَاء ينتظر أخيل، كانت منطقته شديدة الهدوء فقد هجرها معظم السكان لتدني مستواها الاجتماعي، فعلى الرغم من كونه رجل أعمال وله أموال كثيرة إلا أنه كان يحب ذلك البيت حبًا جمًا ولا يبيت إلا به، قطع الهدوء التام صوت محرك سيارة أخيل وهو يصفّها جانب الطريق، نظر من النافذة فأبصر أخيل يلوّح له مبتسمًا ثم صعد الدرج يقصد منزله.

***

فتح الباب فتعانقا عناقًا طويلًا، ثم قال أخيل: ليس أحد بأسعد مني بخروجك من محبسك يا صديقي، كيف حالك؟

يصهار: لست بحالة جيدة، ماذا صنعت أنت في حياتك؟

أخيل: ألم تسمع آخر الأخبار؟َ! لقد أصبحت عضوًا بمجلس النواب.

اتسعت عيناه دهشة وهنئه كثيرًا على ذلك، ثم استأنف أخيل: وما الذي يجعلك بحالة سيئة بعد أن حصلت على حريتك؟َ!

يصهار: نعم، ولكنها حرية مختلطه بالحزن والذل، كما تعلم لقد هجرتني زوجتي ولم أستطع أن أتناسى ما فعله فيليب بي.

أخيل: وماذا تنوي أن تفعل؟

يصهار: أريد الانتقام حتى أستريح.

أخيل: وما خطتك؟

يصهار: لم أخطط بعد، لم يمر يوم على خروجي.

أخيل: أظن أنني أستطيع مساعدتك على ذلك.

يصهار: كيف؟

أخيل: لقد أتاني أحد تجار اللوحات الأثرية يخبرني أن أحدًا قد وضع مخططًا يهدف به إعادة بعض ممتلكاته التي نُهبت وأخبرني أنه يريد الإيقاع بأحد أكبر رجال الأعمال، ومن الصدفة البحتة أن فيليب هو من يريد الإيقاع

به.

***

تعجب يصهار من هذا الأمر واستأنف أخيل: يمكنك التعاون معي وتحصل على ثأرك.

يصهار: هذا عرض جيد، ولكن كيف سنبدأ أو ما المخطط؟!

أخيل: لا أعلم بعد، لكن الأوامر ستأتيني قريبًا وسأخبرك بها.

يصهار: حسنًا.

قام أخيل مسلّمًا عليه ثم انصرف، عاد يصهار إلى شروده يدفعه بريق الأمل الذي أعطاه له أخيل، مرت بضع دقائق قبل أن تصل البومة نافذة منزله فقام يتفقد مصدر الصوت، أبصرها ترفرف بأجنحتها واقفة على قضيب حديدي، لم يجرؤ على الاقتراب حتى سكنت البومة فأبصر خطابًا بقدمها تدلت منه ورقة كُتب عليها اسمه.

***

التقط الخطاب وفتحه ليقرأ:

"السيد/ يصهار

تحيه وبعد..

لقد علمت بأمر خروجك من السجن اليوم وأهنئك على حريتك، كما

أنني أرغب في مساعدتك، لا بد أن أخيل قد أخبرك أنني سلطته على فيليب حتى يوقع به في مخططنا، وأيضًا علمت مؤخرًا بأمر فيليب وما صنع بك حتى أودعك المعتقل، ما عليك إلا أن تأتي لمقر الاجتماع الذي سأعقده وسأبلغك بالمكان لاحقًا إذا أردت التعاون"

أغلق الخطاب وابتسم ابتسامة أوحت بمدى الشر الذي غزى نفسه وقد عزم على قتل فيليب مهما كلفه الأمر، عصفت الرياح بزفيرة تقطع به أمتارًا طوالًا حتى اصطدم بوجه رجل كان ينتظر يصهار أمام السجن بعثه فيليب ليخبره بتحركاته منذ خروجه، ولج الرجل مكتب فيليب ثم قال: سيدي، لقد خرج يصهار.

فيليب: وماذا بعد؟

الرجل: عاد إلى منزله ثم مرت بضع ساعات وحضر إليه أخيل وكيل مجلس النواب.

رفع فيليب عينه من الأوراق إليه قائلًا: ولماذا قد يذهب الوكيل إلى يصهار؟!

الرجل: لا أعلم، لعلهم أصدقاء.

فيليب: نعم، أهذا كل شيء؟

الرجل: لاحظت بومة قد وقفت على نافذته حينًا وقد عُلّق بقدمها شيء ما بدا خطابًا.

تعجب فيليب من أمر تلك البومة، من ذا الذي قد يبعث له خطابًا في قدم بومة؟! صمت قليلًا ثم قال: حسنًا، انصرف.

***

خرج الرجل وباشر فيليب عمله ثم عاد الأول بخطاب يقول: لقد وصل ذلك الخطاب إلى صندوق البريد وكُتب عليه اسمك.

أخذ فيليب الخطاب وفتحه ليقرأ:

"السيد/ فيليب

تحيه وبعد..

أخبرني أحد العيون أن أخيل ذهب ليصهار بعد خروجه وأن يصهار ينوي التخلص منك، لم يُبدِ يصهار تلك النية ولكنه ينويها لا محالة، إذا أردت أن تنجو بحياتك عليك أن تتعاون معنا، انتظر الأوامر قريبًا"

مزّق فيليب الخطاب متهكمًا لعظمه أصابت نفسه من قوته وشعوره أن يصهار أضعف من ذلك الأمر، ثم واصل ما يفعله.

العاشرة مساءً..

كان عاملو دوام الليل قد بدأوا في أعمالهم بعد رحيل النهار بدوامة في أكبر مصانع المواد الكيميائية في البلاد، لم يغادر فيليب مكتب الإدارة حتى هذا الوقت لما حبسه من مشاغل كثيرة ستحبسه حتى الواحدة صباحًا من أعمال الجرد والمراجعات، كان نصف عقله قد انهمك في عمله إلا أن النصف الآخر منشغل بالخطاب الذي وصله من الزعيم، بعدما أنهى مسيرة يصهار كرجل أعمال مبتدئ كاد أن يصبح ناجحًا لم يكن ليصهار خيار غير الثأر الذي عزم عليه منذ أول يوم ولج فيه السجن، الآن وقد أصبح حرًا فإن حياة فيلب ومسيرته المهنية أصبحت مهددة بأي اضطراب سيصنعه يصهار، نفض عن عقله القلق والظنون وظل يواصل عمله حتى ينهيه قبل الواحدة، عليه أن يروح لبلدة نائية على الساحل حتى يتم عملًا آخر هناك عند الثالثة صباحًا، ثلاث أيام واصل بها الليل بالنهار من كثره المشاغل كما اعتاد كل عام في هذا الوقت، انتابه شعور بالقلق من سفره لتلك البلدة فمن الممكن أن يرصده أحدهم ويفعل به ما يشاء فقرر أن يصطحب معه سيارة محملة بالحراس، دخل عليه مدير المهندسين بالمصنع ووضع له بعض الأوراق التي تخص العمل، ثم قال: هذه مستندات عاجلة يجب توقيعها سريعًا.

فيليب: حسنًا.

المدير: هل انتهيت من أعمال الجرد؟

فيليب: ليس بعد.

المدير: حسنًا.

خرج المدير من المكتب يوزع نظراته على العمال المنهمكين في أعمالهم إلا واحدًا كان يرمقه بترقّب شديد ينتظر منه أمرًا، رفع المدير إصبعه السبابة والوسطى فخرج الرجل الذي كان يرمقه سريعًا من المصنع يقصد سيارة فيليب، أدركها فاستوقفه السائق قائلًا ماذا تريد؟

وضع الرجل يده في جيبه وأخرج ورقة تحوي إخطارًا بتفقّد سيارة فيليب وعليها إمضاء فيليب المزيف وأعطاها للسائق، قرأها السائق ثم قال: لكن السيارة بحالة جيدة ولا تحتاج لصيانة.

الرجل: وما الذي أدراني بذلك؟ لقد أرسلني السيد فيليب لأتفقدها فقط، وهذه حقيبة تحوي ما يلزم لتفقدها.

طلب منه السائق تفتيشها ففتحها ليجد بعض العدد اليدوية يدنوها غطاء جلدي لاحظ أنه ليس من خامة الحقيبة، حاول نزعه فلم يستجب فوضع العدد أرضًا وحمل الحقيبة ليشعر بثقل غير طبيعي في الحقيبة، نظر إلى الرجل فقال الآخر: هذه حقيبة من نوع خاص كما أنها أصلية.

لم يجد السائق سببًا مقنعًا ليرفض طلب الرجل فسمح له وانصرف، تأكد الرجل من فراغ المكان من أثر البشر ثم فتح حقيبة السيارة ووضع بها حقيبة يده، ثم فتح باب السيارة الخلفي ووضع في جورب قماشي يجاوره ورقة ثم

انصرف، كانت الساعة قد أتمت آخر دقاتها الاثنى عشر وأتم فيليب آخر خطوات عمله ثم قام إلى سترته يعتطفها ونزل إلى الطريق يقصد سيارته، أبصره السائق فأشار إلى الحراس الذين خفّوا إلى السيارة المجاورة، ركب الجميع ورحلوا إلى وجهة فيليب، ظلوا سائرين حتى أدركوا طريقًا طويلًا يشق الصحراء ينتهي إلى الساحل، أخذ فيليب نفسًا عميقًا واستند على الباب المجاور فاحتكت بمعصمه ورقة مطوية وضعت بجيب الباب، لم يكن بالجيب غيرها ولم يعتد أن يضع به شيئًا ففتحها ليقرأ:

"السيد/ فيليب

تحيه وبعد..

أتاني يصهار بعدما خرج من السجن يخبرني برغبته الجامحة في أذاك، ولما حاولت رده عن نيته رفض تمامًا وظل متمسكًا بقراره، الآن اسأل السائق عن الرجل الذي أتاه في الحادية عشرة مساءً"

***

رمق السائق، ثم قال بصوت قلق: من الذي أتاك عند الحادية عشرة؟

صمت السائق يتذكر ثم قال: رجل أقرع يرتدي قميصًا بنيًا، وقد أخبرني أنه أتى ليتفقد السيارة.

عاد فيليب إلى الخطاب ليقرأ: "نعم، إن شعر يصهار قد فارقه من العام الثالث من محبسه، لكن لا أعلم ماذا كان يعتطف، يسرني أن أخبرك أنه قد

وضع حقيبة تحوي قنبلة شديدة الانفجار في سيارتك وستنفجر بعد عشر دقائق من تمام الساعة الواحدة"

اتسعت عينا فيليب فزعًا ورمق ساعته سريعًا ليبصر تمام الواحدة، نظر إلى السائق ثم قال بأعلى صوته: توقف الآن، أوقف تلك السيارة اللعينة.

مال السائق بسيارته على جانب الطريق وضغط المكابح فنزل فيليب يركض بأقصى قوته نحو الصحراء والحرس والسائق يرمقونه بتعجب، مرت سبع دقائق قبل أن يخرج السائق يركض خلفه ثم الحرس، ابتعد الحراس عن السيارة ثلاث أمتار قبل أن تنفجر القنبلة ممزقة لأجزاء السيارة التي تطايرت كالورقة في مهب الريح فاصطدمت بحارسين فسقطا قتيلين فورًا وطار الآخرون من أثر الضغط، ثم سقطا في الصحراء وقد انصهرت إطارات السيارة الأخرى من الحرارة.

لم يكن يخلفهم أو يتقدمهم سيارة أخرى ولم يحرك الطريق ساكنًا سوى من صوت النار تلتهم السيارة بما فيها وتضيء الطريق مع نور خفيف أرسله نصف القمر، جلس فيليب يرمق النار بفزع من مستقبله والحرس يتحسسون موقعه حتى أدركوه وجلسوا بجواره، تنحنح السائق قائلًا: ما هذا سيدي؟ أله علاقة بمن أتاني؟

فيليب بغضب: نعم، لقد وضع قنبلة في السيارة يا أبله.

السائق خائفًا: وما أدراني بهذا؟! لقد أخرج لي ورقة تحوي توقيعك وأخبرني أنك من أرسلته.

فيليب: وهل كانت السيارة بحاجة إلى صيانة؟!

هم السائق بالحديث فقاطعه قائلًا: عندما نعود عليك أن تبحث عن عمل آخر، أنت مفصول.

لم يرد السائق وألقى بصره على القمر يشكو قله حيلته وحظه، لم يكن أمامهم خيار سوى الانتظار حتى يشعر بفقدهم أحد، انتصفت الساعة بعد الثانية في مكتب مدير مصانع الملح التي يملكها فيليب على الساحل فاتصل بمكتب فيليب الرئيسي الذي أخبره بخروجه منذ بضع ساعات إلا النصف وكان يتوقع وصولهم في الثانية والنصف، أتمت الساعة دقائقها الثلاث فاهتزت سماعة الهاتف في مكتب المدير، رفعها يقول: مكتب المدير، من المتصل؟

المتصل: أنا أحد سائقي النقل على الطريق السريع، لقد وجدنا سيارة متفحمة وأخرى بجوارها وأربع أفراد في الصحراء أحدهم يدعى فيليب، وقد أعطاني هاتفك لأخبرك بالأمر.

انتفض المدير قائلًا: وما الذي حدث؟

المتصل: لا أعلم، لكننا وجدنا جثتين أخبرنا فيليب أنهم حراسه وقد قتلهم الانفجار.

المدير: وأين هم الآن؟

المتصل: تم نقل الجثث لمشفى الطريق وحضرت الشرطة للمعاينة

وفيليب وباقي الحرس ركبوا سيارة أخرى قادمين إليك.

المدير: حسنًا.

***

قبل أن يركب فيليب ومن معه السيارة استجوبتهم الشرطة عما حدث فأخبرهم فيليب أن أحدًا يدعى يصهار قد وضع له قنبلة في السيارة، فسألوه عن الدليل ولكنه قد ترك الخطاب واحترق في السيارة، كتب المحقق أقواله وسمح له بالانصراف وأصدر أمرًا بالقبض على يصهار ثم أمر بإخراجه لعدم كفاية الأدلة، راح فيليب في طريقه وقد أيقن أن حياته مهددة بالخطر وعزم على أن يتعاون مع الزعيم في مخططه، أدرك المصنع فولج مكتب المدير الذي قام له قائلًا: خيرًا سيدي.

فيليب: لقد انفجرت السيارة على الطريق ومات اثنين من الحراس.

المدير: ومن الذي فعل ذلك؟

فيليب: لا أعلم، ولكن سأعرفه وأقتله.

المدير: حسنًا، هل ستقدر على العمل الآن؟

فيليب: لا أظن ذلك، سأتمه لاحقًا.

صمت الجميع ثم مرت بضع دقائق قبل ولوج أحدهم يخبر فيليب بخطاب قد وصل له، فتحه ليقرأ:

"السيد/ فيليب

تحيه وبعد..

إذا وصلك ذلك الخطاب فأنت قرأت الخطاب في الوقت المناسب ونجوت بحياتك، أنا أستطيع أن أكف عنك أذى يصهار وسأساعدك على التخلص منه، انتظر الأوامر قريبًا ويجب تنفيذها كما هي حتى لا تكون العواقب وخيمة"

أغلق الخطاب ووضعه في جيبه، ثم قام يسلم على المدير ونزل إلى الطريق يقصد بيته ثم غير وجهته لبيت آخر لا يعلم مكانه العامة لزيادة التأمين، لكنه لا يعلم أنه مراقب حتى في أكثر الأماكن تحصينًا.

الثانية ظهرًا..

تزاحمت البذلات الأنيقة مجاورة لآلات تصوير صغيرة ومسجلات صوت أمام جدار طويل يخلفه بناء ضخم تستوي فوقه قبة كبيرة قد امتلأ بالبشر على كافة وظائفهم من رجال أمن وأعضاء، كانت تلك الجلسة الافتتاحية لمجلس النواب بعد انتهاء مراسم الانتخابات التي شارك فيها أخيل وحقق انتصارًا ساحقًا على منافسة العنيد بعدما أغدق ما أغدق من الأموال على أولي الأمر والمأمورين في دائرته.

***

المجلس يتحضر للجلسة ويرتب الأعضاء أوراقهم وكلماتهم التي أعدوها ليفرض كل منهم نفوذه في المجلس ويحوز على إعجاب منتخبيه، ولج أخيل باب المجلس وراح يوزع نظراته على الأعضاء يتفقدهم وقد تملكه شعور أن حلمًا يراوده وسرعان ما سيستيقظ منه، لقد أصبح أحد أعضاء المجلس الموقر ولن يجرؤ أحد على أن يحاسبه على أفعاله إذا انكشف أمره، جلس بمَقْعَده وقد حرص على أن يبدأ في توطيد علاقاته مع من لهم ثقل ومكانة رفيعة اجتماعيًا، عرج مفتتح الجلسة إلى مَقْعَده الذي يتوسط المجلس وعاد كلٌ إلى مَقْعَده، ربت على المذياع يختبره، ثم قال: نفتتح الآن أولى الجلسات بمراسم انتخاب الرئيس والوكيلين.

***

استمرت الجلسة حتى انتهت المراسم وأعلن أكبر الأعضاء سنًا اسم رئيس المجلس والوكيلين وفاز أخيل بمنصب أحد الوكلاء، بعد أن أدّى الأعضاء اليمين الدستورية واستماعهم للخطابات الرنانة، انتهت الجلسة وخرج الجميع ينتظرهم مواكبهم وحراسهم، عاد أخيل إلى منزله وقد بلغ الفخر منه مبلغه، ولج البوابة وبدّل ثيابه ثم نزل إلى الفِنَاء وجلس يرمق إحدى اللوحات الأثرية التي كلفته مالًا طائلًا بعدما استغل حائزها شغفه الشديد باقتنائها، كانت لوحة للفنان بابلو بيكاسو رائد المدرسة التكعيبية للفن التشكيلي.

***

قطع تأمله أحد الحراس يقول: السيد أغسطس يريد مقابلتك سيدي.

اعتدل في جلسته قائلًا: اسمح له بالدخول.

مرت بضع ثوان قبل أن يلج أغسطس البوابة في حين قام له أخيل يسلم عليه ثم جلس، تنحنح أغسطس ثم قال: أودّ أن أهنئك على مَقْعَد مجلس النواب.

أخيل: أشكرك على ذلك، وكيف حالك أنت؟

أغسطس: لست بخير، ولقد أتيت لك لأستعيد ما فقدت.

بدت أمارات الاستفهام على وجه أخيل فاستأنف: أتذكر لوحة نهر السين التي اشتريتها من إبرام؟

أخيل: نعم.

أغسطس: هذه ملك لي، ولم أعطها لإبرام حتى يبيعها.

أخيل: وما شأني أنا بتلك الأمور؟

أغسطس: في الواقع هي ليست لي، هي لأحد كبار رجال الأعمال في البلاد وكانت عندي، وقد أرسلني إليك لأفاوضك عليها.

أخيل: أعتذر عن ذلك، لن أبيع لك تلك اللوحة.

أغسطس: وأنا لم أذكر لك أمر البيع، لقد جئت لأعقد معك صفقة.

أخيل: وما هي؟

أغسطس: لقد أرسلني الزعيم لأخبرك أنه قد رتب لمخطط يستعيد به بعض ما فقد في الآونة الأخيرة ويودّ أن تشارك فيه.

أخيل: وما الذي يدفعني إلى ذلك؟

أغسطس: المال واللوحات، ألا تحبهم؟

أخيل: هذا كله لا يتعدى حدود شفتيك، أين الواقع؟!

أغسطس : بمجرد بَدْء المخطط سترى.

أخيل: وما المطلوب مني؟

أغسطس: أتعرف رجل الأعمال فيليب؟

أخيل: بالتأكيد.

أغسطس: أخبرني الزعيم أنه قد خطط لإشعاره أنه في خطر عن طريقك لإقحامه في المخطط.

أخيل: وما فائدة ذلك؟

أغسطس: الفائدة أنه سيرغب في استرداد شعوره بالأمن فيوافق على الاشتراك في المخطط بسهولة فيسهل ابتزازه وأخذ ما نشاء من الأموال وسينوبك منها جانب.

صمت أخيل يفكر ثم استأنف: وبما أنني أحد المشاركين فإن مصلحتي هي أن أحصل على إبرام سارق اللوحة.

أخيل: وما فائدة ذلك؟

أغسطس: الثأر، كما أن أوامر الزعيم كذلك حتى يتم ما أراد.

أخيل: وكيف يتم؟

أغسطس: في أول مرة يأتي إليك مستقبلًا سترسل إليَّ رسالة تخبرني أنه عندك وعليَّ الباقي، كما أنك ستحصل على اللوحة التي سيأتي بها إليك دون أدنى مقابل لأنني سأطارده حتى يخرج من بيتك كما أمر الزعيم.

***

لم يرد أخيل فاستأنف: سيرسل إليك الزعيم خطابًا عند إتمام كل أمر

يخصك من ذلك المخطط، والآن عليك أن تقرر.

***

كان عرض أغسطس مغريًا لنفس أخيل التي تحب المال أكثر من نفسها كما كان مغريًا لشغفه الشديد باللوحات الأثرية وإغداق الأموال بلا حساب لاقتنائها، صمت حينًا يقدر المكاسب والخسائر، راودته الحيرة عن الموافقة حيث بدت الخسائر مبهمة له، إلا أن بريق المكاسب قد أعمى عينه عن ذلك فردّ بالموافقة، ابتسم أغسطس لذلك ثم قال: حسنًا، ستصلك الأوامر قريبًا وعليك أن تحضر اجتماعًا سيحضره كل المشاركين في الخُطَّة ستعلم بموقعه لاحقًا.

أومأ إيجابًا فقام من مَقْعَده يسلم عليه وانصرف، جلس يشعل لفافة تبغ شاردًا يخطط كيف سيؤمن نفسه بعد قلق أصابه من ذلك الحديث، قام إلى فناء منزله يرمق لوحة بيسارو الفريدة، شعر أنها مصدر خطر عليه وعلى حياته، استدعى أحد الحراس وأمره أن ينزلها من على جدار الفِنَاء ويضعها في غرفته لحين إيجاد مكان مناسب، عاد خارجًا وجلس يعبث بشيبته التي تسارعت في النمو عقب سن الأربعين لما رآه في مسيرته.

***

ذكر أول أيام عمله حينما كان جالسًا خلف راقصه ينْظم لها لحنًا تتموج على إثره ثنياتها من قطعتي معدن علقهما في أصابعه يصدمهما ببعض ويصدم عقول الندماء ارتفاع نهودها عند أول دقة، ثم انخفاضهم عند الثانية، ثم إلى

مدير أعمالها، الآن أصبح وكيل المجلس الموقر، إنها الدنيا حين تعطي بدم بارد من لا يستحق الغاية التي يفني من أجلها المستحق.

الثانية عشر مساءً..

واصلت الأرض دورانها حتى سأمت الشمس مكانها وراحت إلى أماكن أخرى قد غابت عنها طيلة الساعات الماضية، ازدادت أعداد البشر السائرين في النقصان وهمّ أكثرهم إلى بيوتهم ليمنحوا عطلة لأجسادهم لبضع ساعات بعد صباح من العناء وبقى بعضهم ممن لم ينته عناؤهم حتى أظلم الكون عليهم، في أحد الأماكن المضاءة بالأضواء الاصطناعية التي ينعم بها جميع البشر وأكثرهم لا يعلم صانعها الذي دانت له البشرية بالفضل على أشباهه من الناس، يقبع نيرو في إحدى الحانات ينفث دُخَان لفافة تبغ قد أشعلها منذ قليل، التبغ الذي أرجأته الأقدار إلى إدمانه واعتبره الصديق الذي يهدئ روعته، كان قد تسلم عمله في هذه الحانة بعد يومين من بقاءه في الطرقات بلا طعام، أدرك أنه سيموت جوعًا فقرر أن يعمل في هذه الحانة حتى يحصل على المال لحين إتمام انتقامه، ذكر أنه قد ألحّ على صاحب الحانة يوم راح إليها أن يأخذ أجر ليلته مقدمًا حتى يقيم صلبه بأي شيء ليكمل عمله وكيف كان يأكل بشراسة حتى كاد يلتهم أصابعه، لم يكن يملك من حُطَام الدنيا إلا مالًا قد خصصه لطعامه الذي لا يكفيه بعد حياة الترف التي كان يعيشها وورقة قد أمدته بالأمل في عودة حياته السابقة، تبدُل الحال من القمة إلى القاع هو أسوأ ما قد يصيب بني البشر مهما كانت درجة صبرهم وجلدهم، بعدما كان في مصاف الأغنياء في البلاد أصبح لا يجد مكانًا في مصاف الفقراء المدقعين،

تولد الانتقام وسكن نفسه حتى التهمها وزاده هذا الخطاب، احترقت لفافة التبغ إلى آخرها في وقت شروده حتى أفزعه صوت (مايكل) صاحب الحانة بأمره بالانتباه للندماء الجالسين أمامه، رجل أعور قد أذاب الكحول كبده وعقله فأصبح في حالة السكْر دائمًا، أما فيما يخص عمله وأمواله فقد كان متيقظًا ينتبه لكل حركة وسكنة ودائم الرقة مع الندماء، كان نيرو يتعجب من موافقته على أخذ أجر أول ليلة مقدمًا بعدما تعامل معه في مجال العمل، لكن هذا جعله يدرك أنه مهما زادت قسوة قلب أحدهم فهناك رفق ولين يجاور القسوة ولو كان قليلًا، نبهه مايكل بصوته الجهور المتقطع قائلًا: نيرو، أنا أكره الشرود والشاردين، حافظ على بقائك في عملك.

***

كانت نيكول تقوم بعملها وعمله ولم يطلب منها ذلك، شابة قد وسمت الحسنى بأعطافها فزادته حسنًا، منذ وقت طويل وهي تعمل في الحانة ولم تسمها بأخلاق سيئة على عكس رفيقاتها في العمل ممن يعملون في الحانة والبيوت، اتخذ قلبها مسارًا مغايرًا لم تكن قد وضعته في الحسبان بحبها لنيرو، لم تكن تدرك غاية خلق الحَيْرَة.. أمن أجل اختيار القرار الصائب أم ليغرق عقلها في غيبات الظنون، كما أن فرق العمر بينهما أصابها بالتخبط في اتخاذ قرارها، إلا أن القلب كيان مستقل لا يعترف بقرارات العقل ولا يكترث بأمره أو نهيه، انتبه نيرو من شروده وعاد إلى عمله في ملء الكؤوس والإنصات إلى الأحاديث البائسة التي يبثها جالسو البار ما بين حب قد

مات وبين خيانة الأقدار لهم، كان دوامهما قد اقترب من نهايته حتى أتى أحدهم إلى البار وجلس يطلب كأسًا من النبيذ، لم يكن على البار حينها إلا هو وشخص آخر قد سقط من زيادة ما قد تجرعه في ليلته بعدما فرغ أكثر المرتادين من ليلتهم وهمّوا إلى بيوتهم أو إلى حيث يذهبون، أجاب نيرو طلبه ثم تأكد من عدم وجود أشخاص آخرين فسكن عائدًا إلى شروده، لاحظ الرجل نيرو فتنحنح ثم قال: ماذا بك؟

نيرو: لا شيء.

الرجل: نعم إني أصدقك، وجهك يوحي بالسعادة الغامرة.

نظر له نيرو في شيء من الريبة قد امتزج بالضجر من حديثه الذي لم يبدأ بعد، صمت الرجل قليلًا ثم استأنف: أتعلم، لا أحد في هذه الدنيا أبأس مني في شيء، ما حدث معي يكفي أي بشري حتى يقدم على الانتحار، ولكنني لم أفكر في ذلك فأنا أعتبر نفسي أثمن من تلك الميتة البائسة.

نيرو: وماذا حدث لك؟

الرجل: كان لي أخ يشاركني في أعمالي وكانت أعمالنا في مصاف أكبر الأعمال في البلاد، لكن الطمع قتل نفس أخي فدبّر لي حادثًا أودعت على إثره بالعناية المركزة، ثم فوجئت أنه قد جردني من كل شيء وأخذ كل أعمالي لحسابه بعدما أعلن نبأ وفاتي، هل وجدت من هو أبأس مني؟!

أبصره نيرو في تعجب وشك بالغين، لقد تطابقت هذه الأحداث مع

ما حدث له مؤخرًا، ظل يرمقه مستجديًا المزيد من الحديث ولكنه سكت، غضب نيرو من صمته فأثاره قائلًا: من أنت؟

الرجل: أنا قرينك من الإنس.

همّ نيرو بالكلام فقام الرجل تاركًا ثمن النبيذ بصحبة ورقه مطوية وقال: اقرأها، ثم راح.

ظل نيرو على حاله يبصره حتى طواه عن نظره باب الحانة لما خرج منه، كانت نيكول ترمقه منذ بدأ حديثه حتى همّ نيرو أن يفتح تلك الورقة فقرأ:

"السيد نيرو

تحية وبعد..

قد بلغني أن غدًا هو يوم عطلتك ولن تحتاج إلى سبات النهار حتى تنشط ليلًا فارتأى لي أن غدًا هو أنسب الأيام لبدء مهمتك، في مثل يوم غد الأسبوع القادم ستذهب إلى قائد الشرطة لتخبره أن هناك منظمة ستستهدف شخصيات عامة وأنك ستخلصه منهم، ولا أظن أنه سيجادلك في حالته الحرجة التي أعلم سببها، انتقِ كلماتك واحرص على ألا يعتقلك، أما اليوم فبعد فراغ دوامك ستروح إلى حيث اجتمعنا من قبل، ستجد سترة واحدة في المكان ستأخذها وتضعها في الصندوق الكائن بالطريق الذي يسبق منطقة قيادة الشرطة من اتجاهك، أعلم أنك ستتم مهمتك على أكمل وجه.

الزعيم"

***

أغلق نيرو الورقة وعاد شروده يفكر فيما سيقول من لحظتها، لم تكن نيكول قد باحت بما يجول في خاطرها تجاهه بعد بل كانت تنتظر لحظة مناسبة لا تعلم متى ستأتي أو في أي مكان، نظرت إلى الساعة لتدرك نصف ساعة قد تبقت في الدوام، أخذت نفسًا عميقًا تستكين به بعدما قررت إخباره ليلتها ثم انتظرت قليلًا حتى يغيب مايكل عن المشهد، لم ينبه نيرو هذه المرة لما رأى البار فارغًا فتركه إلى رأسه يعبث به، ولج أحد غرف الحانة فقامت نيكول من مَقْعَدها تقصد نيرو، نادته باسمه فلم ينتبه، تخشى أن يفزع من تنبيهها إذا كان حسيًا ولكنها أصرت على ذلك فربتت على منكبه برفق قائلة: نيرو.

حدث ما كانت تخشاه فانتبه لها فزعًا، ثم قال: ماذا، ماذا هناك؟!

أعادت نيكول يدها لجنبها قائلة: اهدأ، هذه أنا نيكول.

نيرو: ماذا تريدين؟

صمتت نيكول قليلًا وهي ترمقه كأنما تعاتبه على رده الذي بدا قاسيًا لها، كان نيرو قد فقد الثقة في جميع البشر واستحال عدم الثقة إلى كراهية عمياء، فكان رده هذا نتيجة لما يشعر به، أدركت ذلك نيكول فقالت: لا شيء، أريد أن أتحدث معك قليلًا.

نيرو: عن أي شيء تريدين التحدث؟

نيكول: عنك.

نيرو: كيف؟

نيكول: من أين أتيت وما حكايتك؟

أعرض عنها نيرو فلم يكن يتحمل الحديث عن أي شيء قد مضى، كما أنها غريبة عنه ولا يحق لها في نظره أن تسأل، نظرت نيكول إلى الساعة التي أعلنت عن انقضاء آخر نصف ساعة من الدوام ولحظت نيرو لتجده قد قام إلى خارج الحانة، ركضت خلفه تستوقفه فانتبه لها قائلًا: ماذا تريدين أيتها المرأة؟!

نيكول: أريدك أن تأتي معي إلى بيتي.

نيرو: لا أملك المال حتى أعطيكِ بعد قضاء الليلة.. اذهبي عني.

نيكول: ومن قال لك أني سأقضي معك ليلة؟! أترى جميع النساء عاهرات!

نيرو: إذًا أخبريني ما الأمر؟

نيكول: اسمح لي فقط أن أصحبك إلى منزلي.

سكت نيرو قليلًا ثم رد: حسنًا.

***

ابتسمت نيكول ابتسامة طفيفة ثم أشارت له أن يتقدم، كان نيرو قد تقبل طلبها على مضض على الرغم من جمالها الذي حث مايكل على مشاغلتها

ذهابًا وإيابًا وغيره من مرتادي الحانة، لكنها لم تنجذب لأي منهم ولو كانت لابتعدت عنه في الحال حين تعلم غرضه منها، مشى نيرو ببطء يلحظها وتقدمته حتى ترشده، راح عقل نيرو تاركًا قضيته إلى أمر تلك الفتاة، لم يكن يدرك أنها قد انشغلت بغرامه الذي لا تعلم هي من أين أتت به فأخذ حذره منها حتى يدرك ما تريد ثم ينصرف، ظلا على صمتهما حتى أدركا المنزل، ولجت وأضاءت المصابيح ثم أشارت له أن يلج، جلسا في الفِنَاء وقالت: أتريد أن تشرب شيئًا؟

نيرو: لا، فقط أخبريني ماذا تريدين؟

نيكول: ولم العجلة؟! هل رتبت لشيء ما هذه الليلة؟

نيرو: لا ولكنني أريد النوم.

نيكول: هل تعيش قريبًا من هنا؟

نيرو: مجاورًا للحانة.

نيكول: أعلم أنك قد استأجرت أحد المخازن في الحانة لتنام فيه، ولا يبدو عليك أنك قد ولدت في هذه الظروف، هل لي أن أعلم أمرك؟

زفر من نفاد صبره من إلحاحها، ولكنه قرر أن يخبرها بالحقيقة مجزئة حسب سؤالها، أقل القليل سيتخلص من تلك الثرثرة، تنحنح قائلًا: كان لديَّ منزل، ثم فقدته.

نيكول ضاحكة: هل سُرق منك بأحد الميادين؟

نظر لها نيرو في غضب فاستأنفت: لا أقصد الإهانة، إنما أحاول كسر حدة التوتر لديك، لا تخف مني فأنا أضعف مما تتصور.

لم يعقب فاستأنفت: وكيف فقدته؟

سأم تعاقب الأسئلة فقال: كان لي أخ قد دبر لي حادثًا أودعت على إثره بالعناية المركزة، استيقظت بعدها يومًا ما لأجد نفسي لا أملك شيئًا بعدما استحوذ على كل ما أملك.

نيكول: وما الذي يمنعك من العودة؟

نيرو: أنا بنظر البشر والقانون ميت، فقد عقد جنازتي وأخذ عزائي وانتهى الأمر.

نيكول: وهل قررت التخلي عما تملك؟

سكت نيرو متذكرًا أمر المنظمة الذي عزم على ألا يخبرها به فقال: وماذا عساي أن أفعل؟

نيكول: لا أعلم، لكنني أعتقد أن أحدًا يترك حقه لا يستحق الحياة.

رمقها نيرو بنظرة مطولة لم تعلم نيكول ما يدور برأسه ثم قال: وما الذي يهمك في هذا الأمر؟

صمتت نيكول تتجهز لتبوح، ثم قالت: ما يهمني هو أنت، من أول يوم قدمت إلى الحانة وقد شعرت بشيء ما يجذبني إليك ثم استحال ذلك إلى حب أعترف به الآن.

رمقها بشيء من العجب من لباقتها وجرأتها في حديثها، كيف لها أن تقول مثل هذا القول لشخص غريب عنها، كاد أن يصدقها ولكنه استدرك نفسه لما أدرك حاله وظن أنها تشفق عليه لا أكثر، كما أنه لم يكن قد بادلها هذا الحب بعد، انتهى من حديث نفسه ثم قال: من الجيد أن يكون لديك قلب مشفق على التعساء أمثالي، لكنني أرى أنه لا حق لك بهذا الكلام عن حبك لي فأنا أتقبل مصيري وأرضى به.

هزّت نيكول رأسها لا إراديًا تنفي حديثه في نفسها، ثم قام من مَقْعَده قائلًا: اسمحي لي أن أروح.

نيكول: لا، أنت ستبقى معي هنا، فكما ترى أنا أعيش وحيدة.

نيرو: أستسمحك أن أروح مرة أخرى.

ربتت على منكبه تهدئ توتره، ثم قالت: اسمح لي أنت أن أبقي عليك في منزلي.

نيرو: أنا لا أقبل شفقة أحد.

نيكول: ومن قال إنني أشفق عليك؟! إن كان لا محالة فستعطيني نصف ما كنت تعطي مايكل من أجل المخزن وهذا يكفيني.

سكت حينًا ثم قال بعزة نفس: حسنًا، ثم أخرج المال ووضعه على الطاولة قائلًا: أرشديني إلى غرفتي فأنا أريد النوم.

أشارت نيكول لإحدى الغرف فولجها صامتًا ثم استلقى على الفراش

بعدما اطمأن إلى فراغ جيوبه من أي شيء ستطمع فيه، وقد عزمت نيكول على وضع المال على الطاولة المجاورة للفراش حين يغرق في السُبات.

الطابق الثاني..

دارت ملعقة حديدية سبع دورات في كوب الشاي حتى تداخلت ذرّات السكّر في ذرّات الماء الساخن، ثم تصاعد البخار وسكن التفل في قاع الكوب، كان نيرو قد راح بعقله لأبعاد تخطّت نطاق الواقع يخطط لما سيُقْدم عليه، أخذ كوب الشاي ما يكفيه من الوقت ليفْرغ حرارته، ثم ارتفع منطبقًا على شفته السفلى وارتشف بعضًا منه، الشاي الذي يمثل له الصديق الرزين الذي يهدئ روْع صديقه برزانته، ظلّ جسده ساكنًا إلا راحته التي تناوبت على فْيه بالكوب ثم قام متجهًا إلى الدولاب، استعاد جزءًا كبيرًا من ثباته ثم جلب سُترة بنّية ونمّق مظهره كأنما يقبل إلى زفافه، انتهى من اعتطافه ثم عاد بضعة خطوات وجلب سُترة من خلف الباب ونزل إلى الطريق، ضربت أشعة الشمس قرنيته فضيّق جفناه وأخفض حاجبيه من أثرها، توقف بضع دقائق أمام باب البيت مشعلًا لفافة تبغ ونفث دخانها ببطء شديد، أتمّت اللفافة احتراقها فانطلق قاصدًا صندوقًا قد وُضِع على بعد ليس بكبير، فتح بابه ووضع السُترة به ثم غيّر وجهته إلى أن أدرك المنطقة المركزية للشرطة، ارتفعت رأسه إلى السماء ليتفحّص محتوى المبنى من الخارج، جدار خرساني لا يُرى آخره يحيط بمبنى وحيد اللون تتخلله نوافذ ضيّقه قد وُضِع على بعضها حديد متشابك لدرجة تكاد تحجب الرؤية عن داخلها أو خارجها، أدرك بصره الطابق الثاني حيث يقبع رجل يرتدي بذلة لا يُرى معظمها من

تزاحم النياشين والأوسمة، استوى فوق منكبيه رأس قد خارت قواها من انشغال وأرق دام يومين، كانت تخص قائد الشرطة الذي علِم باحتمالية فقْده لمنصبه بعد تقصير قد شعر به الرئيس فيما يخص قضية رجل الأعمال الذي قُتل منذ مدّة، لكن التقصير كان من الواقع الذي أنصف القاتل عليه ولم يعطه من أثره إلا زر بلاستيكي من سُترته، انعدمت الرؤية عن عينه لما أطْبق راحتيه على جفنيه في محاولة يائسة لإيقاف شلال الأفكار والظنون، أنزل نيرو عينه إلى البوابة الرئيسة ثم أقبل إلى الباب يطرقه، فتح الجندي من الداخل نافذة حديدية صغيرة ليتحقق من وجهه، استدركه نيرو بقوله: هل أتى قائد الشرطة اليوم؟

الجندي: نعم، ماذا تريد؟

نيرو: أريد محادثته في أمر خطير لا يحتمل الانتظار.

الجندي: انتظر لحظة أخبره.

وقف نيرو للحظات سمع فيها أصوات متضاربة إلى أن وصل الخبر لقائد الشرطة، كان الجنود قد تناوبوا الخبر حتى وصلت إلى قائد الشرطة جملة "أحدهم يريد مقابلتك لأمر يتعلق بمستقبلك" وكانت هذه إحدى اللحظات النادرة التي أصاب فيها تجويد البشر المعنى، أو إن صح التعبير أصاب نقل الكلام المعنى باختلاف المفردات، عاد الجندي إلى نيرو ليخبره بقبول طلبه في مقابلة القائد، أخذ نيرو نفسًا عميقًا ثم دقت قدماه أرض المبنى لتعلن بدء عملية محكمة، سيحقق الشيطان هدفه دون أن يعلم أحد

بوجوده وتساعده الظروف بأناس لا يخوّنونه أبدًا، دخل نيرو تخترقه نظرات ترقّب وتساؤل معتادة من رجال الأمن، لم يعبأ بهم وتقدم حتى ركب الرافع الكهربائي حتى وصل للطابق المطلوب، ثم سأل على مكتب قائد الشرطة، أوصله الجندي وخرج مغلقًا الباب خلفه، نظر قائد الشرطة له بضع دقائق يتفحّصه ثم قال: أخبروني أنك تريد مقابلتي، ماذا تريد؟

نيرو: في أرض الواقع أبدو في وضع السائل، أما حقيقة الوضع تبدو أنت السائل.

تعجّب قائد الشرطة من طلاقة لسمها في لغته ولكنه أظهر عدم الاهتمام قائلًا: قلت لك ماذا تريد.

نيرو: وقد أجبتك.

قائد الشرطة: إذًا أخبرني ماذا أريد أنا.

نيرو: أودّ أن أعلمك ببعض القواعد قبل الاتفاق، القسوة في التعامل والضغط وخلافه لن يجدي معي نفعًا، دعنا من هذا، ما سأطلبه منك يستحق العناء لسداده، والآن أصغ إليَّ، هل تذكر رجل الأعمال الذي قُتل منذ مدّة ولم تجدوا شيئًا إلا زر بلاستيكي؟

القائد: نعم أذكر.

نيرو: وماذا تبعها؟

صمت القائد في محاوله تضميد الجراح مما سمعه صباح اليوم، ثم قال: لا

شيء، سنجد القاتل قريبًا.

نيرو: وكيف ستجدونه؟! هل ستسألون الزر على مكانه أم أنكم ستعتقلون جميع من يرتدي السترات في البلاد؟!

صمت قائد الشرطة فارتخى نيرو في مَقْعَده قائلًا: هذه البلاد لا يؤتمن فيها على السر إلا خالقها، قد سمعت بأمر احتمالية عزلك من منصبك.

هزّ قائد الشرطة رأسه يطلب التوضيح فاستأنف نيرو: أكانت تلك الذلة الوحيدة التي وقعت فيها طول مدتك كقائد؟

القائد: نعم.

نيرو: ولماذا تهرول خلف ما ستفقده؟

قائد الشرطة: لأني لا أحسن إلا هذه المهنة.

نيرو: لا تُحسن إلا إحكام قبضتك على الناس، حياة بائسة لعمر قصير.

بدأ صبر قائد الشرطة بالنفاد وشعر بذلك نيرو فاستدركه: أستطيع منح فرصة أخرى لك للحفاظ على منصبك.

قائد الشرطة: كيف هذا! هل ستخاطب الرئيس؟

نيرو: بلا أي مخاطبة لأحد، اتفاق بسيط بيننا لا يقتصر على ثباتك في منصبك بل ويعلي من شأنك أمام العامة والساسة.

قائد الشرطة: وما هو؟

أخرج نيرو لفافة تبغ ببطء وأشعلها محدّقًا في وجهه، ثم قال: ذلك الرجل الذي قُتل كان أول أهداف المنظمة.

قائد الشرطة: عن أي شيء تتحدث؟

نيرو: منظمة قد نشأت وستستهدف بعض الشخصيات العامة.

قائد الشرطة: ماذا تعلم عن هذه المنظمة؟

نيرو: ليس لدي أي معلومات سوى أنني أستطيع التخلّص منهم جميعًا.

قائد الشرطة: إذًا فافعل هذا ما الذي يمنعك؟!

نيرو: وما الذي يحملني على قتلهم فهم ليسوا أعدائي.

استند قائد الشرطة إلى مَقْعَده فاستأنف نيرو: ألا تتخيل المكانة الرفيعة التي تنتظرك في حال أسقطت تلك المنظمة واسمك الذي سيذكره الناس كثيرًا؟!

قائد الشرطة: وما المقابل؟

نيرو: حزم قليلة من المال تكفيني.

صمت قائد الشرطة يفكّر، إنه عرض مغرٍ ينقذه من محنته، بعد تفكير مرير قرر مماطلته فقال: الشرطة تستطيع أن توقع بهم جميعًا، فما حاجتي إليك؟

نيرو: وهل أوقعت بالقاتل الأول حتى توقع بغيره؟!

اقتنع قائد الشرطة بكلامه، سواءً أكان صادقًا أو كاذبًا لن يضرّه ذلك،

حتى الأموال التي سيدفعها له ليست من حسابه، حسم أمره بالتعاون معه ومدّ يده خلفه وفتح خزانة عميقة في الجدار وأخرج له ثلاثة ألف ألف دولار قائلًا: أيكفيك هذا؟

نيرو: نعم، الطمع يقتل النفوس.

أخرج قائد الشرطة حقيبة ووضع بها المال وأعطاها له، أخذها نيرو ثم قال: كلما خطوت خطوة في هذا الأمر سأعلمك بها، اِيذن لي بالرحيل.

قام من مكانه متّجهًا إلى الباب، توقف قليلًا أمامه مستأنفًا: إذا شعرت بأي تدخل للشرطة في الأمر سأعتبر اتفاقنا لاغيًا ودع الشرطة تنفعك، خرج من مكتب القائد وقد أخذ معه عينا القائد الذي أسره بثباته، ظل على وضعه قليلًا، ثم أشعل لفافة تبغ تساعده على التفكير، كيف له أن يتم هذا المخطط دون علم أفراد الشرطة؟! لم يكن يعلم متى سيبدأ هذا الرجل في خطته فمن الممكن أن يبدأ بعد شهر، أو يبدأ الآن! أفزعته فكره التعجّل ببدء المخطط فرفع سماعة الهاتف متصلًا بأحدهم قائلًا: أنتظرك في مكتبي بعد قليل.

***

على جانب آخر من اليابسة أغلق سماعة الهاتف (دانيال)، رجل قد انتهت ترقياته حتى أصبح الرجل الثاني في الشرطة بعد القائد، شديد الكبر والغطرسة من صلة القرابة بالقائد الذي كان ينتمي لعائلة قد خُلقت ليكون الكبْر خادمها، استقر رأي القائد على أنه ليس هناك من هو أفضل من دانيال حتى يساعده على ذلك، قام من مكتبه مرتديًا غطاء الرأس الخاص بالسترة

العسكرية ثم نزل حتى أدرك مكتب القائد، ولج يحييه ثم جلس قائلًا: ما الأمر أيها القائد؟

القائد: أتذكر رجل الأعمال الذي قُتل منذ مدّة؟

دانيال: نعم.

القائد: أنت على علم أن القضية قد قُيدت ضد مجهول وأن منصبي مهدد بالزوال على إثرها.

دانيال: نعم أعلم.

القائد: منذ قليل أتى إليَّ أحدهم يعرض عليَّ عرضًا غريبًا، لكنني أظن أنه قد يساعدني.

دانيال: وما هو؟

القائد: أخبرني أن مجموعة من البشر قد همّت بتصفية مجموعة من القيادات ورجال الأعمال في البلاد، ثم أخبرني أنه ينوي تصفيتهم بعيدًا عن أعين الشرطة وأن ينسب ذلك لنا لهدف شخصي لم يخبرني به.

دانيال: وما أدراك أنه صادق؟

القائد: لا أعلم، قد هممت أن أعتقله وأجعله يبوح بأسراره ولكني شعرت أن هذا الأمر لن يجدي نفعًا فقررت أن أتركه.

دانيال: ما المطلوب مني إذًا؟

أبت نفس القائد أن يقول أن هذا الرجل قد أمره أو أنه أخذ منه أموالًا فقال: طلب مني ألا تتدخل الشرطة في هذا الأمر وإلا سيعتبر اتفاقنا لاغيًا وأخبرني أن الشرطة ستفشل إذا تدخلت، وأنا قد سئمت الفشل وزاد خوفي على منصبي، كما أخشى أن يدفعه ذلك لاتخاذ ردود فعل عنيفة تطيح بنا جميعًا من عمليات قتل ممنهجة، في كل مرة تحدث جريمة قتل من الآن حتى انتهاء المخطط أريدك أن تحقق بها بنفسك، سيخبرني هو في كل مرة أنه قد قتل أحدهم، سأنسّق معك الأمر فإذا علمت أن المقتول منهم ستتدبر الأمر حيث يرى الناس أننا من قتلناه، بعد أسبوع من الآن ستصدر أوامرك إلى الصحف أن تكتب تقريرًا عن منظمة تنوي استهداف شخصيات عامة وتسعى الشرطة للتخلص منهم، حتى إذا تم الأمر تكتب الصحف أن الشرطة انتصرت على الجريمة ويصبح كل شيء على ما يرام.

أومأ دانيال برأسه إيجابًا فاستأنف: إذا تم الأمر فحق عليَّ أن أعطيك ما تريد، ثم ابتسم قائلًا: انصراف.

***

قام دانيال من مَقْعَده مُسلّمًا عليه ثم خرج يفكر فيما سيطلبه من القائد بعدما عزم على إتمام الأمر بكل الطرق.

السابعة مساءً..

منزل واسع يتألف من طابقين يقبع في الطابق الأول جرامفون فخم يصيح لحنًا هادئًا يتردد صداه في أنحاء الطابق من اتساعه مصطدمًا بإطارات نحاسية تحيط أعمالًا فيه تملأ الجدران توحي بمدى ثراء مالك المنزل، كان المالك هو فيليب، رجل يتأرجح عمره بين الشباب والهرم على عكس جسده الذي احتفظ بأقوى فترات شبابه من فرط اهتمامه به، كانت نفسه هادئة مستقرة في جميع الحالات حيث يغار منها الثبات الانفعالي نفسه، إلا أن الأحداث الأخيرة قد أصابته بتوتر لا يؤخر نومه ليلًا مدة تزيد عن الخمس دقائق، كانت تلك أعتى حالات التوتر بالنسبة له، المستقبل يوحي بتوقف رئة الماديات لديه عن التنفس وينذر بإفلاس وشيك، كانت تلك الدقائق التي تؤخر نومه تُستغرق في البحث عن الخطط البديلة، حتى الآن لم يظهر البديل الذي يعيد وتيرة يومه لطبيعتها

***

اعتاد السهر في الحانات التي يعتبرها أفضل الأماكن على وجه الأرض ويعرف قسماته جميع من بتلك الحانات ما بين الندماء وذرات الكحول والدخان حتى بائعات الهوى، قام من مَقْعَده ينوي ارتداء البذلة المختارة لتلك الليلة، يعشق الذهاب إلى الحانات مبكرًا والعودة بعد آخر فرد ينهي عمله فيها، انتهى من ردائه في حين التقطت أسماعه صوت اصطدام شيء ما

بزجاج الغرفة أحدث صوتًا مقتضبًا هرول على إثره للنافذة، فأبصر بومة عظيمة الجسد قد قُيد بقدمها عدة أوراق أسطوانية يتدلى من كل منها ورقة تحمل أسماء بعض الأشخاص، مر ببصره عليهم حتى أبصر اسمه بينهم.

***

اقتربت يده بحذر إلى قدم البومة والتقط الخطاب واضعًا إياه على منضدة مجاورة ثم حدّق قليلًا في الباقي، همّ أن يلتقط خطابًا آخر فثارت البومة وأصدرت صوتًا أصابه بالفزع فتراجع إلى الخلف ثم اختفت البومة، لاحق بصره صوت رفرفة أجنحتها ولكنه لم يرها فعاد إلى باب الغرفة ينوي الذهاب ثم إلى الخطاب بعدما استعادت ذاكرته ثباتها من لحظة الخوف من البومة، نظر إلى الخطاب بضع ثوان ثم حرره من أسر خيط قد أحكم إغلاقه وفتحه ليقرأ:

"السيد/ فيليب

تحية وبعد..

أعلم أن حياتك قد أصابها التوتر مؤخرًا بسبب اضطرابات أصابت مجال عملك وأخرى هددت حياتك، قد تتساءل مَن أنا أو كيف عرفت ذلك لكن هذا لا يفيدك، ما يجب معرفته أنني أنوي المساعدة خاصة وقد علمت أنك في حيرة من أمرك، وأنني أستطيع أن أخلصك من كل ذلك، المطلوب منك إذا كنت ترغب في مساعدتي أن تأتي لمقر اجتماع سوف أعقده وسأبلغك بميعاده لاحقًا، إذا تم تغيير أي شيء سأخبرك به، التفاصيل التي تتساءل

عنها ستعلمها بمجرد حضورك موعدنا، أتمنى لك ليلة سعيدة توفق فيها في تفكيرك"

***

مرّ بصر فيليب على تلك الكلمات مرارًا وشرد في تساؤلاته، نفض ذلك عن عقله وقرر أن يقضي ليلته بلا صخب يعكر صفوها، اعتطف نعله ونزل إلى الطريق قاصدًا الحانة، ولج الداخل تجذبه ذرات الكحول الحائرة في الهواء ما بين نفثة تبغ محترق وبين نفثة قلب مشتعل، جلس على البار وطلب كأسًا فارغة وصب جرعة مضاعفة اصطدمت بعقله الباطن فأثارت مخاوفه رغمًا عنه، ظل شلال الأفكار ينهمر حتى أغرقه ثم حدّق دقائقًا بباب الحانة حتى ولجها غريمه أخيل، تعجب من تلك المفاجأة العجيبة فلم يكن أخيل يأتي قبلًا، وصل إلى البار وجلس موزعًا بصره على الحضور حتى أبصر فيليب، نظر إليه قليلًا مبتسمًا ثم هز رأسه مثيرًا أعصابه، حاول فيليب تجاهله على الأقل من بصره ولكن لم يستطع ذلك، حوّل بصره بصعوبة إلى الأنثى التي تقف على البار فوجدها ترمقه بشرود، لوّح بيده منبهًا لها فانتبهت إلى من كان يطلب كأسًا بجواره، فرغت من طلبه فسألها فيليب: ماذا بك؟

الأنثى: لا شيء، أتعجب فقط من القدر.

فيليب: كيف؟

الأنثى: غاب عني من أحب، ولكن وجهه لم يغب قط حتى أني أراه في وجهك.

فيليب: هل أشبهه؟

الأنثى: لا، ولكن العقل الباطن لا يبصر بالعين المجردة وإذا وجد ما يشغل باله لا يستطيع أن يرى غيره.

فيليب: فهمت، لا تعلمين كم كنت أحتاج لمثل هذه الكلمات.

الأنثى: تخلص مما يشغل بالك حتى تعود عينك المجردة لعملها، فهي أفضل بكثير مما يراه الباطن.

***

هزّ رأسه مبتسماً ثم أخرج أموالًا كثيرة وضعها لها في الكأس وهمّ بالقيام، استوقفته قدماه واستدار عنقه يرمق أخيل فوجده يرمقه بنظرة انتصار، ردّها عليه وهو المهزوم في إشارة لما ينويه من انتقام، خرج من الحانة ثم أخرج الخطاب الذي وصله في منزله يقرأه مجددًا وراح قاصدًا منزله متفائلًا.

منتصف الليل..

تتابعت ذرات الهواء في موجات غير منتظمة حتى تصاعدت ملامسة لقماش صُنعت منه بذلة أنيقة تحوي رجلًا تتابعت نوائب الحياة عليه فوسمتها بملامحها البائسة، استوت قبعة فوق رأس قد فارقه الشعر منذ الثلاثين تحوي عينًا غلب داكنها على بياضها مصطدمًا بشعيراتها الدموية من طول معاشرة الليل، تبادلت قدماه التقدم قاصدًا موعده وتبادل بصره وبصيرته الأدوار في التحكم، اعتاد أن يراقب ببصيرته شخصًا يذود عن ملامحه البريئة ضد محاولات التشويه والتكدير.

***

أدرك باب المنزل لما ثنى الباب طرف قبعته فتوقف ثم تمايل يمينًا وولج صاعدًا الدرج حتى وصل إلى المقر فسمع أصوات احتكاك نتجت عن تلقية ستة أسلحة أشارت إلى عدد الأشخاص المتواجدين، توقف ثم قال: على رسلكم، أنا من أرسل إليكم.

رد أحدهم: وماذا تريد؟

الرجل: أريد المساعدة.

الآخر: ومن قال إننا بحاجة لمساعدتك؟!

الرجل: لقد علمت بأمر خصومتكم مع آخرين في الآونة الأخيرة

واستكملت بحثي حتى توصلت لنيتهم في الثأر، إذا أراد أحدكم أن يجرب الموت فلن أمانع رفضه للتعاون.

أحدهم: وما الذي أدراك بذلك؟

الرجل: وماذا يفيدكم إذا علمتم، دعنا فقط نتحدث عن العرض.

***

صمت الجميع فأشعل الرجل لفافة تبغ يستعد لبداية الحديث، ثم قال: ما يهم الآن أنني علمت بأموركم ونيتهم الجادة، لقد دبرت خطة نستطيع بها التخلص من خصومنا فأنا أيضًا لديَّ خَصْم عنيد.

أحدهم: وما هي؟

الرجل: ستتعاونون معًا لتصفيتهم جميعًا قبل تصفيتكم وقد دبرت الخُطَّة حيث ثمة لا أحد من أفراد الشرطة سيعترض طريقكم، وستتبادلون الأدوار في تصفيتهم حيث يقتل كل منكم غريم الآخر إلا بعضًا سأخبرهم بما يجب عليهم فعله.

الآخر: وما الذي يضمن لنا صدق حديثك؟!

راح الرجل إلى مكتبه وجلس قائلًا: أتذكر رجل الأعمال الذي قُتل منذ مدّة؟

الآخر: نعم.

الرجل: لقد كان على خلاف مع أحدهم وحاولت تحذيره ولكنه رفض التعاون فقُتل.

الآخر: هذا ليس دليلًا كافيًا.

الرجل: وماذا يضركم إذا تعاونتوا؟! أنا أريد التخلص من عدوي وعدوكم وإذا ثبت أنني كاذب يمكنكم التوقف عن الأمر، أما إذا رفضتم التعاون فإن مقتل أحدكم قريبًا لهو نبأ مؤكد.

***

خيم الصمت كأن على رؤوسهم الطير وهم يفكرون، بدا لهم أن هذا الرجل محق فيما يقول ولم يكن أحد بأحرص على حياته واستقرارها منهم، تنحنح أحدهم ثم قال: وكيف سيصير الأمر إذا وافقنا؟

الرجل: ستكون الأوامر على هيئة خطابات ستصلكم بطرق عديدة، وحتى تعلمون أن هذا الخطاب مني سأضع أسفل كل منهم رمز النجمة الحمراء كعلامة تدل عليَّ، سنبدأ المهمة قريبًا.

أحدهم: وماذا بعد؟

الرجل: بعد انتهاء المهمة ستعطونني مبلغًا من المال لن تكون قيمته مجحفة ولكنها ترضيني.

***

أراح ظهره على مَقْعَده صامتًا تاركًا الفرصة لعقولهم في استكمال التفكير،

مرت بضع دقائق ثم استأنف: الآن عليكم أن تقرروا.

مرّ ببصرهم عليهم تباعًا فأومأوا برؤوسهم إيجابًا فقال: حسنًا، عودوا إلى حياتكم المعتادة لحين صدور الأوامر.

الحادية عشر صباحًا ..

وارت السحب الكثيفة القمر عن الأنظار وحجبت نوره عن الأرض وأبت السحب أن تفرغ مخزونها من المياه بالرغم من كثافتها وكثرة تصادمها، على سطح البسيطة القاحلة كان بنجامين يروح ويغدو بلا هدف ونصف جسده العلوي عاري يرتجف من الريح التي كادت تسقطه أرضًا من شدتها ولم يستطع أن يأمر قدميه أن تتوقف، لم يكن حوله لا إنس ولا جن ولا يكد يبصر ما يطأ فوقه، ظلام دامس يجتاح عينيه، قطع ذلك الظلام ظلام أشد منه متمثلًا في شبح شخص ما يحوم حوله، ثم تصاعد دخان كثيف من العدم الذي أزاد وضوح الشبح، تسمرت قدما بنجامين من الفزع واستدار يبحث عنه بعين شاخصة حتى أبصره يقبل إليه، ركض بأقصى سرعته هاربًا ثم لحظ ما خلفه فأبصره يقترب لا يبتعد، ظل يركض حتى انقطع به النفس وشهق بصعوبة، اقترب الشبح حتى استطاع أن يميز ملامحه بالرغم من العتمة، اتسع جفناه فزعًا لما أبصر جسدًا برأس ليس به عين ولا أنف ولا أي شيء قد يشير إلى آدميته سوى شكل جسده الذي يشبه البشر، أخرج سيفًا عظيمًا من غمده واقترب منه وهو يتحدث بلغة لم يفهمها ولكنه ظن أنها السريانية أو العربية، رفع هذا الكائن السيف بأعلى ما يستطيع وصحب ذلك صرخة بنجامين حتى تقطعت أحباله الصوتية ثم إنهال بالسيف على رقبته فطارت منفصله عن جسده بضعه أمتار، لحظة أن انفصل رأسه استدارت الدنيا من حوله

وانقشع الظلام ليبصر كل شيء واضحًا، سكن رأسه المقطوع على الأرض منفرج الفم والعين ينظر إلى السماء وما زال عقله خائفًا كما كان قبل أن ينفصل، تبدلت رؤية السماء برؤية وجه الرجل لما أقبل إليه يرمقه بنظره ظن أنها منتصرة على الرغم من عدم وجود عينيه، رفع الكائن سيفه رفعة كالأولى ثم إنهال بها على وجهه، لحظة أن اصطدم السيف بوجهه انتفض بنجامين ينهمر العرق على جبينه فوق فراشه ينبض قلبه بعنف كادت ضلوعه منه أن تتصدع ورئتاه لا تتوقف عن الاهتزاز، ارتفع صون شهيقه حتى استيقظت زوجته على إثره وقالت: ماذا هناك؟

***

كان سؤالها مصحوبًا بيدها التي وضعتها على كتفه ليدرك أن نصفه العلوي كان عاريًا، أزاد ذلك فزعه وأخذ يتلفت يمينًا ويسارًا حتى وقع بصره على النافذة التي توحي بسطوع كامل للشمس ليعلم أن الكابوس قد انتهى، هدأ شهيقه وزوجته ترمقه بقلق حتى استكان قائلًا: لا شيء، كان كابوسًا مرعبًا فقط، عودي إلى سباتك.

استدارت زوجته يسارًا حتى سكنت على جنبها الأيمن وعادت إلى النوم، داعب جفنيه ليفض نزاعهما الذي صنعه الماء المتحجر ثم قام إلى الحمام، أتم إجراءات الاستيقاظ ثم عاد إلى الغرفة قاصدًا الدولاب، أخرج سترة بنية أنيقة وبنطالًا يتماشى معها ثم أتم ردائه وأخبر زوجته برحيله ونزل، الخوف لا يزال يسيطر عليه حتى أدرك الطريق فأبصر البشر ذهابًا

وإيابًا مضيقين أعينهم من أثر الشمس، وقف أمام البوابة مشعلًا لفافة تبغ تهدئ روعته، عادت الذاكرة إليه يتذكر أمر أخيه وما قد آلت إليه الأمور ثم ذكر أمر الاجتماع الذي أخبره فيه هذا الرجل الغريب أن نيرو ينوي الانتقام منه بقتله، وما كان أحد أحرص على حياته من بنجامين على نفسه، فقرر أن يقتله قبل أن يفعلها هو، كان مطمئنًا إلى ما قاله الرجل أن الخُطَّة قد تم إحكامها بحيث لا تتدخل الشرطة في الأمر وسيقتل نيرو وينجو، ظل عقله يسترسل في فكرة حتى فرغت لفافة التبغ من احتراقها، ألقى بها وتوجه إلى سيارته التي تنتظره منذ ساعة بسائقها الذي قد نام لما أدرك أن مده الانتظار ستطول، أيقظ السائق بقسوة فقام فزعًا يسب موقظه، تراجع السائق عن غضبه وأخذ ينشد الأعذار ويبدي ألوانه على لسانه لما أبصر بنجامين حتى أشار له بالصمت والتحرك، امتثل لأمره وأدار المفتاح وراح قاصدًا مقر إدارة شركات نيرو التي أصبحت الآن ملكًا لبنجامين، أخذ الأخير نفسًا عميقًا وفتح إحدى الصحف يطّلع على ما يروي شغفه بأحداث الصفقات ورجال الأعمال والبنوك، أدرك المقر ثم توقفت السيارة وهو ينتظر السائق حتى يفتح له الباب، نزل بخطوات مختالة وقد تناسى أمر الكابوس ثم ولج حتى أدرك المَقْعَد المخصص له، مرت بضع دقائق قبل أن يتوالى عليه الموظفون تباعًا لإبداء رأيه في الأعمال وإمضاء الوثائق المهمة، مما لا شك فيه أن جميع الموظفين قد انتبهوا إلى اختفاء نيرو وتعجبوا من حلول بنجامين محله، لكن ثمة لا أحد قد يجرؤ على ذكر ذلك الأمر إلى على سبيل التناجي بينهم في أوقات الراحة والغداء، كان من بين هؤلاء الموظفين رجل قد تجاوز الخمسين

عيّنه نيرو منذ عشرين سنة مديرًا لكبرى شركاته كما ربطتهم علاقة صداقة سطحية، لكن هذا الرجل كان يحب نيرو ويحترمه، فقرر ألا يقتصر ذكر هذا الأمر على المناجاة، استغل فرصة وقوع أحد الملفات المهمة بيده وولج إلى مكتب بنجامين مستأذنًا، أذن له فأقبل إليه بنظرة لا تخلو من التحفز وهو يمد يده بالملف المطلوب توقيعه، انتهى من توقيعه في حين يرمقه الرجل في ترقب ثم قال: خيرًا سيدي، السيد نيرو لم أره منذ مدّة.

بنجامين: السيد نيرو قد مات، ولكنني لم أستطع أن أبلغكم لأن كل شيء حدث سريعًا.

الرجل: كيف حدث ذلك؟

بنجامين: كان في طريقه إلى المنزل وانقلبت سيارته ومات فورًا.

الرجل: وكيف لا نعلم نحن الموظفين بذلك؟

بنجامين: قلت لك لقد حدث كل شيء سريعًا، صمت قليلًا ثم تظاهر بالتأثر قائلًا: أنا لا أستطيع أن أتحدث في هذا الأمر، انصرف.

خرج الرجل من المكتب وقد تغيرت تعبيرات وجهه التي نتجت عن عدم اقتناع بما قاله، ما معنى أن كل شيء أتى سريعًا ولماذا لم يُنشر نعي في أحد الصحف الكبرى؟! تسلل الشك لنفسه أن نيرو لم يمت وأن هناك ما هو أكبر من ذلك، لكنه تراجع عن هذا الشك وسلّم أمره لله بصلاة قصيرة دعا له فيها، عاد إلى مَقْعَده شاردًا وقد اختلط حزنه بشروده وهو يباشر أعماله ببطء

من أثر ذلك، مر وقت ليس بالقليل قبل أن يلج إلى مقر العمل رجل متوسط الطول تجاوزت ثيابه حد الفخامة فانتبه له الجميع يظنون أنه أحد الأعيان، قام إليه فرد الأمن يسأله: إلى أين أنت ذاهب؟

أشار الرجل إلى حيث يجلس هذا الموظف، أشار له فرد الأمن أن يلج فراح حتى أدركه ثم مد يده قائلًا: مساء الخير.

الرجل: مساء الخير، تفضل.

جلس الرجل أمامه وارتخى على مَقْعَده فاستأنف الموظف: أتريد أن تشرب شيئًا؟

الرجل: لا، أنا مهمتي عاجلة سأنهيها وأروح.

الموظف: خيرًا.

الرجل: قبل أن أتحدث مر فرد الأمن ألا يلج أحد إلى هنا بحجة أنك منشغل بشيء ما.

نظر الموظف له مرتابًا إلا أنه امتثل لأمره، عاد بصره إليه صامتًا، ثم قال: ما الأمر؟

الرجل: سمعت أن رجل الأعمال الشهير نيرو قد اختفى في ظرف غامض.

الموظف: نعم.

قالها بشرود بسيط ثم استدرك نفسه قائلًا: لقد مات منذ بضعه أيام.

الرجل: وما أدراك بذلك؟

الموظف: السيد بنجامين أخوه قد تسلم زمام الأمور وأخبرني بذلك.

لم يعقب الرجل فاستأنف: ما الأمر أيها الرجل؟

الرجل: أمر خطير، هذا البنجامين مخطط رائع.

الموظف متظاهرًا بالثبات: كيف؟

الرجل: أتعلم أن السيد نيرو كان متزوجًا منذ زمن بعيد، والآن عمر ابنه قد جاوز العشرين عامًا.

الموظف متعجبًا: كيف ذلك؟! أنا أعتقد أن السيد نيرو كان أعزبًا.

الرجل: نعم، فقد أصبح أعزبًا قبل أن تتعين أنت في وظيفتك ببضعه شهور.

رمقه الموظف بنظرة ثابتة يخفي بها تعجبه الشديد من حصول هذا الرجل الغريب على هذا الكم من المعلومات، أخرج لفافتي تبغ وأشعل إحداها ومدّ بالأخرى له فأخذها وأشعلها ثم استأنف: ومن واقع القانون فإن أعمال السيد نيرو في حالة وفاته تؤول مباشرة إلى ولده، فكيف آلت إلى أخيه؟!

ظن الموظف أن هذا الرجل يكذب وقد وصل توتره لحدته فنادى أحد أفراد الأمن، أدرك الرجل أنه سيُطرد بعد قليل فقال بسرعة: السيد نيرو لم

يمت يا عزيزي.

***

اتسعت عينا الأول دهشة وقد أصاب قول هذا الرجل ما في نفسه من شك، كان فرد الأمن قد حضر منذ قليل فطلب منه كوبًا من الشاي ثم عاد الموظف قائلًا: كيف هذا؟ ما الذي حدث وماذا تعرف عن نيرو؟!

الرجل: أعلم الكثير مما لا يتسع الوقت لذكره، ما ينبغي عليك علمه أن بنجامين هذا قد خطط لأمر حقير قد ورط فيه أخيه حتى يستحوذ على كل ما يملك، وقد تخلص من ولده أيضًا.

لم يعقب الموظف من صدمته وظل يرمقه بعجب ممتزج بالبلاهة من كم المعلومات التي يفقدها، استدرك الرجل قائلًا: أتريد أن تتعاون معي لمساعدته؟

ظل الموظف على صمته يفكر وقد عصفت رأسه بما فيها ولم يستقر يقينه على شيء وصمت الرجل ينتظره، مرت بضع دقائق من الهدوء ثم قال الموظف: وما الذي قد أفعله؟

الرجل: شيء بسيط، فقط عليك أن تعطي هذا الخطاب لبنجامين وسيعود كل شيء لسابق عهده.

أخرج الرجل الخطاب ومد به إليه حيث سكن حينًا ثم أخذه قائلًا: وماذا بعد؟

الرجل: لا شيء، فقط انتظر عودة نيرو لأعماله ولا أحتاج إلى أن أنبهك أنه خطاب سري لا يفتحه إلا هو

هز الأول رأسه متفهّمًا ثم قام مسلمًا على الرجل ثم انصرف الأخير، وضع الموظف الخطاب على مرأى واضح له وهو يباشر أعماله اليومية بشرود ينتظر حتى تأتي إليه إحدى الوثائق ليدس الخطاب بين ثناياها، مرّت ساعة من الزمن ثم ولج مكتبه أحد المساعدين يعطيه ما ينتظره، رمق الأوراق سريعًا ثم وضع بينها الخطاب وراح إليه، استأذن ثم وضع الورق على المكتب وانصرف، فتحها بنجامين بنظرة روتينية وقد أعد قلمه للإمضاء، بدأ بقلب الأوراق والإمضاء حتى أبصر الخطاب الذي أدرك أنه من المنظمة، فتحه ليقرأ:

"السيد بنجامين

تحية وبعد...

قد علمنا أن غريمك نيرو ينوي تصفيتك في خلال الأسبوع المقبل، لذا فقد اتخذنا حذرنا ووضعنا الخُطَّة المضادة التي تلزمك بالذهاب إلى البلدة التي تقع جنوب البلاد المطلة على البحر، البلدة التي تلي البلدة التي أنت بها في اتجاه الجنوب بالطريق العمومي، ستجد منزلًا في وسط الطريق يتقدمه واجهة رخامية محطمة وبيت كلب فارغ، قد أرفقت في هذا الخطاب مفتاح المنزل الذي يوجد في الطابق الأول من هذا العقار، ستروح إليه بعد غد وتمكث فيه لحين صدور الأمر الآخر، لا أعتقد أن نيرو يعلم بأمر هذا البيت

ولكن احذر إذا أتاك بغتة"

***

أغلق بنجامين الخطاب وقد تملّك نفسه بعض الخوف من مصيره المجهول، بالأمس أعلن أن أخاه قد مات وهو حي، والآن يتآمر على قتله ويترصد له، شعر أنه سيخسر في هذه المعركة التي تخلى فيها عن جميع مظاهر الإنسانية في سبيل المال، لعن ذلك المخلوق الذي يضرب من أجله البشر رقاب بعضهم البعض وقد قُدّر لهم قبل خلقهم بقرون عديدة، لكن هذا لن يفيد الآن إما الحياة أو الموت، فتح أحد أدراج مكتبه وأخرج طبنجته ووضع بها خزانة ممتلئة ووضعها في جنبه ثم قام قاصدًا منزله والموظف يرمقه بنظرة كراهية كادت أن تلتهمه

العاشرة مساءً ..

في إحدى الطرق المليئة بالأشخاص منذ يوم أنشئت، تصادمت بعض قطرات المطر الغزير بالأرض صانعة صوتًا يشبه الخرير تلتقطه أسماع البشر والدواب داخل الطريق وخارجه، والبعض الآخر قد حجبها عن السقوط أجسادهم وثيابهم الثقيلة وشجرة قد تدلت منها بضعة أغصان استوت فوق الطريق ينعكس على أوراقها النور الذي يلفت الأنظار المتوغلة في أنحاء الطريق والوجوه، تتناثر المقاعد الخشبية على الأرصفة وقد تشبعت أخشابها بالماء إلا موضع مؤخرة جاد الذي كان على موعد قد رتب له في ليلة سابقة، لم يكن يعبأ بغزارة الأمطار ولا الريح التي كادت تقتلع أقدام البشر من مواضعها، فقد كان موعده أهم ما يشغله وما سيشغله بعدها أيامًا عديدة، على الرغم من تكراره بصفة شبه دورية إلا أن لكل ميعاد مذاقه الخاص يستمده من عبقها الذي يتجدد كل ليلة، فقد أصابته آفة التعلق وراح إلى أسره على الرغم من تحذير غيره ممن سقطوا في مثله، وليس التوقف بأمره أو بنهيه، لم يتسنَ له بعد أن يدرك أنها آفة فما زال في أول الطريق الذي اكتسى ببهاء ورونق البدايات في روعتها وجمالها، في بعض الأحيان قد يدرك البشر حقيقة أواخر الطريق والبعض الآخر قد أعمى عينه قلبه، إلا أن كلاهما يتفقان في الاستمرار والمتابعة ثم يرجعون بأذيال الندم، على مدَّ البصر من الطريق أبصر قمره قد سطع معاندًا لكل شيء، ترتدي معطفًا أحمر ووشاحًا

أسود وحذاءً قد رفعها عن الأرض بضعة سنتيمترات من الطول المؤقت.

انقطع سمعه عن كل ما في الطريق إلا صوت دقات الحذاء وهي تقصده وقلبه قد تسارعت وتيرة نبضه وقام من مَقْعَده يقترب منها كما يقترب قطبي المغناطيس متجاذبين، ظلا يقلصان الفارق من اليابسة حتى تلاحم القطبان والتهم جسده جسدها من ضمّته، سكن قلبه من نبضه وانشرح صدره من سعادة جامحة اجتاحت جسده كله وقد حدث لها مثلما حدث له، فرغا من عناقهما ثم نظر لها قائلًا: هيلينا، أجمل ما رأت عين البشر.

ابتسمت ابتسامة احتوت الآفاق ثم قالت: يبدو أنك رائق البال.

جاد: ومن ذا الذي يراك ولا يروق له باله!

هيلينا: أشتاقك كثيرًا، لم أرك منذ أسبوع.

جاد: منعتني بعض المشاغل، ولكنني انتهيت منها لما احترقت لكِ شوقًا.

هيلينا: أتريد أن نذهب إلى مكان بعينه؟

جاد: لا لم أخطط لشيء.

هيلينا: أنا لا أريد أن أجلس في منزل، ما رأيك أن نجلس في أحد المقاهي؟

جاد: في هذه الأمطار الغزيرة!

هيلينا: لا بأس يمكننا الجلوس بالداخل.

***

راحا يقصدان المقهى وقد أحاطت أنامله الباردة بيدها تستجلب منها دفئًا لم تثنه برودة الأجواء من حوله، ولجا إلى الداخل وجلسا بلا أدنى كلمة، النظرات سيدة الموقف يتخللان بها بعضهما البعض، قطع الصمت لا النظرات صوت هيلينا تقول: كيف حال عملك؟

جاد: لا شيء جديد، لكن الأمور تسير على ما يرام.

هيلينا: لا أخبار جديدة هو شيء جيد في حد ذاته.

جاد: أنا لا أؤمن بتلك المقولة، فالأخبار إما جيدة أو سيئة.

هيلينا: أرأيت إذا حدث مكروه ما، ألا يكون ثبات الأمور على وتيرتها أفضل؟

رمقها قليلًا ثم ابتسم قائلًا: الغلبة لك هذه المرة.

هيلينا: وستظل لي ما دام المنطق حليفي.

جاد: المنطق يمكن تطبيقه على العقل لا القلب.

هيلينا: هذا صحيح.

جاد: لكنني أحببتك بقلبي وعقلي، فأنتِ مثالية لكليهما.

ابتسمت ابتسامة واسعة وشرد جاد حينًا تتغير معالم وجهه، استدركت ذلك بقولها: ماذا بك؟

جاد: أخشى أن يفرق بيننا القدر كما جمعنا.

همّت هيلينا بالرد فقطع ذلك صوت جرس إحدى السيارات في الطريق الذي يطل عليه بيت جاد، انتبه فوجد لفافة تبغ قد اقتربت من تمام احتراقها، ألقاها من النافذة وقد أدرك معاناته من أحلام اليقظة لما أبصر النافذة تنفذ أشعة الشمس على أرض منزله، نظر إلى الساعة فوجدها قد أتمّت دقاتها التسع في أوائل ساعات الصباح، مر ببصيرته على ذاكرته فأدرك أن الفراغ قد بدأ يغزو حياته بعدما سرق سيرون جُل ما يملك وهرب، توالت الأفكار حتى تذكّر أمر المنظمة وقد تعلّق أمله بها، فنفسه قد ملّت انتظار الأوامر وانتهاء العملية حتى تعود الحياة لسابق عهدها، انتقلت خيالاته لأمر هيلينا التي هجرته دون سابق إنذار، مكث حينًا من الزمن يلتمس لها الأعذار المقبولة وغير المقبولة علّها تعود، لكن لا شيء تغيّر المزيد من الليالي القاحلة، ذكر كم لامته عينه التي لم تفض بعبراتها منذ طفولته إلا حين رحلت ولا تزال تهبط مُحفزة بالأحداث الأخيرة، كانت خاطرة الانتحار تداعب عقله قبيل استلام أول خطاب من المنظمة، لكنه تراجع متعلقًا بأدنى أمل يطلب منه الحياة ومن عجزه عن فعل تلك الخطوة الفارقة، قام من رقدته متجهًا إلى الحمام ثم ذكر أنه قد ولجه منذ قليل، رجع إلى غرفته وبدّل ثيابه ونزل قاصدًا أحد المقاهي، كان يطيل الجلوس منفردًا شديد الأنس بنفسه، أدرك المقهى فجلس وطلب كوب قهوة ثم أشعل لفافة تبغ وحدّق في الفراغ، أحضر النادل القهوة مصحوبة بأحدهم يطلب مجالسته، أذن له فجلس وهو يرمقه قائلًا: يبدو أن همّك قد استفحل مؤخرًا.

جاد: نعم، كثيرًا.

الرجل: هجرتك حبيبتك؟

جاد: نعم.

الرجل: هل لي أن أعلم السبب؟!

جاد: لا، لأنني شخصيًا لا أعلمه.

الرجل: كيف ذلك؟

جاد: لا شيء، مجرد أنها اختفت.

الرجل: وهل انقطعت نساء الأرض إلا عنها!

جاد: في نظري أنا نعم.

الرجل: لا أوافقك، علّها وجدت حياة أفضل.

جاد بشرود: ربما...

الرجل: وكيف حال عملك؟

جاد: من سيئ لأسوأ، فقد سرق أحد مديري كبرى الشركات رأس مال الشركة بعدما احترق المخزن بما فيه، وتسبب ذلك في خسائر فادحة ستُغلق الشركة على إثرها قريبًا.

الرجل: يا إلهي! وما الذي تبقى لك؟!

جاد: الحزن والغضب.

الرجل: إرث جيد إذا أحسنت توظيفه.

جاد: وكيف ذلك؟

الرجل: أن تحاول استعادة ما فقدته حتى تستمر حياتك.

جاد: سأحاول.

الرجل: لا بد من أن تنجح في محاولتك.

جاد: آمل ذلك.

الرجل: أحضرت لك شيئًا قد ينفعك في مسيرتك.

نظر له جاد وقد شعر أنه من طرف ذلك الرجل الغريب، أخذ يرمقه وهو يخرج ورقة مطوية، ثم مدَّ بها يده قائلًا: اقرأ هذا.

أخذها جاد وفتحها ليقرأ:

"السيد/ جاد

تحية وبعد..

يسعدني أن أبلغك أن مخططنا قد بدأ، فقد ترتب كل شيء وحان وقت مهمتك، أتذكر "سام" ذلك الرجل الذي كان جالسًا معنا؟ سمعت أنه أحد أصدقائك، لقد استطاع أن يوقع أحد عدوات المنظمة في حبه دون أن تعلم بأهدافنا وتدعي هيلينا، هيلينا هي هدفك ولا تؤخر مهمتك لأن التأخير سيضر المخطط بأسره، انتظر خطابي الذي سأخبرك فيه بالتفاصيل المعني بها،

يجب أن تنهي مهمتك في خلال عشرة أيام وسيسهل لك سام المهمة الزعيم"

اتسعت عيناه دهشة قد اختلطت بالفزع لما أبصر اسم هيلينا في الخطاب، رفع رأسه ليحدث من بجواره فوجد مَقْعَده فارغًا، مر ببصره مرارًا على الخطاب وتضاعف خوفه وعلا نبضه يضخ الأدرينالين بعنف في جسده، ذكر يومًا ما كان بصحبة هيلينا وقد قصّت عليه أمر خلافها مع أحدهم، أيعقل أن تضيق الدنيا عليها حتى يصبح هذا الرجل أحد أعوان ذلك الرجل الذي يأمره بقتل حبيبته! أيعقل أن هذا الرجل كان جالسًا معهم في هذا الاجتماع! طرد تلك الهواجس من عقله واستبعد مكر الأقدار التي لا تحترف شيئًا بقدر ما تحترفه.

الواحدة ظهرًا..

امتلأت الطرقات بالبشر واستعرت الأرض من دقاتهم وسطوع الشمس في السماء، كان سيليون قد راح لعمله الذي عُيّن فيه منذ مدّة قصيرة وزوجته ماندي نائمة في فراشها لا تنتظر شيئًا، وقد نامت وهي تتمنى ألا يعود سيليون أو أن تقبض روحه. تسللت بعض أشعة الشمس من ثنايا نافذة تجاور فراشها فاستيقظت على إثرها وإثر ضوضاء الطريق، قامت متكاسلة إلى الحمام فأهالت الماء البارد على وجهها لتحرر عيناها من أسر النوم، ثم عادت لتجلس في فناء المنزل وعقلها قد انشغل بما ستقدم عليه، حبيبها قد أتم تدريبها على استخدام السلاح في أوقات غياب سيليون عن المنزل، وقد أخبرها بما ينوي فعله في المدَّة المقبلة حيث كانت جزءًا من مخططه، أصبح هدفه هو جمع المال وبعد أن ضم ماندي إلى مخططه سيكون المال والحبيبة، خُطَّة مربحة بكل المقاييس، استطاع أن يجعلها تتغلب على بعض الرقة الأنثوية التي تكسبها الضعف وأبقى على كونها أنثى، وقد عزمت على تنفيذ جميع أوامره لثقتها أنه المخلص الوحيد من سجنها في كنف سيليون، إلا أن الرجل لم يذكر لها جميع أركان مخططه خوفًا عليها ومنها، أما هي فقد استطاعت أن تتغلب على بعض خوفها فقط وتبقى منه ما يبقيها مستيقظة نصف الليل تعبث بها الأفكار والظنون ونصف النهار الذي يكون سيليون فيه بالمنزل، قطع شرودها ارتطام شيء ما بالنافذة بصوت طفيف، شعرت

أن أول الأوامر قد أتت وكانت على حق، أدركت ذلك لما خفّت إلى النافذة فأبصرت البومة تنتظرها، أسرعت بخلع الخطاب من قدمها وفتحته لتقرأ:

"عزيزتي ماندي

يسرني أن أخبرك أن المخطط قد بدأ وحان دورك، بعد قليل تنزلين إلى الطريق الذي يخلف الطريق الذي تسكنين فيه، ستجدين صندوقًا على أوله به سترة، خذيها وأعطيها لسيليون، أتمنى أن تكوني قد أحسنتِ التظاهر بالمعاملة الحسنة معه مؤخرًا حتى يقبلها منك"

أغلقت الخطاب وخبأته بين ثنيات ثيابها وعادت لجلستها الأولى، في طريق العودة استخرجت إحدى الروايات من المكتبة تشغل بها وقت الفراغ، كانت تعكف على القراءة في أوقات متباعدة من الأسبوع تروي شغفها بها، استطاعت في الآونة الأخيرة أن تحتوي بطش سيليون وصبرت عليه على مضض تنفيذًا لأوامر الزعيم حتى هدأت ثورة سيليون الدائمة وبدّل معاملته القاسية بأخرى رقيقة ظنًا منه أنها قد بدأت تحبه، ولكنه لم يفكر لماذا تحبه بعد أعوام من الإهانات! اتفقا على الذهاب لنزهة تلك الليلة في إحدى خطوات ماندي لإعطائه الثقة، كانت قد تجاوزت المائة في عدد أوراق الرواية التي جذبت انتباهها بشدة حتى وصلت الصفحة العاشرة بعد المائة فقرأت:

"فأطّلع فأبصرها تغدو وتروح بدلال قد انتقل لثنيات الكون فربتت على وجهه نسمة باردة أصابته بقشعريرة استنشق على إثرها هواءً كثيرًا داعب

رئتاه وأنعش قلبه، هذه الأرض الشاسعة بما تحتوي من البشر والدواب لا يمكنها الاستغناء عن الزهور التي تخرج الهواء النقي.. هكذا كانت هي، زهرة قلبه التي إذا فقدها اتَّشح قلبه بالسواد ولقى حتفه مختنقًا، قام من مَقْعَده يقصدها بعد أن قرر أن يبوح بما يخفيه الذي أطبق على صدره وسيظل مطبقًا حتى تعلم بأمره، سمع صوتًا رهيبًا يصدر من خلفه فانتبه له فزعًا ثم عاد بصره إليها فلم يجدها، لعن أذنه التي ضيعت عليه تلك الفرصة، سيظل حينًا آخر من الدهر يكتم سره ويختنق به، لم يكن يعلم أين سيجدها مرة أخرى، عليه أن ينتظر إذن الأقدار لصدفة أخرى"

***

كانت الساعة قد أتمت دقاتها الأربع وقت أن ولج سيليون المنزل يقطع قراءتها مبتسمًا، ذكرت حينها أمر السترة التي في الصندوق وأخذت تفكر كيف ستجلبها، أغلقت الرواية التي بيدها ووضعتها في موضعها من المكتبة ثم توجهت بدلال مصطنع إلى سيليون تقول: كيف حالك؟

سيليون: ليس سيئًا، كل شيء على ما يرام.

ماندي: وكيف حال العمل؟

سيليون: ما زلت أحاول تثبيت أقدامي.

ماندي: لا تنسَ ميعادنا الليلة.

سيليون مبتسمًا: بالطبع لن أنسى.

ماندي: اسمح لي أن أخرج حتى أجلب شيئًا ما.

سيليون: وما هو؟

ماندي: سأخبرك حينما أعود.

سمح لها سيليون بالخروج فبدلت ثوب نومها بآخر أقل احتشامًا ثم نزلت إلى الطريق تقصد الصندوق، أدركته وهمت بفتحه بعد أن تلفتت يمينًا ويسارًا تأخذ حذرها ثم فتحته لتجد السترة التي أخبرها عنها، اجتلبتها من الصندوق ووضعتها بجورب بلاستيكي مصمم للسترة قد وجدته جانب الصندوق ثم عادت إلى المنزل، ولجت لتبصر ملابس سيليون ملقاة على أحد المقاعد وقد قصد الحمام ليغتسل، خفّت إلى الغرفة مستخرجة حاملًا خشبيًا تضع عليه السترة ثم خرجت بها إلى الفِنَاء تنتظره، أتم اغتساله وخرج يستر أسفله بمنشفة عريضة ليبصرها تبتسم وبجوارها السترة، ولج الغرفة يعتطف ثيابه وعاد لها قائلًا: ما الأمر إذًا؟

ماندي: إنها مفاجأة.

سيليون: وما هي؟

رفعت السترة لأعلى قائلة: اُنظر ماذا أحضرت لك.

اقترب سيليون يمد يده لها وهو يقول: ما المناسبة؟

ماندي: لا شيء، يمكنك أن تعتبرها بمناسبة ميعادنا الليلة

أخرجها من الجورب يتفقدها فاستدركته بقولها: كل شيء بها على ما يرام

فقد راجعتها عند الخياط، ثم قامت إليه وأخذت منه السترة لتُلبسها له، أتم رداءها فقالت: رائعة! تليق بك تمامًا.

نظر إلى المرآة واستدار حول نفسه، ثم قال: أشكرك كثيرًا.

وضعت راحتها على عنقه قائلة: لا تشكرني، أنت زوجي وحبيبي.

رمقها بضع ثوان مبتسمًا ثم ضمها إليه وقبّلها في جبينها، اصطنعت البسمة ثم قالت: متى سننزل؟

سيليون: وقت ما تريدين.

ماندي: هيا بنا.

همّت إلى الغرفة فاستدركها بقوله: لا أعهد عليك هذا الحب.

ماندي: انتظر ستعلم، إنها فقط مسألة وقت.

منتصف الليل..

أدار سيليون محرك سيارته داخل مقر عمله الذي كان آخر من خرج منه تلك الليلة ثم أشار للحارس الذي فتح البوابة لعبوره، انطلقت السيارة تشق الرياح لتتدافع ذراتها عابثة بوجهه الذي انتعش من أواخر نسمات كانون الثاني ولم يتبقَ به إلا يومان، أثارت تلك الرياح هدوء نفسه فتذكر ماندي وانقلاب حالها من البغض إلى الحب، ظن أنها أحبته حقيقة وأن الصياح اليومي المتبادل في منزلهم لم يعد له مكان فابتسم بملء قلبه وهو يقصد إحدى صالات القمار الذي أدمنه منذ أدمن التسلط والتكبر، لم يكن يحب ماندي يومًا ولن يحبها وإنما كانت ابتسامته لما شعر أنها انصاعت لتجبّره وتسلطه، الآن يستطيع أن يقامر ويقضي نزواته بأريحية تامة فثمة لا أحد يحاسبه على تأخره خارج المنزل أو ماذا أنفق من ماله، قطع مسافة ليست بالقليلة حتى أدرك الصالة فصفّ سيارته حذاء جدارها ونزل يلج الباب، استقبله عبق الكحول حيث يتنفسه الندماء واستغنوا عن الأكسجين منذ أن أصبحوا رواد الحانات والصالات، أقبل النادل يقول: أهلًا سيد سيليون، تفضل إلى الطاولة.

سيليون: هل أتى السيد ألبرت؟

النادل: نعم وينتظرك في الداخل.

انتهوا من حديثهم حين أدرك الطاولة فجلس وراح النادل إلى الساقي

فصب له كوبًا مضاعفًا وعاد به إلى سيليون، وضعه سيليون على فمه ودخل ألبرت إلى حيث الطاولة من باب خلفي فقام إليه الأول محييًا ثم جلسا، عاد النادل بمثل ما عاد به لسيليون فأخذه ألبرت وارتشفه دفعة واحدة ثم رمق سيليون قائلًا: كيف حالك؟

سيليون: أنا بأفضل حال، وماذا عنك؟

ألبرت: لست بخير، لقد هربت زوجتي من المنزل.

تعجب سيليون قائلًا: كيف ذلك، ولماذا؟!

ألبرت: أظن أنها سئمت حياتها معي فهربت إلى أحضان أخرى.

سيليون: وماذا ستفعل؟

ألبرت: لا شيء أملكه من أمري فقد بحثت عنها كثيرًا ولم يُجْدِ ذلك نفعًا، كيف حال زوجتك أنت؟

سيليون: لقد حدث تغير كامل في معاملتها لي، فجأة أصبحت تعشقني وتطيعني في الخاطئ قبل الصحيح.

ألبرت: هذا لا يبشر بالخير.

سيليون: وماذا عساها أن تفعل؟!

ألبرت: النساء يمكنهم أن يدمروا بلادًا بلا طلقة واحدة يا عزيزي.

سيليون: إذا حدث أي شيء سأعاود ضربها حتى تستقيم

ضحك الاثنان بقهقهة يتنافس فيها الندماء كمقياس للفخامة والنضج، سكن الضحك لمّا اختلجت نفس ألبرت بحزن دفين على حاله، هذا الذي أحب زوجته وتمنى لها الراحة والرضا هجرته، وهذا الذي يعامل زوجته كما الأنعام تحبه وتنصاع لأمره، أشعل لفافة تبغ ينفث فيها نقمه على قدره الذي منحه إحدى الإناث مريضة العقل حيث ظلت تخدعه طيلة أعوام زواجهم حتى أشعرته أنه ملك الدنيا لما ملكها، ثم بدم بارد تترك له الحبل على الغارب ولم تعبأ بقلبه الذي انكسر محدثًا ضجيجًا وصخبًا لم تتحمله روحه المتهتكة، نفض عن عقله تلك الهواجس قائلًا: هيا إلى الطاولة.

***

قام يتبعه سيليون حين حضر آخرون متلهفين لجني الأموال التي علقها أصحابها في الهواء بأمر الحظ وتسكن جيوبًا أخرى بأمره، وزع مشرف الطاولة الأوراق وعلق الجميع رهانهم وبدأت المقامرة، أدرك اللعب ذروته وحاز ألبرت مكسبًا طائلًا جعله ينسى أمر زوجته حتى لعنها من شدة الفرح وضحك لذلك سيليون غير مهتم بما فقد من المال، قطع ذلك ولوج نادل إلى حيث الطاولة يحدث سيليون هامسًا في أذنه يقول: السيدة ماندي تطلب محادثتك على الهاتف سيدي.

استأذن سيليون الجالسين وراح إلى الهاتف فأخذ السماعة من يد النادل قائلًا: مساء الخير.

ماندي: مساء الخير يا حبيبي، متى انتهيت من عملك؟

سيليون: منذ قرابة ساعة أو أكثر.

ماندي: وهل ستتأخر الليلة؟

سيليون: قليلًا، هل حدث شيء؟

ماندي: لا، ولكني اشتقت إليك.

سيليون: وأنا أيضًا، ساعة أو أكثر وأعود.

ماندي: حسنًا، وداعًا.

أغلق سيليون الهاتف مبتسمًا ثم عاد إلى الطاولة حيث أغلقت ماندي الهاتف وأراحت ظهرها وقد اشتاقت لحبيبها، تجلّت لها موهبتها في نظم الكلام المعسول كذبًا في الآونة الأخيرة منذ أمرها بذلك حبيبها، لقد مر أكثر من عشرة أيام لم تره فيها ولم تحدثه بأي صورة حتى اشتعل شوقها متداعيًا على قلبها فأسره، ثم تبعه عقلها في الأسر فتمنت أن تأتي الأوامر سريعًا حتى تعانقه في أقرب وقت، سمعت البومة نداء قلبها حين انتهى الزعيم من تقييد الخطاب الخاص بها في قدم البومة فرفرفت أجنحتها مسرعة إلى حيث ماندي، أدركت نافذة بيتها فنقرت الزجاج بمنقارها فانتبهت ماندي لذلك الصوت وخفّت إليها، فتحت النافذة وربتت على البومة التي كانت تعرفها جيدًا ثم حررت الخطاب من قيده فمدّت البومة أجنحتها وهمّت بالطيران، عادت الأولى إلى مجلسها وفتحت الخطاب لتقرأ:

"عزيزتي ماندي

تحية وبعد..

لقد اشتقت إليك كثيرًا إلا أن أمورًا قد منعتني ألا أستزيد من شرودي في عيناكِ الخضراوتين، علمت أن سيليون ليس في المنزل الآن ورأيت أن هذا أنسب الأوقات لبداية الأوامر، عليك أن تجمعي كل ما تهتمين لأمره من منزلك وتروحين إلى أقرب ميدان من منزلك، ستجدين مفتاحًا لشقة تقبع في العقار المطل على شرق الميدان في الطابق الرابع وسيكون ذلك هو منزلنا الجديد، انتظري أوامر أخرى"

***

أغلقت ماندي الخطاب وقد غزى التبسّم أرجاء فمها وراحت إلى غرفتها، أخرجت حقيبة ضخمة ثم فتحت خزانة ملابسها والحقيبة على مصراعيها وطفقت تزاحم الأغراض ببعضها حتى امتلأت عن آخرها ثم أغلقتها بصعوبة كما حملتها ونزلت مسرعة تقصد الميدان، توقفت لحظات لمّا أدركته تحسب الاتجاهات حتى عرفت العقار المقصود ولكنها لم تتوصل إلى مفتاح الشقة بعد، صعدت إلى الطابق الرابع وجالت أنحائه تبحث عن المفتاح فلم تحصل عليه، عادت واقفة أمام الشقة التي احتلت أوسط الطابق حتى أبصرت لصقًا بلون الباب وُضع عليه، خلعته فتدلّى المفتاح من خلفه فأخذته وأدارت القفل، افتتحت المنزل لتبصر جدرانًا برتقالية فاقعة وأرض اكتست بمداس حريري ضخم بلا أثاث يغطي بهائه فوضعت الحقيبة أرضًا وراحت تتجول في أنحائه، كان الحظ قد اشتدَّ في صولاته وجولاته على

الطاولة وربح سيليون مالًا كثيرًا في حين فقد ألبرت كل ما ربحه وعاد رأس ماله كما كان قبل المقامرة، أثار ذلك حفظيته فأصر على استكمال اللعب عسى أن يعود له ماله، قطع اللعب نادل آخر يخبر سيليون أن أحدًا يريده بالخارج، استأذن وخرج إليه فحيّاه قائلًا: أهلًا بك، ماذا تريد؟

الرجل: لقد بعث أحدهم لك هذا الخطاب.

سيليون متعجبًا: حسنًا.

أخذ الخطاب منه يعقبه تلاشى الرجل عن الأنظار تمامًا، أزاد ذلك عجب الأول ففتح الخطاب ليقرأ:

"السيد/ سيليون

تحيه وبعد..

أعلم أنك ما زلت متعجبًا من حب ماندي المفاجئ لك، بعثت لك هذا الخطاب لأخبرك عن السبب حتى يبطل العجب، لقد خططت ماندي طيلة المدّة الماضية لأمر خطير فحاولت تهدئة الأوضاع حتى يتم مرادها، علمت أنها تريد قتلك خلال المدّة القادمة وتروح إلى شخص آخر تحبه لذا أردت المساعدة لمصلحة سنتفق عليها لاحقًا، إذا أردت المساعدة عليك أن تحضر إلى اجتماع سأعقده قريبًا وأخبرك بمكانه لاحقًا، أظن أن عقلك قادر على إدراك مدى الخطر الذي أنت فيه"

انتهى من قراءة الخطاب لما اجتاح أركانه غضب جعله يمزق الخطاب،

ثم أخرج سلاحه الشخصي وألقمه خزانة مكتملة ثم عاد إلى الطاولة، شعر ألبرت بخطب أصابه فقال: ماذا حدث؟

سيليون: سأخبرك لاحقًا.

أومأ الأخير برأسه إيجابًا وواصلوا اللعب حتى انتهوا منه، همّ سيليون بالمغادرة فاستوقفه ألبرت مستأنفًا: ما الذي حدث؟ ألا تريد أن تخبرني؟!

زفر سيليون بقوة ثم قال: لقد أتاني خطاب يخبرني أن ماندي عزمت على قتلي، وذلك تفسير معاملتها الحسنة حتى تمهد لما خططت.

ألبرت: ألم أخبرك؟! إنهن النساء يا صديقي.

سيليون: هذا لا يهم الآن، ماذا عساي أن أفعل؟

ألبرت: تخلص منها قبل أن تتخلص منك.

سيليون: هذا صحيح، وداعًا.

خرج من الحانة وركب سيارته يقصد بيته وقد عزم على أن يقيدها في المنزل أبد الدهر، أدركه فعرج مسرعًا إليه وافتتحه يناديها بأعلى صوته فلم تجبه، ولج غرفتها فأبصرها فارغة إلا من فراشها وخزانة الملابس فارغة فعلم أنها هربت، أخرج سلاحه وأطلق رصاصتين على الفراش من شدة حنقه وجلس يدفن وجهه بين راحتيه وقد انتابه خوف شديد على حياته عازمًا على التعاون مع مرسل الخطاب.

العاشرة مساءً..

اشتدت حرارة الأجواء بالرغم من غياب الشمس عن المشهد وأصاب الكسل ذرّات الهواء فركدت مسلّمة الدور إلى الرطوبة في النشاط حيث تصبب العرق على وجوه كل من تواجد في هذا المناخ وإن كان مستلقيًا على فراشه لا يكد يتحرك منه شيء إلا إصبع قدمه، في أحد المنازل المتجاورة يقبع سام في شرفة المنزل شاردًا لا يحرك ساكنًا، انتبه من شروده لما أدرك العرق صدره حيث شعر به ينهال عليه، جلب مِنْشَفَة كان يخصصها لهذه الأجواء ومسح على وجهه وصدره ثم أشعل لفافة تبغ، لطالما كره التبغ والتدخين في هذه الأوقات الحارة، إلا أن عقله قد طلبها لاستعدال مِزَاج سيئ قد أصابه مؤخرًا من سوء الأحداث، قام يقصد الثلاجة وجلب منها زجاجة مياه يحاول بها إطفاء لهيب التدخين في الحر ثم عاد إلى رقدته، كان قلبه قد امتلأ فضولًا لما هو آتٍ وينتظره بصبر استهلكته الأيام الطوال بعد خلافاته مع يصهار التي منحت الأخير انتصارًا ساحقًا، ذكر أمر المنظمة وتمنى أن تأتي الأوامر سريعًا حتى تعود الأيام لسابق عهدها من الرخاء قبل تلك الخلافات، ظل عقله يتخبط في غيبات الشرود حتى ذكر ميعاده الذي قد حدده مع هيلينا في الثانية عشر من يومهم هذا، قام يقصد غرفة نومه حيث كانت تقبع أنثى قد مُنحت عينًا تتخلل الناظر إليها حتى تكشف ما يجول بخاطره وتمحوه حيث لا يبقى في حديث نفسه إلا هي، كانت تضفي بعض اللمسات من قلم أسود حتى

يبصر الناظر عينا قطة صغيرة يمكنه أن يكتب فيها أشعارًا تُجاوز في طولها معلقات أستار الكعبة من الشعر الجاهلي، شعرت بدقات أقدامه ففتحت عيناها تبصره ثم ابتسمت وابتسم قلبه لما أبصرها، أقبل إليها مُقبّلًا عيناها كما اعتاد على ذلك، كانت تتعجب من هذه القبلات التي تقصد عيناها وتبتسم لما تتذكر جوابه لما سألته لماذا تقبلني في عيني؟ حيث رد بقوله: هاتان العينان هما أغلى ما أملك، ابتسمت بملء فمها قائلة: يبدو عليك القلق والانشغال.

سام: ألم أقل لكِ أنهما أغلى ما أملك.

ردت: ما الذي يشغل بالك؟

سام: لا شيء، أمور العمل وغيرها من أمور الدنيا...

لم تبدِ اقتناعًا برده لكنه سكت، كان سام ذا حظ كبير من الجمال بحيث تفتتن الإناث به إذا نظرن إليه، كما كان يمتلك القدرة على نظْم الكلام وإيقاع أي منهن في شباكه، التقى بها لأول مرة في أحد الفنادق الفاخرة حيث كان يقصد أحد العملاء بعمله ليتم صفقة ما، ذكر أنه قد ترك ذلك الرجل ينتظر حينًا وراح إليها يحدثها، كانت جالسة بفناء الفندق فجلس بجوارها قائلًا: كم أعشق عقدة الشعر التي تصنعيها وهو يشير إلى رأسها، من حسن حظي أني رأيتها على هذا الوجه الجميل.

نظرت له بتعجب قائلة: هل تعرفني؟

سام: لا، ولكنني أريد ذلك.

هي: لماذا؟!

سام: لا لشيء معين، وإنما لإضافة بعض الجمال لحياتي البائسة.

قطع استرسال ذكرياته قولها: لا، ليست أمور العمل فهناك ما هو أكبر من ذلك، لكن لا بأس إن كنت لا تريد الحديث.

سام: لا تشغلي بالك، متى ستعودين لمنزلك؟

هي: بعد نصف ساعة.

سام: حسنًا، لديَّ ميعاد في الثانية عشر.

هي: مع من؟

كانت شديدة الغَيْرَة عليه من جنسها وتنهره مرارًا إذا علمت باحتكاك بسيط بينه وبين أي أنثى مهما كانت صورة التعامل ولم يكن قد اعتاد أن يخفي عنها شيئًا، سكت سام قليلًا ثم قال: مع أحد العملاء.

تغيرت معالم وجهها قائلة: من ذا الذي يبرم صفقات في منتصف الليل؟!

سام: قد حددنا ميعادًا من قبل وألغيته ولم يناسبنا غير هذا الميعاد.

هي: أتكذب عليَّ؟!

أطال سام النظر لعينها التي تجبره على قول الحقيقة، ذكر يومًا ما قد علمت بعلاقته مع إحداهن، حينها لم يستطع التوصل إليها أسبوعًا كاملًا ويوم استطاع رآها تبكي وهي تعاتبه أشد العتاب، لكن لا مفر فقد شعرت

بشيء ما خاطئ، جلس على طرف الفراش وجذبها من يدها ليجلسها بجواره ثم قال: أتذكرين ما قد أخبرتك به حول الخلافات التي حدثت مؤخرًا؟

هي: نعم.

سام: هذا الميعاد هو إحدى الخطوات لإنهاء هذه الخلافات.

تحولت نظرتها لنظرة خوف قائلة: ماذا سيحدث؟!

اقترب من رأسها وقبّلها قائلًا: لا تقلقي يا حبيبتي.

ابتسمت بقلق لما شعرت بشفتيه على رأسها، قطع حديثهم صوت اصطدام شيء ما بزجاج النافذة المجاورة لهم أحدث صوتًا مقتضبًا أجبرهم على الصمت، قام سام من مجلسه يقصد النافذة ففتحها ليجد بومة عظيمة الجسد وقد قُيد بقدمها خطابًا مطويًا مكتوب عليه "سام"، علم أن الأوامر قد أتت ففتحه ليقرأ:

"السيد/ سام

تحية وبعد..

كنت قد أمرتك أن تتعرف على هيلينا ولم أخبرك السبب، الآن سأخبرك.. رفيقنا جاد قد كلفناه بتصفيتها وقد رأينا أن الأمر سيحتاج لمساعدة خارجية لذا قد أمرتك بهذا، أعلم أن اليوم ستقابلها بمنزلها، عليك أن تخبرها أن ميعادكم المقبل سيكون في بيت كائن بالطريق الذي يقبع فيه منزلها بعد ثلاث تقاطعات.. منزل رقم ١٣، يجب أن يكون الميعاد في تمام الساعة التاسعة

مساءً حيث سيأتي جاد لينهي مهمته بعد ساعة واحدة من ميعادكم، اعتنِ بنفسك واحذر منها.

الزعيم"

***

طوى الخطاب في حين رفرفت أجنحة البومة راحلة ثم وضعه على طاولة كانت تدنو من النافذة، رفع بصره ليراها واقفة بجواره تتعجب من مظهر البومة وعلمه أنها تحمل خطابًا له، مكث صمتها قليلًا ثم قالت: ما الأمر؟

سام: هذا خطاب يخبرني بالأوامر.

هي: من الذي يأمر؟

سام: لا أعلم هويته، لكنه المخطط لما قد ذكرته...

أدرك سام ذلّة لسانه أمام الضغط الواقع في نفسه من نظراتها، قطع كلامه وحوّل بصره إلى النافذة في حين استدارت هي لتكن في مرمى بصره، ثم قالت: لكنك لم تذكر لي أن أحدًا يخطط لذلك!

زفر سام بقوة، ثم قال: نعم، هذه هي الحقيقة.

هي: وما مصلحته؟ وكيف لا تعرف رجلًا يشاركك في مثل هذا الأمر الخطير؟!

سام: مصلحته ستكون ما بعد انتهاء الخلافات، لا يهمني أن أعلم هويته

بقدر ما يهمني أمر المخطط.

هي: وما أدراك أنه صادق؟!

سام: ليس لديَّ حل آخر.

هي: أرأيت إن حدث لك مكروه!

سام: لن يكن بأسوأ مما حدث.

لم تعقّب وقد أدركت أن ثمّة لا شيء قد يثنه عن عزمه، تملّكها الخوف من المجهول والحيرة من أمرها، ظلّت على صمتها طويلًا تلحظه في حين أتمت الساعة دقتها الحادية عشرة فتوجّه سام إلى الدولاب وجلب سترة أنيقة وبدأ في تبديل ثيابه، فرغ من ذلك فكسرت صمتها بما يوحي بشدة حيرتها بقولها: وماذا ستفعل؟

سام: لا شيء، سأسترد حقي وأكمل مخططي، هيا بنا.

أمسك براحتها برفق ثم خرجا من الغرفة نازلين إلى الطريق، توقفا أمام باب المنزل ثم قال: هل ستروحين إلى منزلك؟

هي: لا، سأنتظر عودتك في بيتك.

سام: حسنًا، أنا ذاهب لموعدي.

هزّت رأسها بشرود فطبع قُبلة على فمها وانصرف، ظلّت عينها تلاحقه حتى تلاشى أثره من الطريق فعرجت إلى البيت وجلست بصحبة القلق،

ركب سام سيارته وراح بها حتى أدرك منزل هيلينا، ولج البوابة ثم عرج الدرج وصولًا إلى بيتها وطرق الباب، فتحت هيلينا ونصفها العلوي عاريًا قأقبلت إليه بشوق زائف تعانقه، بادلها الزَّيف وضمّها بقوة ثم جلسا على الفراش وهيلينا قد أراحت رأسها على فخذه جاذبة راحته حتى تخللت بقعة ثديها الداكنة ما بين سبابته وإبهامه ثم قالت: اشتقت لك.

سام: وأنا اشتقت لما أضع يدي عليه، ثم قبض يده قليلًا حتى بصمت أنامله ما حول القربة اليمنى واحتوتها، ضحكت ضحكة مدوّية ثم قالت: أكثر شيء قد يميزك هو ردود أفعالك على الأقوال والأفعال.

سام: أنا دائمًا في الخدمة عاشقًا لمنحنياتك.

هيلينا: كم ستمكث معي؟

سام: قرابة ثلاث ساعات.

هيلينا: فقط!

سام: نعم، لولا أني وعدتك أنني آتٍ الليلة لما أتيت فأنا متعب للغاية.

هيلينا: ما الذي يؤلمك؟

سام: ظهري كله.

رفعت رأسها واستدارت واضعة إصبعها على أول زر في قميصه ثم باغتت لثته بحبّه توت أحمر قد استطالت حتى وصلت ما بين حلقها وحلقه ناشرة ريقها بين ثنيات أسنانه وحررت الزر من أسر عروته، ثم تابعت ذلك

نزولًا حتى خلعت عنه قميصه، أدارات منكبيه برفق فاستجاب لها وبدأت أناملها تداعب فقرات ظهره حتى شعرت بذلك عروقه وأعصابه فخضعت للارتخاء التام حتى استلقى على وجهه وهي تتابع، تفرّقت بصمات أناملها على أنحاء ظهره ثم مسحتها بقربها فارتفعت مؤخرته قليلًا لتعطي مساحة كافية لرقبة بدأت في التمدد حتى انتصب رأسها واشتدت بعد ليونة، شعرت بذلك فابتسمت قائلة: الآن؟

سام: انتظري حتى تنتهي من عملك.

هيلينا: لقد انتهيت.

استدار سام حتى استلقى على ظهره ثم جذبها من رقبتها وبدأ عمله، ظلا على ذلك حينًا حتى عادت الرقبة إلى ارتخائها وانكمش الرأس متقهقرًا بعد معركة طاحنة في وادٍ رطب أزاده رطوبة، استلقت بجانبه تلتقط أنفاسًا متسارعة ثم قالت: هلا تمكث معي الليلة؟

سام: بعدما حدث لم يتبقَ من طاقتي سوى ما يوصلني إلى فراش منزلي.

ضحكت ضحكة مدوّية اعتاد أن يسمعها ثم قالت: حسنًا، متى ستأتي مجددًا؟

سام: المرة المقبلة ستأتي إلى شقتي الجديدة.

هيلينا متعجبة: وهل اشتريت شقة جديدة؟!

سام: نعم لقد سئمت القديمة.

هيلينا: وأين تقع؟

سام: سأخبرك لاحقًا لأنني لم أحدد بعد أي شقة سأشتري.

***

قام من استلقائه إلى الحمام يغتسل ثم عاد فاعتطف ثيابه مودعًا لها ونزل إلى الطريق، انتظرت بضع دقائق بعد نزوله وقامت تستر جسدها ثم نزلت إلى مدخل البيت تقصد صندوق بريدها تبحث عن أمر جديد، وجدت مرادها ففتحت الخطاب لتقرأ:

"إلى/ هيلينا

***

لقد حان موعد مهمتك، وصلنا خبر من العيون أن سام قد اشترى منزلًا جديدًا في الطريق الذي يلي منزلك بعد ثلاث تقاطعات، البيت الثالث عشر، أظن أنه لم يخبرك بمكانه تحديدًا زيادة في الأمان وأنه قد حدد ميعادكم المقبل فيه، أيا ما كان المكان فمهمتك يجب أن تنتهي في أول موعد، ستجدين في قعر المظروف قارورة صغيرة تحوي سمًا يقتل متناوله في دقائق، احذري من ملاحظته

الزعيم"

طوت الخطاب بعدما أخرجت القارورة وعرجت إلى منزلها تحاكي ذلك اليوم في عقلها.. إما الحياة أو الموت.

التاسعة مساءً..

دفعت ذرّات الهواء السريعة السحب بقوة حتى اصطدمت ببعضها في أول الليل من أحد ليالي الشتاء، لم تكن السحب قد اعتادت على الزحام بعد فأثار ذلك غضبها واصطدمت بقوة أكبر من قوة التدافع؛ فأنصب غضبها على الأرض في صورة خيط ضخم من الشحنات التي ضربت محطة الكهرباء المركزية فانفجرت من زيادة حِمل الشحنات، أحست بذلك مصابيح الشوارع فأطفأت نورها حدادًا على تلف المحطة، تناوبت المصابيح في إحكام سيطرة الظلام حتى انطفأت جميعًا بعد فراغ بقايا الشحنات ثم تبعها أنوار البيوت على مساحة كبيرة التي تتبع المحطة، لم يكن سام بحاجة إلى الضوء ليلتها، بل إن الضوء سيعكّر صفو ليلة ستبدأ بعد قليل بحضور هيلينا إلى المنزل، قام من رقدته في الشرفة متجهًا إلى فناء المنزل حتى التهمته خيوط الظلام، انقطعت بمجرد أن أشعل شمعة وحيدة تتوسط منضدة مستديرة تحمل دلوًا يمتلئ بالثلج يجاوره زجاجة نبيذ عتيقة قد ادّخرها لهذه الليلة، سحب مَقْعَدا وجلس منتظرًا، لم يكتسب المَقْعَد دفئًا كبيرًا من جسده حتى أدركت هيلينا الباب وطرقته، قام بخطى حثيثة ثم فتح الباب وقال متبسّمًا: يبدو أنكِ لا تخشين الظلام.

هيلينا: بل إني أعشقه.

سام: لا أظن أننا بحاجه إلى الضوء هذه الليلة.

***

ابتسمت ثم دفعته بدلال وتبسّمت أرض المنزل لما وطأتها قدمان عاريتان بعدما خلعت حذائها المكعب خارجًا وقد لامس الباب الإطار الخشبي المحيط به دون أن يُغلق تمامًا، استبدل المَقْعَد خشونة جسد سام بنعومة جسدها فارتخى احترامًا، جذب مَقْعَدا آخر ثم جلس قائلًا: ظننت أنك لن تأتي بعد هذا الظلام الذي اجتاح المنطقة.

هيلينا: القدر لا يغير خطته بهذه البساطة، وقد خطط لهذا اللقاء منذ أمد بعيد.

ابتسم وهو يحرر قطعة الفلّين من أسر فوهة الزجاجة الضيقة ثم صب كأسين في إشارة لاستحضار الشيطان الذي وجد المبيت في هذا المنزل ليلتها، ارتفعت الكؤوس ومالت الرؤوس، كان نوع هذا النبيذ بقوة تكفي لإعمال دور العقل الباطن بعد كأس واحد فقط، العقل الباطن يتكفّل بالشهوة والخيال، أما الظاهر فيتكفّل بترجمة النفوس سواءً أكانت مريضة أو صافية، امتزجت الشهوة بالخيال فتدافعت حرارة قد استشرت في جسدهما وتكفّل الخيال بوعد بليلة ممتعة لهما ولم يكن ينوي إخلافه، قام سام من مَقْعَده قاصدًا مَقْعَدها ثم مال عليها وهمّ أن يأكل شفتها العلوية إلا أن تفريغ الشحنات قد استوقفه بلسعة شديدة أصابت فاه فانتفض وعاد خطوة للخلف، أمسكت هيلينا بيده ثم قالت: أقبل الآن.

***

مال عليها مجددًا وخضع قانون التفريغ له بعدما أمسكت براحته، ألقى لسانها السلام على لسانه ثم تناوب به على بقية الأعضاء من الأسنان التي لم يجْلِها منذ مدّة كبيرة فأزالت ما قد علِق بها، ارتفع فكه السفلي حتى أحكم فاه قبضته على شفتها السفلي وضغط حتى أفرزت عصيرًا اختلط فيه ريقها بأحمر الشفاة حلو المذاق وتلطخ لسانه باللون فشعر بمذاقه، همّت بالقيام فرفضت قدماها أمر عقلها فاستندت على راحته التي قد وضعها خلف ظهرها تحسّبًا لهذا الموقف الذي قد رآه أكثر مما رأى أباه، باختلاف الأجساد والأوصاف إلا أن جميعهن قد رفضت أقدامهن الوقوف في هذه اللحظة، ضغط على ظهرها فالتصقت قِربُها المنتفخة بقِربة الصلبة ثم حملها واتجه إلى الفراش، وضعها برفق ثم وضع جسده عليها وامتدت راحتيه تداعب جسدها الناعم ثم فرّت إحداها إلى تل من الجلد يقطعه وادٍ قد امتلأ بمياه دافئة قد نبعت من بئر الشهوة، ولج إبهامه إلى الوادي بحذر فشهقت من انقطاع أنفاسها ثم ابتسمت، خرجت راحتيه من مخابئها لتحرر جسدها من أسر الثياب الباهظة حتى أصبحت كالجنين يوم خرج من بطن أمه وارتخى ما يحبسه جلدها من السمن الذي أعطاها جسدًا كحقيبة بلاستيكية تمتلئ بالماء تهتز صانعة موجات متتابعة بصفعات رقيقة قد انهال عليها بها، استلقى على ظهره والتهم الوادي ما قد انتصب منه وبدأت موجة قد صنعها جسدها بالانطلاق في وصولها لأقصى ارتفاع ثم العودة إلى أقلّة ليحجب التل الضوء عن ما في واديه، دار عقرب الدقائق ثلث دوره قبل أن يفرغا من عملهما ثم استلقت بجانبه وألقت إليه نظرة تقدّر بها ما بذل من جهد، نظر لها قائلًا: يا

لها من ليلة مميزة!

هيلينا: ثلث الساعة يكفي ليجعلها كذلك.

ابتسم سام ثم استأنف: سأقوم للاغتسال.

أومأت برأسها إيجابًا ثم قام متمطّعًا وهو يلقي بصره إلى الساعة فوجدها العاشرة إلا الربع، ولج إلى حوض الاغتسال وانطلقت المياه تبرّد جسده الساخن، قامت هيلينا من مكانها وتحققت من انشغاله ثم عادت ووضعت يدها بجيب المِعطف وأخرجت أنبوبة السم التي أخذتها من المظروف، وخرجت إلى الفِنَاء لتحضر النبيذ ثم صبّت كأسين وأفرغت بأحدهما السم، ثم عادت إلى جلستها الأولى، خرج سام بعد مرور عشر دقائق فجلس على جانب الفراش يجفف شعره، جلبت هيلينا الكأسين ومدت بالمسموم راحتها إليه وقد تعمّد التأخّر في التجفيف حتى سمع كلاهما صوت صرير الباب معلنًا عن ولوج جاد إلى البيت، تصنّع الصدمة من مجيئه أما صدمتها فقد كانت حقيقية بما فيه الكفاية لترتدي ثيابها في ثوانٍ معدودة، كانت نظرات جاد جامدة لا توحي بأي شعور حتى التقت عينه بعينها، سيطر الصمت على المشهد بضع دقائق اختلطت فيها نظراته بانفراج فمها، حوّلت بصرها عنه تبحث عما قد تدفع به الأذى عن نفسها فأخرج طبنجته وصوّبها باتجاه رأسها، نظرت له بخوف يشوبه الاستعطاف بحق حبٍ يكنّه لها وأهملته هي، رأى نظرتها فقال: ألا تعلمين أن ما حدث بينكما ومجيئي كله مخطط؟!

***

نظرت هيلينا إلى سام الذي قد ارتسمت بسمة الخبْث على وجهه ولم يكن يعلم ما بين جاد وبينها، همّت بالكلام فأصابت رصاصة فص مخها الأيمن قد كتم صوتها فانفجر رأسها وسقط جسدها أرضًا، فكّ جاد كاتم الصوت ووضع طبنجته في جنبه ثم نظر لسام قائلًا: لقد أنهيت مهمتي معكم، أما أنا لديَّ مهمة خاصة..

لم يعقّب سام وخرج جاد من المنزل بهدوء شديد، قام سام وطبع قُبْلة على صدرها ثم ارتدى ثيابه وأخرج جالونًا يحمل بعض النفط من أسفل الفراش وأغرق الغرفة به، وقف على الباب ثم أخرج لفافة تبغ وأشعلها بعود ثقاب ثم ألقى به على عتبة الغرفة فسارت النار حتى التهمت جسدها الذي كان له النصيب الأكبر من النفط، والتهمت معه مائهُ الذي لم يجف بداخلها بعد ثم نزل إلى الطريق بمثل هدوء جاد.

الواحدة والنصف صباحًا..

تلاحمت الألوان الزيتية بانسجام نظمه مبدع قديم قد مات بائسًا قبل أن يعلم كم ستتعجب البشرية من حسه بالغ الدقة، صنعت قصرًا مهيبًا ينظر إليه ملك لم تُفصّل أعطافه، يُستدل عليه من تاج لم تعبث الأيام وتعاقبها بلونه الأصفر اللامع وغيداء قد مالت بدلال ثابت وسط جنة مكتملة الخضار تحوي أيكة عظيمة تجاور القصر حيث أخفى منها ما أخفى من الأوراق، انتفضت روح المبدع في قبره لما بصم جاهل بأنمله فوق تاج الملك وهو ينوي أن يضعها في صندوق كما توضع الآنية البالية ثم وضع أخرى بجوارها ونزل إلى الطريق يقصد سيارة فارهة تخص أحد أكابر تجارة ذلك النوع من الآثار والمعاون السابق لأغسطس.. إبرام

***

كان إبرام قد أتم اعتطاف بذلة داكنة وهمّ إلى السيارة يتجه بها إلى المشتري، استقلها وراحت في طريقها بعد أن أتم مكالمة مع المشتري يخبره بقدومه، اعتاد أن يأتي إليه المشترون ليقيم مزادًا مفتوحًا على ما يبقى من اللوحات إلا هذا المشتري، فقد كان أحد أكبر أعضاء مجلس النواب في البلاد حيث شغل ذلك المنصب حديثًا، استحق أخيل ذلك المنصب عن جدارة عقله الدهي ويده التي تغدق بالأموال على من يتوسم فيهم القدرة على مساعدته، فلم يكن لإبرام لينتظره أن يأتي لمزاده أو ليتخلى عن أثرى المشترين لديه فيضطر

أن يروح إلى حيث اتفقا، حين أدركت السيارة منتصف الطريق أتم أخيل خطابه الذي يحوي إخطارًا لأغسطس بحضور إبرام إليه كما تعاهدا على ذلك.

***

لم يستطع رفض عرض الزعيم بالتعاون معه عن طريق أغسطس من شدة حبه للمال فوافق سريعًا على إرشاد أغسطس لغريمه ليُنعم عليه الزعيم بما وعد، مرَّ حين من الوقت دار فيه عقرب الدقائق ما دار حتى أتى أحد الحراس إلى أخيل يخبره بقدوم إبرام، أذن له فولج إبرام محييًا ثم جلس، تنحنح قائلًا: أود أن أهنئك على المنصب.

أخيل: أشكرك، هل تريد أن تشرب شيئًا؟

إبرام: نعم، قهوة.

أمر أخيل بها ثم عاد له قائلًا: ما الذي أرسلك إلينا؟

إبرام: أتيت لك بشيء أعلم أنك ستحبه.

حضرت القهوة فارتشف إبرام بعضًا، ثم استأنف: لوحة فنية تعود لعام ١٨٨٦ قد جاوز سعرها ألف ألف دولار.

أخيل: أين هي؟

أشار إبرام لأحد حراسه فأخرجها من صندوق كان بحوزته، أبصرها أخيل بإعجاب أصاب نفسه قد حازته، وضعها بجواره حين قال إبرام:

كيف بدت لك؟

أخيل: رائعة، بكم ستبيعها لي؟

إبرام: قلت لك إنها جاوزت الألف ألف.

أخيل: لن يكون هذا أول أو آخر تعامل، سأعطي لك ما قلت فقط.

إبرام: وأنا لن أمانع.

***

أشار أخيل لأحد الرجال الواقفين خلفه فولج البيت عدة دقائق ثم عاد بحقيبة المال وأعطاها لإبرام، فتحها يتفقدها في حين تلاشت موجات ضوئية قبيل اصطدامها بقرنية الحضور قد صدرت عن مصباح آلة تصوير يلتقط بها قاص صورًا مفصلة لتلك الصفقة، كان أخيل قد أمر الحراس ألا يمنعوا أحدًا من الولوج لفترة لا تزيد عن العشر دقائق لعلمه بقدوم أغسطس، وإذا أخبره أحد الحراس أن أحدًا أتى قد يأخذ إبرام حذره فلم يوقف أحد المصور والتقط صوره بسلاسة تامة، أتم إبرام تفقّد المال ثم قال: انتظر قطعة أخرى أفضل من تلك.

أخيل: أتمنى ذلك.

همَّ بالقيام فاستأنف أخيل معطيًا أغسطس المزيد من الوقت: متى ستأتي بها؟

إبرام: في القريب العاجل.

لم يجد أخيل سببًا قويًا يستطيع به منعه من الانصراف. فقال: حسنًا.

***

قام محييًا وهمّ إبرام أن يغادر حتى سمع أحد حراسه صوت احتكاك معدن بآخر نتج عن سلاح ناري قد وضع في رقبته من رجل يعتطف بذلة تامة الفخامة وآخرون قد رافقوه وفعلوا بأقرانه مثلما فعل الأول، رفعوا جميعًا أيديهم حين قام إبرام فزعًا وصاح قائلًا: من الذي أرسلكم؟!

رد عليه أحدهم: اهدأ سيد إبرام حتى لا تضطرني إلى استعمال القوة.

إبرام: أنا لا أخشاك ولا أخشى ذلك السلاح.

لم يرد الرجل وظل إبرام على صياحه حتى ظهر أغسطس من العدم، توقف الحديث في تراقيه وظل يرمقه بفزع وصدمة، كيف علم أنه عند أخيل هذه اللحظة؟! نظر إلى أخيل الذي كان قد أشعل لفافة تبغ مبتسمًا ابتسامة قصد بها إثارة أعصابه، ثم قال الأول: أيها الخائن، ماذا صنعت؟!

رد متهكمًا: خائن! أكنت أحد أقاربي حتى أخونك؟!

إبرام: لن تهنأ بفعلتك تلك.

***

لم يرد أخيل وخرج المصور من باب المنزل إلى السيارة التي أقلّت أغسطس ورجاله ووقف بجوارها، أشار أغسطس إلى رجاله فأرغموا أولئك الرجال على الخروج من المنزل بما فيهم إبرام، ظل أخيل يرمقهم حتى تلاشى أثرهم

من أمامه حين أدركوا سياراتهم وحضرت شاحنة صغيرة قد خطط الزعيم أن يختطف بها رجال إبرام، نزل سائق الشاحنة إلى أغسطس يحاوره ووثق رجال أغسطس رجال إبرام وأمروهم بالصعود إلا إبرام لم يوثقوه، استغل إبرام حديث سائق الشاحنة مع أغسطس وغفله من وضع السلاح في رقبته وركض بأقصى سرعته نحو مَقْعَد السائق حتى يهرب برجاله، لحظ ذلك أغسطس فأشار إلى من همّ بإطلاق النار أن يتوقف ثم هرع إلى إحدى السيارات ليطارده، كان باب الشاحنة قد أغلق على رجال إبرام ولم يكن بمقصورة القيادة سواه، كانت سيارة أغسطس تفوق سيارته سرعة فأدركه في زمن قليل حتى جاوره، مال عليه إبرام حتى يحطم سيارته فتراجع واستقرت الشاحنة أمامه، أدرك أغسطس أنه لا سبيل لسيارته أن توقف تلك الشاحنة فأخرج سلاحه الشخصي وأطلق ثلاث طلقات أصاب ثانيها إطار السيارة الخلفي وثالثها أحد رجال إبرام حيث ولجت ثقبًا ببابها، اختل توازنها فدعم أغسطس اختلالها برابعة أصابت إطارها الأيسر الآخر فترنحت على الطريق وأبطأ أغسطس سرعته حتى خرجت عن الطريق وانقلبت حتى استقرت على جانبها الأيسر. خرج أغسطس من سيارته يقصد مقصورة القيادة وفتح إبرام الباب المجاور للمَقْعَد الأيمن وخرج فاستوقفه بسلاحه، رفع يداه عاليًا فأدار أغسطس يده وانهال بمؤخرة سلاحه على وجهه ففقد الوعي لتوّة، وثّق يداه وقدماه ثم حمله إلى سيارته ووضعه بحقيبتها ثم راح***

أتمت الأرض دورتها المطلوبة لانقضاء الليل وتسربت بعض أشعة الشمس إلى السماء على استحياء وبدأت الحركة تدب في الطريق قليلًا، مرّ على

الشاحنة سيارتان كان مستقلوها في عجلة من أمرهم فلم يتوقفوا وكان إبرام قد استفاق من فقدان وعيه واستطاع أن يفك وثاقه، توقفت الثالثة بجوار الشاحنة ونزل سائقها يتفقدها، سمع صوتًا داخل صندوق السيارة ففتحه ليجد الرجال وأحدهم قد غاب عن الوعي من كثرة فقده للدماء، استدعى الشرطة والإسعاف التي حققت معهم وأخبرهم أحدهم أن السيارة كانت تسير على الطريق حتى انقلبت ولم يسمعوا أي شيء بعدها.

***

أمر الضابط المرافق للقوة أن يتحفظوا عليهم لحين إتمام التحقيق وأقلّت الإسعاف المصاب وعاد الطريق إلى هدوئه، همَّ أخيل بفراشه ليسْلم جسده للسبات فاستدركه أحد الحراس بخطاب وصله من الزعيم، فتحه ليقرأ:

"السيد أخيل

تحيه وبعد..

بلغني أن الأمور تمت على ما اتفقنا عليه، اللوحة والمال اللذان بحوزتك هما أول عوائد مشاركتك، انتظر المزيد من المال، ولكن مع مزيد من الأوامر"

***

أغلق الخطاب وقد عزم على ألا يتلقى أي أوامر أخرى، ولكن الأمر التالي كان يحوي نهايته.

العاشرة صباحًا..

كست الغيوم حدقتي جاد حتى أظلم عليه نهاره واتشحت الماديات بالسواد حتى الناصع منها وقد أعطفه عقله بمعطف ذا لون دافئ قارب لون الدَّم ووضع بيده سلاحًا يحوي طلقة واحدة لم يقدر على نزعه منها، سار في أرض قحلة بلا وجهة يتفقد ذلك الوسط المريب ثم تراءى له سام يركض مسرعًا نحوه، هم أن يطلق عليه الرصاصة إلا أن يده تيبست واكتفى بأن يراقبه وهو يمرر سكينًا على يده فقطع له أصبعين ثم رحل، راح بيده التي تشخب دمًا يمضي في طريقه إلى أن تراءت له هيلينا فزعه كأن ليثًا يركض خلفها.

عزم على أن يفتح ذراعيه لتسكن أحضانه فاستبدل عقله تلك النية بنية إطلاق النار عليها، حينها توقفت قائلة: لا تقتلني يا جاد.

سبقت يده لسانه وحركت سبابته ضاغطة على الزناد فسكنت الطلقة أوسط رأسها فانفرج فمها لحظة الاحتضار ثم تلاشى أثرها أمام بصره، ركض نحو سرابها يبحث عنها إلا أنها اختفت تمامًا ولم يتبقَ منها شيء سوى بحيرة دماء تكونت في حفرة صغيرة، سمح له عقله بإفلات السلاح، ثم جثى على ركبتيه يبكيها فأفرزت عينه دمًا تسرب إلى البحيرة وسقط غائبًا عن الوعي، استيقظ عندما لامس رأسه الأرض فزعًا يتصبب عرق قد اختلط بالعبرات على وجهه وهو يلهث كأنما قطع أشواطًا طوالًا على قدمه.

***

أطلقت عينه اللحظ متفرقًا على أنحاء الغرفة حتى أدرك أن ذلك هو أسوأ الأحلام التي راودته طيلة حياته، شعر بوخز يغزو يده فأبصرها وقد فقدت الخنصر والوسطى وانجرح لئام فقدهم فعاودت راحته فقْد الدماء كأنما تقطعوا لتوّهم، ضمّد جرحه وكف البحث عن ضمادة لقلبه لما أدرك أن البحث عديم الفائدة فاستمر قلبه في البكاء كما بكت عينه في حلمه، أصاب نزيفه الداخلي عقله فترك عقاله إلى غيبات العبرات والشوق فتلاعبت به حتى أفقدته إياه.

***

قام إلى خزانة ملابسه يبحث عن شيء يعتطفه فلم يجد حيث راحت عيناه إلى سام لما تراءى له وفرغ عقله إلا من صورته وروحه التي قرر أن يزهقها بأي ثمن، وضع يده بالخزانة فجلبت سترة أدرك أن النهار قد سطع منها لما انعكست الشمس على أول أزرتها الذهبية اللامعة، اعتطفها ونزل إلى الطريق يقصد العاصمة القديمة إلى حيث يقبع سام

***

ركب سيارته وضغط على مداس القيادة بقوة أزادها حنقه عليه، لم يكن سام يعلم بأمر علاقتهم حتى أنه تعجب لما قال له جاد بعد أن قتل هيلينا "لقد أنهيت مهمتكم وأنا لديَّ مهمة لأقضيها" ولم يكن يدري أن تلك المهمة هي استئصال روحه من وسط الحياة إلى وسط البرزخ، أدرك بيته وأبطل

المحرك ثم نزل يصعد إلى بيت سام، أدركه فطرق الباب يسمعه سام يقول: من بالباب؟

جاد: أنا جاد.

قام الأول إلى الباب حتى أدركه وفتح قائلًا: أهلًا بك يا صديقي.

ولج جاد إلى الفِنَاء فاستدركه سام بقوله: ما الذي حدث لـيدك؟!

جاد: لا شيء، حادثة بسيطة.

سام: بسيطة وتفقد فيها إصبعين؟!

جاد: لا أريد أن أتذكر الأمر لأنه يزعجني.

سام: حسنًا، أتريد أن تشرب شيئًا؟

جاد: نعم أريد كوبًا من القهوة.

قام سام وغاب حينًا يجهزه ثم عاد باثنين وجلس قائلًا: خيرًا يا صديقي.

جاد: لا شيء مهم، فقط أتت لي خاطرة أن أزورك.

سام: لقد سعدت بتلك الزيارة.

جاد متظاهرًا بالفضول: وما أخبار حياتك؟

سام: لا شيء، نساء ثم عمل ثم نساء.

كان جاد ينوي أن يدفع الآخر إلى فتح الحِوار بنفسه فقال متظاهرًا

بالضحك: ومن كانت سعيدة الحظ آخر مرة؟

أراح سام جسده يقول: هيلينا، تلك التي أمرك الزعيم بقتلها.

تماسك جاد أمام طوفان عارم من الألم ثم استأنف الأول: يا لها من امرأة مميزة، كانت تعلم بحق ما يجب عليها فعله.

اشتدَّ الطوفان على جاد فقاطعه قائلًا: هل هناك أخبار جديدة عن المنظمة؟

سام بحسن نية: نعم، لقد أتت أوامر جديدة تخص الهدف الذي سأستهدفه.

جاد: حقًا؟! ما اسمه؟

سام: اسمه سيليون ويقبع في البلدة المجاورة للتي نحن فيها.

جاد: ومتى ستنتهي مهمتك؟

***

قام سام من مَقْعَده إلى آخر وضع عليه معطف فمد يده بجيبه وأخرج خطابًا مَدَّ به إلى جاد قائلًا: هذا هو الخطاب.

أخذه جاد وفتحه ليقرأ:

"السيد/ سام

تحية وبعد..

أتمنى أن تكون قد سعدت بما عاد عليك المخطط من هيلينا ورحيقها، أما الآن فقد انتهى وقت العبث وحان وقت مهمتك، علمنا أن سيليون سيروح إلى المقاطعة الخامسة على طريق العاصمة بعد أسبوع من الآن، حتى تكون الأمور على ما يرام عليك أن تنتهي منه مجرد وصوله الاستراحة، حظًا موفقًا"

***

طوى جاد الخطاب قائلًا: أي أنه سيكون هناك يوم الأربعاء أو قبلًا.

سام: تقريبًا.

جاد: وأين ستمكث قبلها؟

سام: في العاصمة كما أنا وسأتحرك عند موعد المهمة.

جاد: هذا جيد، أتمنى لك حظًا سعيدًا.

قالها ثم أنهى كوب قهوته واستأذن للرحيل، اصطحبه الأول إلى الباب بعدما عزم الأخير على العثور على سيليون هذا حتى لو كلفه ذلك روحه، سلّم عليه حين قال الأول: أتمنى تكرار تلك الزيارة.

أومأ الأخير يتصنع البسمة ثم همَّ بالرحيل، توقف قليلًا يتظاهر بالقلق قائلًا: أخشى أن تفقد هدفك، هل تعرف أوصافه جيدًا أو أين سيكون قبل مهمتك تحديدًا؟!

منتصف الليل..

عانقت الرمال الصحراء خيطًا متمددًا من القطران صنع منه البشر طريقًا إلى أفضل المدن هواءً وأحسنها للاستجمام والتخلي عن مشاغل الحياة، كان الطريق فارغًا حيث حبس كلًا ما يشغله إلا سيرون، كان يرافق صاحبه له إلى بيته الذي اشتراه منذ زمن، احتفت الصواري بمروره بضوء ساطع سلّطته على الطريق، ثم أدار مفتاح مذياع السيارة وفتحت صديقته زجاجة كحول تُركت منذ آخر مرة راح فيها إلى ذلك البيت زيادة لتركيزها ومفعولها، تجرع نصفها وأعطى البقية لها ثم أبصر سيارة كانت تخلفه منذ افتتح أول الطريق في رحلته.

***

انتابه بعض القلق من تتبعها له ثم تجاهل قلقه حتى لا يعكر صفو ليلة ظن أنها ستكون جامحة، أدرك المنزل حين أتى الكحول على عقل صديقته فأسره كما أسر الأول وانعطفت السيارة التي كانت تخلفه يمينًا تتجه إلى المرسى، نزل سائقها يلجه حتى أدرك رجلًا ذا سترة سوداء وقبعه أشد في سوادها من السترة وندبة كبيرة تحتل أوسط راحته، وقف أمامه قائلًا: سيد عمران؟

التفت عمران له قائلًا: أجل.

الرجل: لقد أرسلني الزعيم بذلك الخطاب لك.

أومأ الأول برأسه إيجابًا وأخذ الخطاب، ثم فتحه ليقرأ:

"السيد/ عمران

تحية وبعد..

كنت قد أمرتك أن تروح إلى مرسى القوارب الذي تملكه منذ يومين وكنتُ أنتظر اللحظة المناسبة لأخبرك بالأوامر الجديدة، ارتأى لي أن اللحظة المناسبة هي بعد نصف الساعة من الآن لتصفية هدفك الذي يدعى (سيرون)، رجل بدين فارع الطول له شارب كسا شفته العليا ودائمًا ما يعبث به، ستجده واقفًا على الشاطئ المجاور للمرسى ناحية الشرق، اختر أنسب الطرق لإنهاء مهمتك قبل طلوع الشمس".

أغلق الخطاب وقام إلى أحد القوارب السريعة ثم ركبه وافتتح خزانة أسفله يتفقد شيئًا، كان سيرون قد أفرغ مائة وخارت قواه حتى ارتمى على وجه صديقته والتحم جسده بجسدها، ظل على رقدته حينًا غار فيه الماء داخل الوادي ثم قام من فوقها وأشعل لفافة تبغ يرمقها، شعر برغبة شديدة في طردها من المنزل لما أصبحت عديمة المكانة في نفسه كما يشعر الرجال إذا انتهوا من قضاء حاجة غريزتهم مع أنثى غير زوجاتهم، خرج إلى الحديقة يتنسم هواء البحر المنعش ثم عاد وقد نامت صاحبته من فراغ سُكرها، فتح خزانة ملابسه واعتطف ما يستره ثم حضر الرجل الذي كان يتبعه قائلًا: خطاب الزعيم لك سيد سيرون.

***

أخذه ثم فتحه ليقرأ:

"السيد/ سيرون

تحية وبعد..

من حسن الحظ أنك ذهبت إلى ذلك المنزل فإنه أنسب الأماكن لأداء مهمتك، إذا خرجت إلى الشاطئ الآن ستبصر هدفك الذي كلفتك بتصفيته، أعلم أن الأمر قد يكون صادمًا بعض الشيء لكن لا وقت لذلك، اِنْهِ مهمتك بسرعة"

***

عاد إلى خزانة ملابسه واعتطف فوق سترته شيئًا يمنع عنه البرد ووضع سلاحه في جنبه ثم أخبر صديقته أنه سيعود بعد قليل، كان له جار اعتاد أن يترك مصباح شرفته مضيئًا مهما كان وضعه من نائم أو مستيقظ أو خارج الشقة، خرج سيرون إلى الشاطئ يحمل خطاب الزعيم يتفقد الأول وقد كست السحب السماء حتى أرغمت القمر على التواري.

***

عصفت الرياح بجسده فانتعشت روحه يتنسم أواخر أنفاس حياته في ظلمة حالكة أثارت مشاعره، ظل على ذلك الحال لا يبصر مَدَّ بصره حتى أقبل قارب مسرع ترك سائقه المقود وأخرج من أسفله بندقية ثُبت عليها

منظارًا اتسعت فيه حدقته مصوبًا ناحية الشاطئ ثم أبصر ظلًا يعبث الهواء بصاحبه فتتطاير ثيابه، أطلق النار على الظل فهرع سيرون حتى اتَّضح وجهه للمصوب لما انعكس على وجهه المصباح الذي تركه جاره مضيئًا في الشقة المطلة على البحر، ولم يكن يدرك أن إسرافه في استخدام المصباح سيكون يومًا ما عاملًا رئيسًا في بروز أحدهم إلى حتفه دون حائل، تمم صاحب البندقية على هدفه وأطلق طلقة أصابت نصف وجه سيرون الأيمن ثم راحت تشق عظامه حتى نفذت إلى ما يخلفه فسقط قتيلًا على الفور، انهمر شلال من الدماء منبعة رأسه وجرف في تياره الخطاب حتى صب في البحر والتقت الدماء والماء بالحبر في صدفة قلما تحدث على الأرض، شعرت صديقته بتأخره بعدما استفاقت فخرجت إلى حيث راح وطفقت تبحث عنه، لم تدرك جثته من شدة الظلمة إلا بعد أن اصطدمت قدمها بجسد رطب فأخرجت مصباحًا صغيرًا وسلطت الضوء على الأرض، انتابها الفزع الشديد حتى كادت تفقد وعيها لما أبصرت رأس سيرون المتفجر وانهمار الدماء التي غارت في الرمال، هرعت إلى المنزل تطلب الشرطة التي حضرت مسرعة فقصّت عليهم الأمر.

حضرت الإسعاف ونقلت الجثة إلى المشفى حتى تتم إجراءات الوفاة والمشرحة حين استجوبها الضابط ودوّن ملاحظاته ثم قرر أن يعتقلها لما اشتبه فيها، أبلغ الضابط الذي حضر الواقعة مديرية الشرطة التي يتبع لها ثم اهتزت سماعة دانيال فرفعها يقول: من معي؟

المتصل: أنا أحد ضباط مديرية الساحل.

دانيال: ماذا حدث؟

المتصل: لقد عثرنا على جثة قُتلت منذ بضع دقائق والأوامر أن أخبرك بمثل هذه الأمور.

دانيال: لا تتخذ أي إجراء حتى أخبرك بالأوامر في الصباح.

المتصل: عُلم سيدي، وداعًا.

***

راح دانيال إلى سيارته والضابط إلى مقر عمله وظل الحال على هذا حتى أشرق نهار اليوم التالي وأدرك قائد الشرطة المقر، همّ أن يبدأ روتين يومه فاستدركه جندي بخطاب أتى له منذ أول الصباح، أخذه منه وفتحه ليقرأ:

"السيد/ قائد الشرطة

تحية وبعد..

لقد أتمت المنظمة مساء الأمس مهمة على الساحل في منتصف الليل بجوار أكبر مراسي القوارب في البلاد، لا تحتاج أن أخبرك ما يجب عليك فعله"

***

أغلق الخطاب يعقبه اتصال من دانيال يقول: صباح الخير سيدي.

القائد: صباح الخير.

دانيال: أعلمت بما حدث البارحة؟

القائد: نعم.

دانيال: وما الأوامر؟ لقد اعتقل الضابط المسئول عن الحادث أنثى تقول إنها صديقته، لكن الضابط اشتبه بها.

القائد: أفرج عنها واحفظ المحضر، فقد وصلني خطاب من المنظمة يفيد بمسئوليتها عن الحادث.

دانيال: حسنًا، وداعًا.

***

أغلق القائد الخطاب وهو يذكر عزمه على اختبار قائد تلك المنظمة، ثم تراجع لما شعر بسطوته وسيطرته على الكثيرين من القتلة المحترفين، ستكون عواقب وخيمة إذا أثار غضبه.

الواحدة صباحًا..

البندول الصغير يرتفع ثم يهبط ليصطدم بثلاثة من أقرانه لينقلوا الحركة لآخر يرتفع ثم يصنع كما صنع الآخر في حركة زعمت قوانين الفيزياء بأبديتها ما لم يمسهم شيء، صنعت لمن يرغب في مساحات واسعة من الشرود يهيم فيها على وجهه، كانت الراغبة لحظتها هي ماندي، جسدها قد أوشك على التعافي من الكدمات التي ألحقها به سيليون بعد أن هربت إلى بيت جهزه الزعيم لها، كانت تعد الدقائق والساعات صباحًا تتمنى مُضيّها يعود حبيبها إلى المنزل وتستقر في عناقه تنشد هروبًا من كونها المظلم، اعتادت أن يعود للمنزل في تمام الساعة الثانية عشر من صباح اليوم التالي، لكنه لم يأتِ ليلتها في موعده المعتاد، انتابها بعض من القلق الذي لازمها منذ علمت بأمر المخطط الذي صنعه، لكنها كانت تثق في دهائه وقدرته على إتمام ما يريد بلا أي أذى قد يلحقه.

***

ذكرت أمر سيليون والأيام الخوالي التي رأت فيها من الألم ألوانًا على يده، ظلت الذاكرة تعبث بها حتى استدركتها باحتمال بدا مهمتها الليلة، مرّت بضع ثوان قبل أن تؤكد البومة توقعها بخطاب وصلت به على النافذة، خفّت إليها ثم ربتت على البومة وأخذت الخطاب ثم فتحته لتقرأ:

"عزيزتي ماندي

تحية وبعد..

عذرًا أنني لم أحضر إلى المنزل في ميعادي فقد منعتني بعض الأمور عن ذلك، ولكني سآتي عندما أنتهي منها وتنتهي أنت من مهمتك أيضًا، بعد نصف ساعة من الآن سيأتي إليك خمسة رجال محترفين في الخداع وأسبقية الهجوم سيكونون تحت تصرفك وبحوزة أحدهم إحدى اللوحات الفخمة، ستروحين بهم إلى حيث يقبع أخيل وهم يعرفون مكانه جيدًا، ستقومين بدور أحد تجار اللوحات الأثرية وتتمي معه الصفقة، ولكني قد قررت الإطاحة بأخيل إتمامًا للمخطط، فقد اتفقت معهم على التخلص من جميع حراسه لحظة أن تعطيهم الإشارة لذلك، والإشارة هي خلع غطاء الرأس من الرداء الذي تركته لك خلف الباب، وعندما يتم ذلك ستشهرين سلاحك وتقتلي أخيل ثم تعودين إليَّ بالمال واللوحة، لا تقلقي من عدم تمام المهمة لأنك إذا لم تقتليه بيدك سيقتله الرجال المرافقين لكِ، حظًا موفقًا"

سيطرت عليها غريزة الأنوثة في خوفها بطبعها وشعرت بنبضات قلبها المتسارعة تصطدم بقفصها الصدري وقد تفرق الأدرينالين في جسدها بأسره على أعضائها فارتعشت لا إراديًا، أخذت نفسًا عميقًا تهدئ به روعتها وراحت إلى الغرفة التي وُضع الرداء خلف بابها، اعتطفته وجلست تدير مفتاح الجرامفون الفخم ليصيح بموسيقى هادئة عسى أن تساعدها في استعادة ثباتها، كان عقرب الدقائق قد تجاوز ما تجاوز حتى قطع ثلث ساعة وثلثي النصف الذي أخبرها به الزعيم.

***

ظل الجرامفون يعزف حتى خلُص إلى آذانها صوت جرس إحدى السيارات أفاقها من شرودها لتدرك انقضاء نصف الساعة ومجيء الرجال، قامت إلى الباب ثم نزلت تقصدهم لتبصر خمسة رجال ببِذْلات أنيقة بدوا فيها في تمام البهاء يقفون بجوار السيارة ينتظرونها، أزاد ذلك رهبتها في حين قال أحدهم: صباح الخير سيدتي، متى سنذهب؟

لم ترد ماندي من شرودها فأعاد سؤاله، ثم أزاد: هل أصابك شيء؟

هزّت رأسها قائلة: لا شيء، سنذهب الآن.

الرجل: حسنًا، هلا استقليتِ السيارة؟

ماندي: نعم، هيا بنا.

***

ركبت السيارة بجوار السائق وركب رجلين في المَقْعَد الخلفي تقدمهم من تبقى بسيارة أخرى وسارا في طريقهما، السكون التام يخيم على السيارة إلا من صوت المحرك وما زالت مضطربة وقد أصابها شعور أن هؤلاء الرجال ليسوا أهلًا لما أخبرها به الزعيم، صمتت تفكر كيف تفتح حديثًا، ثم قالت: هل تعرفون مكانه جيدًا؟

أحدهم: نعم.

ماندي: أواثقون من إتمام تلك المهمة؟

ابتسم ابتسامة ساخرة ثم قال: لا تقلقي سيدتي، هذه أسهل مهمة قد نقوم بها.

***

لم تبدِ اقتناعًا بثقته المتناهية ولكنها سكتت، أدركوا المكان حيث يقبع أخيل ونزل الرجال من السيارة واستدار أحدهم يفتح الباب لماندي، نزلت ثم ولجوا البوابة يستقبلهم حارس البوابة بقوله: من أنتم؟

أحدهم: أخبر السيد أخيل أننا نريده.

راح الحارس حينًا ثم عاد يقول: تفضلوا.

أشاروا إلى ماندي أن تتقدمهم فسارت وهم خلفها حتى أدركوا أرضًا متسعة بداخل القصر يجلس بها أخيل وقد أتم الرجال تفقد المكان وتحديد جميع حراسه وأماكنهم، ألقى عليهم السلام ثم تقدم أحدهم باللوحة ووضعها أمامه، أزال عنها غطائها يتفقدها ثم أشار لأحد حراسه فتقدم بالمال ثم عاد يقف خلفه، وضع اللوحة بجواره ثم قال: لكنك لم تفصحوا عن هويتكم، من أرسلكم؟

ماندي: ألا تعلم؟!

أخيل: بلى أعلم، ولكن أود أن أسمعها منكم.

ماندي: في الواقع أنت لا تعلم، نحن نتبع الزعيم.

أخيل: أي زعيم؟

ماندي: الزعيم الذي تعاقدت معه على مؤامرة فيليب وإعادة إبرام لأغسطس مقابل الأموال.

أخيل: ولماذا يرسل أحدهم إليَّ وقد أتم المخطط؟!

ماندي: أتينا لإتمام ما لا تعلمه.

***

نظر لها أخيل بتعجب فخلعت غطاء رأسها، مرّت بضع أجزاء من الثانية أخرج فيها الرجال أسلحتهم وقتلوا جميع من كانوا بالقصر، ثم وجّهوا أسلحتهم إلى وجه أخيل الذي فزع لذلك واتسعت عيناه كما اتسعت عينا ماندي متعجبة من مدى دقة وسرعة هؤلاء، مرّ الكثير من الوقت ثم قال بخوف تجلّى في صوته: ماذا تريدون؟

ماندي: نريد الأموال واللوحة.

أخيل: ها هم إليكم، خذوهم وروحوا من حيث أتيتم.

ماندي: ولكن الزعيم يريد شيئًا آخر، روحك.

***

شهق أخيل قبل أن تستقر رصاصة في عينه اليسرى من سلاح ماندي فسقط أرضًا مضرجًا في دمه، طفقت تبصر جثته وعينه الشاخصة بشرود حتى أسقطت السلاح من يدها واجتاحت جوارحها رعشة شديدة، الرعشة التي تتملك السفاح عند أول جثة يرديها، لم تلحظ أحد الرجال وهو يرفع

السلاح ويضعه بجانبه في حين انضمَّ إليهم سادس يحمل آلة تصوير حديثة لم تره عندما رأتهم أسفل المنزل، ظل الصمت يخيم قليلًا ولم يقطع شرودها أحد ممن كانوا معها، نظرت بجوارها لتبصر صاحب آلة التصوير فسألته: من أنت؟

المصور: لقد جئت معكم إلى هنا.

شعرت بقلق من آلة التصوير فأشارت لأحدهم الذي أشهر السلاح وهمّ بقتله فاستدركه بقوله: لقد كنت معكم في السيارة ألم تراني؟! أقسم أنني مرسل من الزعيم لمهمة ما.

أشارت ماندي للرجل فأنزل سلاحه ثم قالت: هيا بنا.

***

عادوا إلى السيارات ثم استقلوها ورحلوا، تداركت ماندي نفسها وتذكرت ما تعلمته على يد الزعيم فعادت إلى رشدها، أدركت السيارة بيتها فنزلت ثم استدركها المصور بقوله: لقد أمرني الزعيم أن أرسل معك ذلك المظروف، أخذته وصعدت إلى المنزل بسرعة تدفعها الشوق لرؤية حبيبها، أدارت المفتاح في قلب القفل ثم ولجت لتبصره واقفًا أمام إحدى لوحات الفنان بابلو بيكاسو بشرود وصوت الجرامفون يصيح بمقطوعة أوبرالية لماريا كالاس وقد أوشكت لفافة تبغ بيده على تمام الاحتراق، خفّت إليه تعانقه من ظهره فابتسم وربت على يدها ثم استدركها بقوله: ما الذي حدث؟

ماندي : تم الأمر كما أمرت تمامًا.

الزعيم: أقتلت أخيل بيدك؟

صمتت قليلًا تتذكر منظر وجهه ثم قالت: نعم.

ابتسم قائلًا: لقد استطعتِ أن تتغلبي على خوفك، عظيم.

ماندي: وماذا الآنَ؟!

الزعيم: أين المظروف الذي أرسله المصور؟

التقطته من فوق المَقْعَد الذي ألقته عليه ثم أخذ الزعيم يتفحصه، أتم ذلك ثم قال: لم يتبقَ إلا عودة أحد الرجال باللوحة المطلوبة حتى أردها إلى مالكها.

ماندي: ما هي، ومن مالكها؟

***

لم يرد الزعيم وجلس فجلست بجواره تداعب وجهه بحنان غامر حتى التقطت أسماعه صوت جرس إحدى السيارات المتوقفة أسفل منزله، قام إلى النافذة ليجد أحد الرجال الخمسة الذين اصطحبوا ماندي يلوح له فارتدى قبعته ونزل إليه، لم تكن ماندي على علم بأي جزء من مخططه سوى ما خصها به فاشتدت حيرتها، عاد إلى المنزل بعد ثوان يحمل صندوقًا من الورق المقوي ثم جلس يفتحه، ترقّبت ماندي ما سيخرج منه حتى أخرج لوحة رُسم بها مجرى مائي بدا عذبًا لما أحاطه من النضارة والخضرة، كانت لوحة

(نهر السين) للفنان الانطباعي بيسارو، اشتدَّ إعجابها بها فاستدركها الزعيم بقوله: أليست جميلة بحق؟!

ماندي: نعم، ما أجملها!

الزعيم: أتعلمين، لقد كانت هذه اللوحة بحوزة الألمان وقت الحرب.

انفرج فمها عجبًا على عجب ثم قالت: ومن صاحبها؟

الزعيم: حسب علمي فصاحبها هو آخر من شوهدت معه، أغسطس.

استأنفت تعجبها مما قال، من هذا الأغسطس الذي يتحدث عنه، أهو فرد من النازيين؟!

العاشرة صباحًا..

ألقى أحد الجنود بصره فأبصر مده موكب القائد يحوطه الدراجات النارية وسيارات اتسمت جميعها بالسواد تقصد مركز القيادة، انتظر حتى اقترب الموكب من البوابة ثم أشار إلى من يقف عليها ففتحها وصاح قائلًا: انتباه، ضم جميع الواقفين أقدامهم وشدوا أجسادهم واضعين السلاح بجوارهم، توقف الموكب أسفل درج المركز ونزل القائد يحيي من انتبهوا له ثم عرج يقصد مكتبه، ولج المكتب وجلس على مَقْعَده يخلع غطاء رأسه العسكري، بدأ مباشرة أعماله اليومية المقررة حتى اهتزت سماعة الهاتف فرفعها أحد الجنود قائلًا: مكتب القائد، من المتحدث؟

المتصل: المقدم جابريال معك، أريد محادثة القائد.

وضع الجندي يده على السماعة قائلًا: المقدم جابريال يريد محادثتك سيدي.

أشار له أن يعطيه السماعة ثم قال: أنا القائد، من المتحدث؟

الضابط: المقدم جابريال، أحد ضباط فرق المباحث سيدي.

القائد: أهلًا بك، ماذا حدث؟

الضابط: بالأمس جائنا بلاغ من أحد البيوت بالقرب من بيت عضو مجلس النواب (أخيل) بسماع دوي إطلاق نار، خرجت قوة من الشرطة

لتمشيط المنطقة حتى وصلت بيت أخيل فوجدوا الأبواب مفتوحة ولا أحد أمامها، ولجوها وراحوا حتى أدركوا منطقة واسعة أمام البيت ووجدوا جثته وجثة جميع حراسه في مناطق متفرقة من البيت، وتم التحفظ وجاري الآن البحث عن الجناة.

وضع القائد يده علي رأسه من أثر الصدمة ثم قال: وما دائرة المشتبه بهم حتى الآن؟

الضابط: لم يتحدد بعد، ولكننا سنستخرج الطلقات من أجسادهم ونقتفي أثرها.

القائد: حسنًا، وداعًا.

***

أغلق القائد الهاتف ودفن وجهه بين يديه منهارًا من ذلك الخبر الذي سيطيح به إلى الأبد، فسرعان ما سيعرف الرئيس ويعزله من منصبه، أصابته الحيرة من أمره ثم تكهّن أن هذه أحد عمليات المنظمة المضادة التي اتفقت معه من قبل، لكنه لم يكن يعتقد أنها ستستهدف عضو مجلس النواب هذا، ظل على تلك الحال حتى ولج إليه جندي يخبره بوصول خطاب إليه، شعر ببعض الأمل في ذلك فأمره أن يحضره، أحضره ففتحه القائد ليقرأ:

"إلى الزعيم

تحية وبعد..

من المؤكد أنك علمت بمقتل أخيل عضو مجلس النواب أمس وتعلن المنظمة مسئوليتها عن ذلك الاغتيال، قتل أخيل أحد الأفراد المكلفة باستهداف الشخصيات العامة في البلاد ووجب تصفيته، كما أنه كان أحد أكبر تجار الآثار، ستجد مع الخطاب صورة تثبت صحة تلك المزاعم، من المؤكد أن الرئيس سيستدعيك ليسألك عن ذلك وقد أوجدت لك المخرج بهذه الصور، حظًا موفقًا"

***

لم تمر ثانيتين مكتملتين حتى اهتزت سماعة الهاتف فرمقها القائد بترقب، رفع جندي المكتب السماعة قائلًا: هنا مكتب قائد الشرطة.

المتصل: أخبر قائدك بأنني أريد محادثته.

شعر الجندي أن المتصل ذات سلطة كبيرة في البلاد فأعطى السماعة مباشرة للقائد، فردّ الأخير: هنا القائد.

المتصل: أنا الرئيس.

انتبه القائد يقول: أهلًا بك سيدي.

الرئيس بنبرة غاضبة: أريدك أن تأتي إليَّ على وجه السرعة.

القائد: عُلم سيدي، وداعًا.

***

أغلق الخط وقام معتطفًا غطاء رأسه وفتح أحد أدراج مكتبه ليضع بها الخطاب ثم وضع الصور داخل أحد جيوب سترته، ونزل يستدعي موكبه وراح قاصدًا قصر الرئاسة وقد بلغ التوتر منه مبلغه، أدرك الموكب القصر فنزل من السيارة وقصد قاعة الاجتماعات ثم جلس ينتظر الرئيس، مرت بضع دقائق قبل أن يحضر أحدهم له كوبًا من البرتقال ارتشفه دون أن يُدرك طعمه من القلق، ثم افتتح الباب أحد الحراس يعلن عن دخول الرئيس، انتفض من مَقْعَده ثم ولج الرئيس متجهم الوجه غاضبًا، أدى القائد التحية العسكرية ثم أشار له الرئيس بالجلوس، أشعل سيجارًا سميكًا ثم نظر إليه قائلًا: كيف حال الشرطة؟

القائد: ليست بأفضل حال، الأمور مضطربة بعض الشيء.

الرئيس: يبدو أن الشرطة قد تولى أمرها رجل ضعيف.

القائد: كيف ذلك؟

الرئيس: ألم تسمع بأمر مقتل أخيل عضو مجلس النواب؟

القائد: نعم سمعت.

الرئيس: إذًا باستطاعة أي فرد أن يلج أي بيت ويقتل من به دون أي أخطار.

القائد: ليس كذلك سيدي، لقد كشفت تحرياتنا أن ذلك الرجل هو أحد رجال الفساد في البلاد.

الرئيس: وما عَلاقة الفساد بما أقول؟

القائد: سأخبرك.

أخرج قائد الشرطة الصور التي وصلته وأعطاها للرئيس قائلًا: هذه صور لذلك الرجل وهو يسلم أحد أفراد العصابات لوحة أثرية وقد باع قبلها الكثير منها، كما عثرت الشرطة على بعض قطع الآثار في بيته كانت قد فُقدت.

الرئيس: وكيف لم تدرك الشرطة ذلك الأمر؟

القائد: لا يخفي على سيادتك ذلك أن رجال النفوذ والسلطة من الصعب اكتشاف أمور الفساد التي يديرونها في السر، كما أن رجال الشرطة يهابون التعامل معهم لما لهم من علاقات ممتدة.

الرئيس: ومن الذي قتله؟

القائد: خلاف بينه وبين أحد التجار حمل التاجر على قتله، حلقة في سلسلة حرب العصابات.

صمت الرئيس قليلًا، ثم قال: لقد زادت سقطات الشرطة في الآونة الأخيرة، أنا لا أهتم بأمر حرب تلك العصابات، عملك هو ألا تحدث مثل تلك الأمور وإذا كنت لا تستطيع القيام به أخبرني حتى تكون نهايتك سعيدة.

القائد: نسيت أن أخبرك أنه أحد أفراد المنظمة التي تنوي تصفية شخصيات هامة في البلاد وأنت أحدهم.

الرئيس: وليست الشرطة من تخلصت منه، إذًا هم أحرار يعبثون في البلاد.

لم يرد القائد فاستأنف: هذا آخر الأخطاء المسموح لك بها، أي خطأ آخر ستُعزل وتُحاكم بتهمة الإهمال في حماية الأرواح.

أومأ برأسه إيجابًا، فقام الرئيس من مَقْعَده يضع السيجار في مطفأته ثم قال: انصرف.

***

قام القائد يعتطف غطاء رأسه وحياه ثم انصرف، نزل إلى موكبه متجهم الوجه فاستقل سيارته يقصد مركز القيادة، أدركه وعرج حتى أدرك مكتبه وولجه ليجد دانيال جالسًا ينتظره، قام إليه محييًا ثم قال القائد: كدت أطلبك الآن، علمت بما حدث لأخيل؟

دانيال: نعم، لقد جئت لأتحدث معك عن ذلك الأمر.

القائد: لقد أخبرني الرئيس أن الخطأ القادم سيعزلني من منصبي وسأحاكم، يجب أن أخبر زعيم تلك المنظمة بالأمر.

دانيال: وكيف ستصل إليه؟

القائد: لا أعلم.

دانيال: أرى ألا تفكر في الأمر كثيرًا، فمن المؤكد أنه يعلم تمام العلم أن خطته باقية ببقائك في منصبك ولن يوقعك بمأزق آخر.

لم يرد القائد فاستأنف: كم عدد القتلى حتى الآن؟

القائد: ما يقارب الخمس أشخاص.

دانيال: حسنًا، اترك الأمور تسير كما هي فأنت لا تملك من أمرك شيئًا.

القائد: هذا صحيح.

دانيال: حسنًا، لقد عثرت الشرطة على ثلاث جثث فقط من الخمس، وشقة قد احترقت بكاملها ويبدو أن جثة قد احترقت بها.

القائد: ماذا لو تدخلت الشرطة لوقف تلك المهزلة؟

دانيال: إن الشرطة لم تستطع العثور على من قتلوا هؤلاء الأشخاص، كما أن من يقتل عضو مجلس النواب هو شخص خطير بالغ الذكاء ووضعنا لا يسمح بخوض ذلك التحدي الذي لا ندرك عما سيسفر.

لم يرد القائد فاستأذن دانيال للانصراف، أذن له ثم قام من مَقْعَده يتجول في أنحاء الغرفة شاردًا وقد شعر بقرب نهايته، ولج الجندي بخطاب للقائد ففتحه ليقرأ:

"إلى قائد الشرطة تحية وبعد..

لقد شوهدت وأنت تدخل قصر الرئاسة ويبدو أن ما توقعته قد حدث، لا تقلق فلن تقع بمثل هذا المأزق مجددًا، وأود أن أخبرك أن الأمر قد أوشك على نهايته"

الحادية عشرة مساءً..

دفع القلب الدماء في العروق بانقباضه وانبساطه المتتاليين يكفل حياة مؤقتة لجسد سيليون الذي جاوز الأربعين سنًا وجاوزت نفسه الخمسين؛ حيث غزاها الشيب بتعاقب الأيام بنوائبها وأحداثها التي تسارعت مؤخرًا تغير مجرى حياته إلى حيث ينتهي به الطريق إلى الموت أو الجنون، بين ليلة وضحاها هجرت زوجته المنزل ليخبره أحدهم أنها تنوي التخلص منه بقتله، أصابه الندم على ما كان يفعل بها إلا أنه لم يظن يومًا أنها قد تخطط لمثل هذا الأمر الخطير.

***

لا بد من أن أحدهم قد ورطها في ذلك وأنها تحبه حتى تطيعه في قتل زوجها، أما الآن فقد تجاوز الأمر المشاعر وارتباكها وأصبحت حياته على المحك الذي يحتم عليه الاختيار ما بين نفسه وبينها، لم تصبه الحَيْرَة من أمره فقد اختار نفسه منذ علم بأمر نيتها في قتله وعزم على أن ينفذ الأوامر حتى يتخلص من خطرها، وطأت قدماه الأرض لما نزل من السيارة يقصد منزله، أخبره الرجل أن ماندي تنوي تنفيذ خطتها بعد فترة من الزمن وأنه إذا استطاع أن ينفذ مهمته قبل ذلك اليوم فإن ماندي ستروح إلى الأبد، ولج باب المنزل فاستوقفه خطاب جانب البوابة عليه اسمه بخط عريض يلفت الانتباه، انحنى يلتقطه ثم فتحه ليقرأ:

"السيد/ سيليون

تحية وبعد..

قد علمنا أن ماندي تنوي التخلص منك بعد ثلاثة أيام من يوم غد، وحتى أستطيع أن أخلصك منها فقد تحتم أن تقوم بمهمتك الليلة، هدفك هو سام، طويل القامة حسن المظهر وسيم احتلت شامة صغيرة أوسط خده الأيمن، بعد ساعتين من الآن ستتجه إلى أقصى جنوب البلدة التي أنت بها عند الاستراحة الخامسة على طريق العاصمة وستجده أمامك قادمًا من خلف الاستراحة، كن متيقظًا لأنها منطقة مزدحمة بعض الشيء ويسهل عليه التخفي بها، لا بد من أن تنهي مهمتك اليوم حتى أستطيع مساعدتك"

***

أغلق الخطاب وعرج إلى المنزل يتهيأ لمهمته، جلس على جانب الفراش ثم فتح أحد أدراج مكتبه وأخرج سلاحه الشخصي وبدأ تنظيفه، كانت تلك المهمة هي أول روح سيزهقها ذلك السلاح الذي يخرج من جوربه منذ اشتراه ولم يكن يظن أنه سيقتل به أحدًا، انتهى من تنظيفه حين سمع دقات أقدام تصاعدت بها أرض الطابق الذي تقبع به شقته، وضع السلاح جانبًا ونظر إلى الباب ينتظر طارقًا، تحقق مراده فقام إلى الباب يسأل عن الطارق، لم يرد ففتح الباب ليبصر وجهًا تشققت جوانبه حتى صنعت العبرات به مجريين من أسفل عينه حتى أوسط خده ويد كساها وشاح أبيض مشرب بحمرة الدماء

***

كان جاد يرمقه بجمود تام، ثم سأل سيليون: من أنت؟

جاد: أنا رسول الحياة إليك لأنقذك من الموت.

أبدى سيليون أمارات التعجب والقلق فاستأنف: ألن تسمح لي بالدخول؟

سيليون: بلى، تفضل.

اصطحبه إلى الفِنَاء فأجلسه على مَقْعَد الضيف ثم جلس يستمع إليه، أخرج لفافتي تبغ وأشعل إحداها وأعطى الأخرى لسيليون ثم قال: ماذا ستفعل الليلة؟

سيليون: لماذا تسأل؟

جاد: أليس اليوم هو يوم مهمتك؟!

اتسعت عين سيليون فزعًا لما ظن أنه من أفراد الشرطة فاستأنف: لا تقلق، أنا لست شرطيًا.

سيليون: إذن من أنت؟

جاد: هذا لا يهم، أين ستتم مهمتك؟

سيليون: هذا ليس من شأنك.

جاد: بلى إنه من شأني ومن مصلحتك الخاصة أن أعلم.

بدأ سيليون يفقد توازنه واشتد به التوتر فاستأنف: ألم يخبرك الرجل أن سام سيأتي من خلف الاستراحة الخامسة على طريق العاصمة؟

سيليون: إذًا أنت تعلم كل شيء، فلماذا تسأل؟

جاد: لا تكن متوترًا فقد أتيت لمساعدتك.

سيليون: أخبرني ماذا تريد أن تقول؟

جاد: أريد أن أخبرك أنك ستذهب لحتفك بقدميك، فإن سام لن يأتي من خلف الاستراحة كما أخبرك وإنما سيأتي من طريق العاصمة لأنه فيها.

لحظ سيليون يده التي فقدت إصبعين، ثم قال: وما أدراك بذلك؟

جاد: أنا أعرف سام جيدًا وقد شاهدته في العاصمة منذ نصف ساعة.

سيليون: وما الذي يضمن لي أنك لا تخدعني؟

جاد: إذا كنت تريد الموت فامضِ إلى حيث أمرك الرجل.

قام من مَقْعَده يستأذن للخروج فرافقه سيليون إلى الباب ثم سلّم عليه قائلًا: وما مصلحتك في مقتل سام؟

رمقه بضع ثوان ثم رفع يده المصابة إلى وجهه وانصرف، ظن سيليون أن سام هو من قطع أنامله فقرر أن يقتله ثم جلس يفكر حينًا، لم يكن ليصدق الخطاب أو ذلك الرجل، وإذا تقاعس عن أداء مهمته ستقتله ماندي وتنتصر، ظل يقلص المسافات بين عقله والحقيقة حتى خلُص إلى صدق جاد وليس

الخطاب كما أن المخاطر في الحالتين واحدة.

***

قام إلى خزانة ملابسه بعدما رمق الساعة ليجد ساعة قد مضت في ذلك الحديث، مَدَّ يده يجلب سترة ثم اعتطفها ونزل، لم يكن يدري أن السترة قد فقدت أحد أزرة ذراعها منذ أعطتها ماندي له بل لم بكن يدري أنها السترة نفسها، كان سام يقبع في إحدى الحانات بالعاصمة ترافقه أنثى اختلط الفضي بالأسود في شعرها تحتل البقع الحمراء واد ما بين نهودها المرتفعة تعبث بشعره الأشقر وقد بلغ الشبق منها مبلغه حتى كادت تجلس فوقه وسط الحانة، جذبته من راحته إلى ساحة الرقص فاستوقفته وطفقت تداعب ذكورته بأنوثتها المتفجرة حتى أصاب شبقها نفسه فاعتصر براحتيه منها ما جعلها تندفع إلى فمه، اقتطعت من شفتيه وريقه حتى ارتوت.

***

توجه نحوهم رجل يجذب سام من أحضانها وأعطاه ورقة ثم انصرف، شعر سام أنه أمر الزعيم ففتحه ليقرأ:

"السيد/ سام

تحية وبعد..

سأقتطع من وقت عبثك الليلة بعضًا فقد حان موعد مهمتك، بعد ساعة من الآن ستجد سيليون عند الاستراحة الخامسة على طريق العودة من

العاصمة وسينتظرك خلفها حتى يقتلك، ستتوقف عند الاستراحة وتتجه نحوها لتبحث عنه، لا تذهب من الخلف ولكن ابحث عنه من بعيد، احذر لأن كلاكما حريص على قتل الآخر والأسبقية لمن يرى صاحبه أولًا"

***

عاد إلى من كانت معه يخبرها أن تعود إلى منزله وسيأتي إليها بعد ساعتين لإنهاء عمل ما، راح إلى مرحاض الحانة وبدل ملابسه متخفيًا ثم خرج إلى الطريق يقصد وجهته، لم يكن جاد يعلم أن أحد العيون رآه وهو عند سيليون الذي أخبر الزعيم وخمن أن سام في مأزق إلا أن الوقت لم يسعفه لإخباره بذلك وقرر أن يتركه ليواجه مصيره، شق سيليون الصحراء بجوار الطريق العائد من العاصمة ينتظر سام الذي وصل ونزل من السيارة يفكر كيف سيجده، توجه إلى الاستراحة حين رآه سيليون وأخرج سلاحه يضعه بين ثنيات سترته وراح خلفه، ظل ينتظر لحظة ملائمة حتى أدركها فوضع كاتم الصوت فوق فوهة السلاح، ثم أطلق ثلاث طلقات أصابت ثالثها رأسه فسقط سام قتيلًا فورًا.

***

همّ سيليون بالعودة لسيارته فرآه الضابط المسئول عن الاستراحة ورأى الجثة فأخرج سلاحه في وجهه، رفع سيليون يده عاليًا وألقى سلاحه حين نادى الضابط الجنود المرافقين له وقيدوه ثم ذهبوا به إلى قسم الشرطة، أبلغ القسم الضابط المسئول عنه بالأمر فطلب دانيال فورًا حسب توصية

من القائد، حضر دانيال وولج الحجز المؤقت يتفقده حتى أبصر زر السترة المفقود وأقرانه المتطابقين مع الزر الذي وجدوه في حديقة رجل الأعمال الذي قُتل منذ فترة، ظل يرمق الذراع حتى استدعى جنديًا يأمره بخلع تلك السترة عن سيليون الذي تعجب لذلك، ثم طلب دانيال القائد فأمره بالحضور إلى مكتبه، أدرك المكتب وحيّاه ثم جلس قائلًا: لقد وجدنا قاتل رجل الأعمال.

القائد: كيف ذلك؟

دانيال: في الاستراحة الخامسة وجد الضابط ذلك الرجل وقد قتل رجلًا آخر وعندما تفقدته وجدت أزرة سترته متطابقة مع الزر الذي وجدناه في الحديقة.

صمت القائد قليلًا، ثم قال: لكن هذا ليس دليلًا كافيًا.

دانيال: ستتضح الحقيقة من التحقيق، ولكني أفضل أن تنتهي تلك القضية اللعينة.

القائد: حسنًا، انتظر حتى أخبرك بموعد التحقيق لأني سأحضره.

دانيال: عُلم سيدي.

القائد: انصراف.

***

قام دانيال محييًا ثم انصرف تاركًا رأس القائد يتخبط في غيبات القلق وكم الأمور المبهمة لديه، كيف يخبره نيرو أنه لن يستطيع معرفة القاتل وإذا علمه

فلن يتم المخطط ثم يجده وقد قتل مجددًا دون أدنى عناء؟!

السابعة مساءً..

منزل ضيق باهت الجدران الفارغة من أي صور أو ذكريات إلا غرفة واحدة قد تزاحمت فيها الذكريات الأليمة، لا يكد أحد أن يفتح بابها إلا وأقبلت إليه حتى يشعر برغبة مُلحّة في الانتحار وهي لا تخصه، ولكنها أضفت على الغرفة طابعها الأسود الذي زاد قتامة بزيادة الذكريات وتوالي الأيام، كانت تخص نيكول التي أغلقت بابها بمفتاح قد ألقته في أحد المصارف حتى تنسى ما بها، إلا أنها لم تستطع التخلص منها لسبب لا تعلمه، قد وهبها القدر أحداثًا مبهجة في الآونة الأخيرة بحبها لنيرو الذي استحى أن يذهب لزوجته القديمة بل لم يذكر له عقله هذا الأمر، أحبته بعدما أرغمت نصف قلبها على الرضوخ لأمر النصف الآخر وتخلصت من حيرتها بقرار قد سهرت ليال عديدة تصنعه، كان يبادل نيكول الحب حتى أن خاطرًا يراوده أن ينسى كل ما مضى ويقضي ما تبقى من عمره مع هذه الأنثى التي رُزقت بشطر نقاء القلب المخلوق على وجه الأرض، إلا أنه يشعر أحيانًا أن شعورها هو مجرد شفقة برجل قد قهره القدر بخطة ظالمة، كما أن روح الانتقام باتت أقوى من كل تلك المشاعر، كانت نيكول تلحظه كل دقيقة قد قضاها في منزلها تصارعه الكوابيس حتى يستيقظ فزعًا كمن يركض من براثن ليث جامح قد همَّ بالتهامه، وما إن يقوم من رقدته حتى يبصرها وقد حل محل مُقلتيها أوعية من الحنان تفيض بعبرات مرتعدة على حاله، لم يستطع

عقله استيعاب هذا القدر من العشق فظلّ يظن أنها نظرات مشفقة عاطفة لا أكثر، كانت نيكول تعلم بشعوره وتجاهد لتثبت له خطأه في هذا الشعور، كانت واقفة بشرفة المنزل شاردة في هذه الأفكار ثم ولجت إلى الفِنَاء لتبصر نيرو شاردًا كعادته، نبّهته بقُبلة طبعتها على جبينه فالتفت خائفًا ثم سكن لما أبصرها.

***

جلست بجواره قائلة: هوّن على نفسك يا حبيبي، كل شيء بأوانه.

نيرو: هل لك أن تخبريني من أين أتيتِ بهذا الحب؟!

نيكول: لا أعلم، لقد أحببتك من أول يوم عملت به في الحانة، الخطأ خطأك أنت.

نيرو: ولكني كبير السن بالنسبة لك، أنتِ تفنين شبابك بجواري.

نيكول: فداك شباب جميع نساء الأرض، أنت بعيني أجمل شاب قد يخلق.

نيرو: ليس إلا شفقة منك على رجل لا مأوى له.

نيكول: ستظل تردد هذه الكلمات وسأظل أحاول إقناعك أنك مخطئ.

***

صمت نيرو قليلًا ثم وضع راحته على عنقها وضمها ضمة أسقطت عن كاهله ما قد أهمه، لقد عاش طيلة حياته السابقة يجمع في الأموال منهمكًا في

أعماله ولكنه لم يدرك غاية خلقه، ولم يتضح له الأمر إلا بصحبتها، لحظة أن ضمها قرر أن يتخلى عن فكرة الشفقة ووضعها بمكانة الحبيبة، المكانة التي لا يستأهلها أحد بنظره إلا هي.

***

ظلت ملاصقة لجسده بضع ثوان تأخذ الحياة من أعطافه لقلبها، قطع عناقهما صوت اصطدام شيء ما بزجاج المنزل، انتفضت نيكول من هذا الصوت الذي حطم هدوءًا قد خيّم على البيت والتفت نيرو إلى الزجاج، إنها البومة الرمادية عظيمة الجسد صاحبة المخطط للعملية، قام مُخفًّا إلى النافذة وفتحها مادًّا يده إلى الخطاب المُعلّق بقدم البومة، أقبلت إليه نيكول بخطى بطيئة وهو يفتح الخطاب ليقرأ:

"عزيزي نيرو

تحية وبعد..

أرى أن القدر قد أنصفك بنيكول بعد غدره بك قبلًا، القدر هو المخلوق الوحيد الذي يعبث ببني البشر ووجب عليهم الإيمان به حلوه ومرّه، أظن أن اليوم هو أحد خطط القدر لإنصافك، أبلغني أحد العيون أن غريمك بنجامين يقبع وحيدًا في بيت كائن بالطريق العمومي في المدينة المطلّة على البحر جنوب البلاد، المدينة التي تجاور المدينة التي أنت بها في اتجاه الشرق إذا توجهت إلى البحر، وقد قررت أن تتم مهمتك بيدك بناءً على رغبتك، احذر منه وحاول البقاء حيًا، ابحث عن واجهة رخامية محطمة أمام المنزل وبيت

كلب أسود فارغ"

***

امتدت شفتا نيرو جانبًا لتصنع ابتسامة ماكرة أثارت القلق في نفس نيكول، دارت حتى أصبحت أمام وجهه ثم قالت: ماذا يحدث؟

نيرو: أتذكرين ما قد رويته عليكِ فيما يخص أخي وما فعله بي؟

نيكول: نعم، ماذا بعد؟

شرد نيرو قليلًا حائرًا في أمره، أيخبرها بحقيقة الأمر أم أن هذا سر لن يبوح به لأحد؟! استدركت نيكول شروده قائلة: نيرو، أهناك ما تخفيه عني؟

أمسك يدها برفق قائلًا: اتبعيني.

***

امتثلت لأمره حتى أدركا مَقْعَدها الأول وجلسا، تنحنح نيرو قائلًا: بعدما حدث لي ونزلت إلى الطريق من البيت الذي وجدت نفسي فيه، جلست بإحدى الطرقات لا أعلم ماذا أفعل، حتى أقبل إليَّ أحدهم بمعطف أسود وقبعة لم أميز ملامحه من الظلام وألقى إليَّ بخطاب، هممت أن أقوم إليه فشهر بوجهي سلاحًا وهو يقول: اقرأ الخطاب فحسب.

أفزعني أمره فعدت إلى جلستي الأولى، شردت حينًا ثم شعرت بثنيات الخطاب تحثني على القراءة، ثم أشار إلى سترة قد حلّاه بها أخوه بها بعدما اختطفه من المشفى لسبب لا يعلمه قائلًا: ستجدي ذلك الخطاب بجيب هذه

السترة، أقبلت نيكول إليها مادّة يدها بالجيب حتى التقطته ثم فتحته لتقرأ:

"إلى نيرو..

الرجل الأربعيني الذي غدرت به الدنيا ومن فيها، بعيدًا عمّا يتعلق به الأمر من ظلمك لزوجتك وولدك، لكن هذا الهراء لا ينفع الآن، لا تسأل نفسك كيف أحطت بتلك الأمور فأنا أعلم ما هو أكثر من ذلك، إليك ما هو مطلوب منك، بعد أسبوع من الآن ستأتي إلى آخر بيت بشارع ١٠ وانتظرني هناك، وأعدك أن تتخلص من جميع أعدائك وتعود كما كنت وأفضل"

أغلقت الورقة ثم نظرت إليه نظرة خالية قائلة: وماذا بعد؟

نيرو: ذهبت إلى البيت بالميعاد المحدد فأبصرت رجلًا ذا سترة رمادية وكانت تلك البومة تقف على يده، وكان بصحبتنا بضعة أشخاص لم أميز أشكالهم فقد كان بالي منشغلًا بالأمر، أخبرنا أنه قد وضع خطة لتخلصنا من أعدائنا جميعًا، فسأله أحدهم ما المقابل فقال: المقابل سيكون نسبة من أرباح أعمالكم بعدما تعود لطبيعتها، أو شيئًا من هذا القبيل.

صمتت نيكول قليلًا ثم قالت: ستقتلونهم؟

نيرو: هذا هو الحل الوحيد.

نيكول: أتريد أن يُحكم عليك بالإعدام؟!

نيرو: لا تقلقي، فقد أخبرنا الرجل أن الخطَّة متكاملة ولن يصيب أحد مكروه.

نيكول: وما أدراك أنه صادق؟

نيرو: سنعلم ذلك بعد قليل.

نيكول: كيف؟

نيرو: هل معك ما يكفي من المال لسيارة أجرة تقلّنا إلى البلد المجاورة؟

نيكول: نعم.

نيرو: هيا بنا وسأخبرك لم نحن ذاهبون حين ندرك وجهتنا.

***

نزل نيرو تتبعه نيكول ونظراتها الحائرة حتى استقلّوا سيارة الأجرة والصمت يخيم عليهم حتى أدركا الطريق العمومي بالبلدة، نزلا من السيارة فسألته: لم أتينا إذًا؟ ولماذا أحضرت سلاحك معك؟

لم يرد نيرو حتى أبصر الواجهة الرخامية المحطمة وبيت الكلب ثم قال: بنجامين الآن في هذا البيت يقبع وحيدًا.

نيكول مرتعدة: أستقتله الآن؟!

نيرو: نعم.

همّ أن يتوجه إلى المنزل فأمسكت به يدها المرتعشة فقال: انتظريني هنا.

ربت على راحتها واتجه مُخفّا إلى البيت وما إن دخله حتى أُغشى على نيكول، صعد الدرج ببطء حتى أدرك باب المنزل وطرقه، بضع ثوان مرّت

قبل أن يفتح بنجامين الباب، وما إن أبصر وجه نيرو حتى اتسع جفناه حتى كادا أن يلفُظا مُقلتيه وتراجع ثم سقط أرضًا ونيرو يسير إليه ببطء، أخرج نيرو سلاحه ووضع كاتم الصوت وبنجامين يحدق بوجهه صامتًا وقد دار الأدرينالين بجسده عدّة دورات حتى أغرق جسده العرق الغزير، صوّب باتجاهه ثم قال: قُم واقفًا واجلس على ذلك المَقْعَد، أحذّرك من إصدار أي صوت حتى لا تنهي حياتك قبل حديث شيّق سأفتتحه الآن، قام بنجامين وجلس وعينه لا تفارق عينا نيرو، تنحنح نيرو ثم قال: ماذا تشعر حيال تلك المفاجأة السارّة؟

***

لم يرد بنجامين وصمت نيرو، قطع الصمت صوت ريق بنجامين يشق طريقه بصعوبة إلى بلعومه ثم قال: ماذا ستفعل؟

نيرو: سأدع ذلك الجواب لك، إذا كنت في حالتي ماذا ستفعل؟

في هذه اللحظة أطرق بنجامين رأسه ناظرًا إلى الأرض، لم يُخيل له للحظة أن نيرو سيقف أمامه هذه الوقفة، بل لم يكن يتخيل أن نيرو قد يُشْهر سلاحًا بوجه أحد، لكن ما فعله لم يكن بالأمر الهيّن، إنها الخيانة بحذافيرها، ابتسم نيرو ساخرًا ثم قال: من ذا الذي يفعل فعلتك هذه ويصيبه شيء من الخجل الظاهر على وجهك؟! أظننت أن أكتفي بخبر وفاتي وأبحث عن حياة جديدة مستسلمًا لما حدث؟! نيرو الطيب قد تركته حيث تركتني بعدما خطفتني من المشفى.

رفع بنجامين عينه إلى عين نيرو فاستأنف: ألا تعلم أن جميع ممتلكاتي تؤول بالقانون إلى ولدي؟ فيم كنت تفكر، هل قتلت ولدي أيضًا أم تآمرت معه عليَّ؟

شعر بنجامين أنها النهاية لا محالة، صمت نيرو منتظرًا إياه يتحدث فقال بعدما قرر الاعتراف: نعم قتلته، وببعض التلاعب أصبح كل شيء لي، سامحني.

***

قالها وهو مُقبل إليه يقصد تقبيل قدميه فاستوقفه نيرو بطلقة أصابت عينه اليسرى حتى اخترقت رأسه فخرّ صريعًا في لحظتها، عادت روحه الطيبة تتسلل إلى نفسه فبكى كما لم يبكِ أحد قبله ثم جلس بجور رأس أخيه يعاتبه منتحبًا، ثم هدأ بكاؤه وقام ناظرًا لرأسه وقال: لا علاج لرأس خطط للخيانة إلا قطعة، لم أظلمك بل أنت من ظلمت نفسك.

***

خلع كاتم الصوت وألقى بسلاحه جوار الجثة ثم خلع قفازه ونزل على الدرج شاردًا من حسرة أصابت نفسه على أيامه، لم يكن نيرو بالشخص القاسي أو المتغطرس ولو كان أخوه قد طلب مالًا زائدًا عما يأخذ لأعطاه عن طيب نفس وإن استزاد زاده، لكن الطمع هو من قتل نفس بنجامين قبل أن يتسبب في قتل جسده، وصل إلى الطريق فأبصر مجموعة من البشر يحيطون بشيء ما، تذكر أنه قد ترك نيكول ولم يرها في الطريق، خفّ إلى أحدهم قائلًا:

ماذا هناك؟

الرجل: يقولون أنهم وجدوا أنثى قد أُغشى عليها.

رد نيرو خائفًا: وأين هي الآن؟

الرجل: في المشفى الذي يطل على الطريق المجاور.

...

ركض نيرو في اتجاه المشفى حتى أدركه، ولج يسأل عنها فأرشدته أحد الممرضات فدخل الغرفة، لحظة أن أبصرته نيكول صرخت بأعلى صوتها قائلة: ابتعد عني، لا أريد أن أرى وجهك.

توقف نيرو مندهشًا مما تفعل إلى أن ولج الطبيب على إثر الصراخ قائلًا: ماذا هناك؟

نيرو: لا شيء، هذه زوجتي وهي مريضة بشيء ما يجعلها تفعل ذلك.

كان نيرو واثقًا تمام الثقة أن نيكول لن تبوح بما فعله منذ قليل، أبصره الطبيب قائلًا: هل نتخذ معها أي إجراءات علاجية؟

نيرو: لا، أنا أستطيع السيطرة عليها، اسمح لي أن أحملها وأذهب إلى منزلي.

الطبيب: أخبرني أولًا ببياناتك وبياناتها.

***

أخبره بما يريد ودوّن ذلك الطبيب ثم حملها وهو يضمها إليه ويربت على كتفها بحنان يبكي وهي تصرخ وتنهال عليه ضربًا.

الحادية عشرة صباحًا..

توالت الإطارات الحديدية المغلفة بالمطاط في الدوران وهي تحمل الهيكل المعدني لسيارة تستقلها هيلينا إلى بلدة بعيدة قصدت فيها عملاً مربحًا، كان الطريق في أوله من حيث استقلت تلك السيارة وما زالت البلدة بعيدة يقودها رجل قد قلّصت الكهولة حجم جسده حتى كست التجاعيد معظم أنحائه وانحنى ظهره من تجاعيد أصابت عموده الفقري، المذياع الصغير يصيح بصوت (ماريا كالاس) في إحدى مقطوعاتها الأوبرالية القديمة وهيلينا مسترخية إثرها وإثر ظلام الليل الهادئ، داعبت دلاية صدرها تحوي صورة صغيرة لجاد فأخرجتها ورمقتها طويلًا، شعرت بحدث غير متوقع ستقبل عليه الليلة فنشدت السكينة من نظرتها لحبها الوحيد، قبضت على الدلاية بقوة ثم أراحت رأسها على ظهر المَقْعَد، ظلّت على تلك الحالة حتى انحرفت السيارة عن مسارها فجأه فانفرج بصرها تنظر إلى السائق فوجدته قد فقد السيطرة على المقود، ظلّت السيارة تترنح يمنة ويسرة حتى ارتفعت إطارات الجانب الأيمن عن الأرض والتصق السائق بالباب والتصقت به هيلينا ثم زحفت السيارة على جانبها الأيسر حتى خرجت عن الطريق ثم تقلبت في الرمال حتى سكنت رأسًا على عقب، مر حين من الزمن لا تعلم هيلينا مداه قبل أن تفتح عيناها على رجل يحاول إخراجها من السيارة وغطاء قماشي بال قد كسى جسد السائق، فقدت السيطرة على أعصابها إثر ذلك فانهارت

في البكاء، شعرت بألم شديد يغزو رأسها فتحسسته لتدرك جرحًا غائرًا قد أصابها، حضرت سيارة الإسعاف تقلّهم لأقرب مشفى ثم ولجوا بالسائق غرفة الإنعاش وبها إلى أحد غرف الطوارئ، ثم سألوها عن أي شخص قد تعرفه فأخبرتهم برقم الهاتف الذي يخص جاد، كان جاد قد أسلم نفسه للسبات منذ ساعات بعد آخر محادثة تمت بينهما ليطمئن على أمور سفرها، اهتزّت سماعة الهاتف مرتين واستجاب في الثالثة قلقًا يقول: من المتصل؟

المشفى: السيد جاد؟

جاد: نعم.

المشفى: وصل المشفى منذ قليل شخصين من الطريق السريع ذكر وأنثى، وأخبرتنا الأنثى أنك تعرفها وتدعى هيلينا.

انتفض جاد فزعًا يقول: ما الذي حدث، وأين أنتم؟

المشفى: اطمئن هي بحالة جيدة، نحن في الطريق الصحراوي منتصف الطريق.

جاد: حسنًا.

***

قام من رقدته مسرعًا يعتطف ثيابه ثم نزل إلى الطريق وركب سيارته يلتهم الطريق بعين أصابها الأرق في ذروة سيطرة السبات من الفزع، انتفض قلبه يعصف بحسه المتشائم حتى كاد يبكي خوفًا، أدرك المشفى فولجه هائمًا

على وجهه يبحث عن أحدهم ليسأله، أبصر إحدى الممرضات فأرشدته إلى غرفتها فهرع إليها ليجدها نائمة من الإجهاد، استدركه الطبيب بقوله: لا تقلق، إنها فقط ترتاح قليلًا.

جاد: ما الذي حدث؟

الطبيب: منذ ساعتين أتى أحدهم بها وبآخر قد فارق الحياة وأخبرنا أنهما كانا على الطريق وانقلبت بهما السيارة، لحسن الحظ أنها لم يصبها شيء إلا جرح بسيط في رأسها، ساعة أو أقل وتستيقظ.

تنفس جاد الصعداء واستكان قلبه وهو يبصرها نائمة كالبدر حين يغفو في ساعات النهار، شكر الطبيب وطلب منه أن يمكث بجوارها، سمح له فأحضر مَقْعَدًا وجلس يرمقها بترقب حتى مال رأسها نحوه وفتحت عيناها قائلة: أين أنا؟

أقبل إليها جاد يمسح على شعرها بحب غامر يقول: أنتِ في المشفى، لقد انقلبت السيارة على الطريق.

ابتسمت قائلة: وأنت أتيت من أجلي، من أخبرك؟

جاد: المشفى.

مرت بضع ثوان قبل أن تنهض لتستقر في أحضانه وقد قتلت السعادة الألم، فتح جاد عينه ليبصر الشمس قد أرسلت بعض أشعتها إلى أرض غرفته ويأس المنبه من إيقاظه فسكت، اعتدل على جانب الفراش وصورة هيلينا

تعانقه لا زالت تسيطر على عقله، ذكر ذلك اليوم الذي اعتبره أول الأيام في رحلته مع الشقاء، أبصر يده اليمنى طويلًا، اليد التي قتلتها بدم بارد من أجل المال والخوف، أصاب الاختلال عقله حتى أقسم أن يقطع أصابع يده اليمنى معاقبًا نفسه الطامعة الجبانة، لم يتبقَ بها إلى آخر الأصابع الذي كان الإبهام وعجز أن يقطعه لشدة الألم الذي أصابه في قطع أقرانه، الآن قد حان موعد الثأر من ذلك الرجل الذي أجبره على ذلك، قام إلى أحد أدراج مكتبه واستخرج الصورة التي رسمها له ثم جلس إلى قلمه يكتب خلفها:

"إلى قائد الشرطة

تحية وبعد..

لا يخفي على أحد الآن أمر حوادث القتل الممنهجة التي تتم في البلاد، إلا أن الشرطة بدت عاجزة عن إيقاف ذلك لسبب لا أعلمه ولكني أود المساعدة، أنا أحد الأشخاص الذين شاركوا في هذا المخطط وقد احتفظت بهذه الصورة له حتى أنشرها في حال تضررت من تلك الخُطَّة، وقد حدث ما حدث فأرسلتها لك حتى تنهي هذا الأمر بيدك ويتمدد نفوذ منصبك بعد عملية شرطية ناجحة ستتحدث عنها البلاد بأسرها، أرجو أن تنهي هذا الأمر سريعًا وتنقذ ما يمكن إنقاذه"

***

جلب مظروفًا ورقيًا ووضع به الصورة ثم اعتطف ونزل إلى سيارته يقصد مقر قيادة الشرطة، أدركها فنزل يستقبله جندي المدخل بقوله: ماذا

تريد؟

جاد: أريد مكتب قائد الشرطة.

الجندي: لماذا؟

جاد: لديَّ خطاب له.

الجندي: أقبل إليَّ.

ولج جاد البوابة ونادى الجندي على أحدهم للتفتيش حتى أفرغه مما كان بحوزته وأعطاه الخطاب ثم سمح له بالدخول قائلًا: مكتب القائد يقبع في منتصف الطابق الثاني.

أومأ إيجابًا ثم صعد الدرج حتى أدركه فاستوقفه جندي المكتب قائلًا: من أنت؟

جاد: جئت بنبأ هام إلى القائد.

الجندي: ليست عندي أوامر أن أسمح لأحد بالولوج.

جاد: إنه أمر شديد الأهمية.

الجندي: إن كان لا محالة فأترك معي ما تريد وسأوصله إليه.

جاد: حسنًا، احتفظ به ولا تعطه لأحد غير القائد.

الجندي: حسنًا.

أعطاه الخطاب ثم عاد إلى حيث أتى، لم يكن الجندي قد أمر ألا يخلُص

أحد إلى القائد ولكنه لما رأى جاد عرفه سريعًا، فقد كان الجندي هو أحد عيون الزعيم المختارين لمراقبة الأعوان وما إن رحل جاد حتى فتح الخطاب ينظر ما به، قرأ الكلام ثم أبصر الصورة فأدرك أنها صورة الزعيم، أعاد الخطاب للمظروف وهمّ أن يروح ليتخلص منه إلا أن قائد الشرطة قد باغته بخروجه المفاجئ، أبصر الخطاب في يد الجندي ثم قال: ما هذا؟

الجندي باضطراب: لا شيء سيدي.

القائد: أهذا أحد الخطابات المرسلة إليَّ؟

الجندي: لا، هذا..

القائد: أعطني الخطاب.

الجندي: ولكن سيدي..

القائد: لن أكرر الأمر.

أعطاه الخطاب راغمًا فولج به مكتبه وجلس يفتحه ليقرأ، أصابته الدهشة والعجب مما قرأ، لماذا قد يشي أحد أعوان ذلك الرجل به وقد أتم الاتفاق مسبقًا ووافق عليه؟! سكن حينًا يفكر فشعر أنه لن يكون بحاجة للالتزام بذلك الاتفاق الذي قد أتمّه مع نيرو، يمكنه أن يعتقل ذلك الرجل ويجبره على الاعتراف بباقي الأعضاء ويستعيد أمواله ويقضي على الأمر بنفسه، رفع سماعة الهاتف ليحادث دانيال وأمره أن يحضر لمكتبه فورًا، مرت بضع دقائق قبل أن يطرق دانيال بابه، أذن له فولج محييًا ثم جلس يقول: خيرًا؟!

القائد: وصلني خطاب في غاية الغرابة واستدعيتك للاستشارة.

أعطاه الخطاب فقرأه متعجبًا، سكن كما سكن القائد ثم قال: من بعث هذا؟

القائد: لا أعلم، رأيته بحوزة جندي المكتب.

دانيال بعد صمت عميق: أرى أن تنشر هذه الصورة لتصبح بحوزة جميع أفراد الشرطة ليبحثوا عنه وتنهي الأمر بيدك.

القائد: هذا ما كنت أفكر فيه.

دانيال: هذا هو الصواب.

القائد: وماذا إن لم يفلح الأمر؟

دانيال: لا شيء، أعتقد أن الأمر سيسير كما اتفقت وينتهي أيضًا.

القائد: حسنًا، خذ هذه الصورة وانسخ منها بعدد الأفراد، ومن يجده سأنعم عليه بمكافأة وترقية أمنحها إياه بنفسي.

***

ظل جندي المكتب متوترًا لا يعلم ماذا يصنع، أزاد توتره لما أبصر دانيال قد خرج بالصورة، لا بد من أن الشرطة جميعها ستنقلب عليه وعلى أعوانه، مكث حينًا يفكر ثم ولج إحدى الغرف الفارغة كانت تحوي هاتفًا، حرر رَقْم أحد عيون الزعيم قد أعطاه له إذا طلب المساعدة وأمره أن يحضر على وجه

السرعة، فرغ من محادثته وحرر خطابًا قبل أن يحضر جندي آخر يخبره أن أحدهم يطلبه في أمر عاجل يزعم أنه من أقاربه، أعطاه ذلك الخطاب ليعطيه لمن طلبه، أخذ العين الخطاب وهرع إلى مكتب الزعيم ثم وضع الخطاب على المكتب وانصرف، مرّ بعض الوقت قبل أن يحضر الزعيم ببذلة رمادية وقبعة لا تفارق رأسه وكعادة البومة قابعة على ذراعه، جلس إلى المكتب الذي فرغ من شيء إلا من الخطاب، فتحه ليقرأ:

"إلى الزعيم

تحية وبعد..

منذ قليل أتى إليَّ جاد بخطاب يأمرني أن أعطيه لقائد الشرطة، وما إن رحل حتى فتحته لأرى صورة لك وخطاب يخبر القائد أنك المخطط الحقيقي لما يحدث، هممت أن أتخلص منه فاستدركني القائد وأخذه مني ثم خرج أحد الضباط بالصورة ويبدو أنهم قد بدأوا البحث عنك وسيعتقلوننا واحدًا تلو الآخر، ماذا سنفعل سيدي؟!"

***

انتهى من قراءة الخطاب وابتسم، ثم أخرج زجاجه نبيذ فاخرة لا تفارق مكتبه وبدأ رحلة إلى عالمه الافتراضي الذي أوحى له بكل هذا المكر.

السادسة صباحًا..

أتم الليل أواخر ساعاته في سيطرته على الكون وهمّت الشمس أن تتولى حكمة إلا أن الطبيعة أبت ذلك مرسلة عاصفة أثارت الأتربة على الأنحاء حتى تعذرت رؤية السماء على أهل الأرض واتشح المنظر بالصفار الباهت والخياشيم المثارة، كان أغسطس يسير بسيارته يقصد مخزنًا قديمًا يملكه في أقصى جنوب العاصمة القديمة، أدرك شرقها واختلطت سيارته بالأخريات من أمثالها وغزى الضجيج يومه، ثم صف السيارة جوار أحد الأرصفة ونزل يقصد متجرًا عامًا، دخل يسأل عن الهاتف فأرشده التاجر فرفع السماعة وحرر رقمًا قد احتفظ به على ورقة.

***

ثلاث صفارات أنذرت المطلوب حتى رفع السماعة يقول: من معي؟

أغسطس: هل انتهيت مما اتفقنا عليه؟

الرجل: نعم سيد أغسطس، متى تريده؟

أغسطس: أريده بعد ساعة من الآن حيث اتفقنا.

الرجل: حسنًا، وداعًا.

أغلق أغسطس الخط وعاد إلى سيارته يستكمل طريقه ثم أدرك المخزن، نزل يفتتحه ودخله بسيارته صافًا إياها حذاء الجدار ثم أغلق بابه، عاد إلى

مَقْعَد يجاور طاولة معدنية فجلس وأشعل لفافة تبغ ينتظر من اتصل به، أتمت الساعة دقاتها السبع حين طرق الباب طارق فقام إليه أغسطس ثم فتح الباب ليبصر رجلًا يرتدي معطفًا أسود وقفازين يحمل حقيبة جلدية فاخرة يقول: القناع والخيط الطبي سيدي.

أخذهم منه الأول ثم أخرج حزمة من النقود وأعطاها له ثم أغلق الباب، عاد أغسطس بالحقيبة ووضعها على الطاولة حين اكتمل احتراق لفافة التبغ ثم أخرج سلاحه الشخصي وألقمه خزانة مكتملة وقام إلى حقيبة السيارة، شد أجزاء السلاح وفتحها ثم عاد إلى الخلف بضع خطوات أمرًا إبرام بالنزول منها، وضع إبرام يده خلف ظهره كأنما ما زال مُقيدًا ثم افتتح أغسطس الحديث قائلًا: ما بالك تخونني وتسرقني وأنا الذي صنعت منك ما أنت عليه من الوجاهة والغنى؟!

إبرام: كل ما أنا عليه تحصّل بفضل اجتهادي في عملي.

أغسطس: حسنًا، وها نحن ذا في ذلك الموقف وأنت أمامي أعزل.

***

همّ أن يطلق عليه النار فانقض عليه إبرام بيده وجسده فأفلت السلاح من يده ثم سدد لكمة على وجهه فأسقطه أرضًا ثم راح يأخذ السلاح من على الأرض، فأمسك الأول بقدمه وضربه في ظهرها فسقط بجواره وقام الأول إلى السلاح فألقاه بعيدًا يقول: أتريد إنهاء الأمر بيدي؟! حسنًا.

انتظر حتى نهض إبرام ثم أقبل إليه صائحًا بشدة وضرب بطنه بمنكبه فأسقطه أرضًا ثم انهال عليه باللكمات حتى ظن أنه غاب عن الوعي فقام من فوقه فانتفض إبرام يفاجئه بركلة عنيفة في خصيتيه، ثم جلس فوق صدره وفعل مثلما فعل به وأغسطس يحاول التخلص من قبضته، كان قائد الشرطة في طريق العودة من تحقيق سيليون يرافقه دانيال وآخرون من مساعديه حتى أدركوا مقر القيادة فنزل يتبعونه إلى مقر الاجتماع، جلس يشعل لفافة تبغ ثم قال: هل هناك أنباء جديدة؟

أحدهم: نعم سيدي، لقد عثرنا على جثة جديدة إلا أن السيد دانيال قد حفظ المحضر لعدم كفاية الأدلة.

نظر إليه القائد قائلًا: ما اسم المقتول؟

دانيال: بنجامين سيدي.

توغل القائد في عقله حتى ذكر أن الزعيم قد أرسل له خطابًا يفيد بمسئوليته عن مقتله، تنحنح ثم استأنف: تستطيعون أن تنصرفوا جميعًا إلا دانيال.

قاموا إلى أعمالهم ثم استأنف القائد: من الجيد أنك حفظت المحضر فإن المقتول قد نُسب إلى الأمر الذي حدثتك فيه.

دانيال: من الجيد أنني استطعت تخمين ذلك.

***

أومأ القائد برأسه إيجابًا حين كانت سيارة لنقل الموتى تقطع الطريق قاصدة المخزن الذي يملكه أغسطس، أدركته ونزل سائقها يفتح البوابة التي تُركت بلا قفل فأبصر جثة جالسة على مَقْعَد يجاورها منضدة تحوي حقيبة جلدية فارغة، أقبل إليها يحملها بعد أن فتح التابوت ثم وضعها فيه وركب السيارة إلى الطريق الصحراوي الشمالي حتى أدرك منتصفه، انعطف يمينًا يشق الصحراء بسيارته ثم نزل يفتتح التابوت وأخرج الجثة عائدًا بها إلى الطريق فوضعها على جانبه ناحية الصحراء، ثم عاد بسيارته إلى العاصمة.

***

دخل متجرًا صغيرًا يطلب الهاتف، رفع سماعته وحرر رَقْم الشرطة التي ردت بعد حين تقول: الشرطة تتحدث، تفضل سيدي.

الرجل: لقد أبصرت جثة ملقاة على طريق العاصمة الشمالي وأنا عائد منها.

الشرطة: ما بياناتك؟

أغلق الرجل الخط قبل أن تخرج قوة من شرطة الطرق إلى حيث أخبرهم الرجل يتفقدون الطريق، ثم وصلوا إلى منتصفه فأدركوا الجثة، نزل الضابط يتفقدها ثم أبصر وجهها الذي تطابق مع الصورة التي وزعها دانيال على أفراد الشرطة من قبل، أبلغ قيادته بما رأى وبدورها أبلغت دانيال عن انتهاء أمر الرجل الذي تبحث عنه الشرطة جميعًا في الآونة الأخيرة.

***

نزل دانيال من مقر القيادة مسرعًا إلى الطريق حتى أدركه فاستقبله الضابط بقوله: لقد بحثت الشرطة عن ذلك الرجل طيلة المدّة الماضية فلم تفلح محاولاتهم، ومنذ قليل اتصل أحدهم يخبرنا بوجود جثة على الطريق فحضرنا لنكتشف أنه الرجل الذي نبحث عنه.

***

رمقها دانيال طويلًا يحاول إدراك سبب الوفاة فلم يكشف له حدسه عن ذلك، على الفور كتب خطابًا مستعجلًا إلى القائد وبعث به أحد الجنود، أدرك الجندي مقر القيادة وولج محييًا القائد وأعطاه الخطاب ثم انصرف، رمق الأول الخطاب قليلًا ثم فتحه ليقرأ:

"السيد/ قائد الشرطة

تحيه وبعد..

أبلغني أحد الضباط أن جثة وجدها على طريق العاصمة الشمالي وعندما ذهبت لأتفقدها أدركت أنها جثة الرجل الذي كنا نبحث عنه، لم أستطع أن أخمن شيئًا أو أتوصل إلى حقيقة الأمر فإن تسارع الأحداث أصاب عقلي بالشلل التام كما أصاب عقلك"

***

أعاد القائد الجندي بأمر عاجل لدانيال بالحضور لمكتبه، خف الأخير إلى

سيارته يستقلها يقصد المقر حتى أدركه وجلس قائلًا: أعلمت بالأمر؟

القائد: نعم.

دانيال: ماذا سنفعل؟

القائد: لقد سئمت هذا الأمر برمته، لذا قررت أن أنهيه مهما كانت الخسائر.

قطع ذلك أحد الجنود يخبر القائد بحضور خطاب له، أخذه وفتحه ليقرأ:

"السيد/ قائد الشرطة

تحية وبعد..

تعلن المنظمة مسئوليتها عن تلك الجثة التي وجدتوها على الطريق وعن الجثة التي وجدتوها في البيت، يسرني أن أخبرك أن الأمر قد أوشك على نهايته"

***

طوى القائد الخطاب ورمق دانيال قائلًا: أريدك أن تجمع لي جميع رؤساء تحرير الصحف في البلاد لاجتماع عاجل في التاسعة من صباح اليوم.

أومأ دانيال برأسه إيجابًا وقام يحييه ثم انصرف، استكملت الأرض دورانها وتنفس الصبح حين اجتمع رؤساء التحرير في البلاد على رأسهم الصحف الحكومية وجلسوا ينتظرون القائد تحفّهم النجوى والتساؤل عن

سبب الاستدعاء، دخل عليهم فقاموا إليه يحيونه ثم جلس وأجلسهم، تنحنح ثم قال: أتذكرون أمر رجل الأعمال الذي قُتل منذ مدّة؟

أحدهم: نعم.

القائد: لقد عثرنا على قاتله وأيضًا عثرنا على جثة زعيم الأعمال الإرهابية التي حدثت مؤخرًا.

الآخر: عظيم.

القائد: أريدكم أن تضعوا في صحف الغد عنوانًا يخبر عن ذلك الإنجاز الذي حققته الشرطة وبعض المقالات حول الأمر، وإذا أراد صحفي أن يختبر قوته ومهارته في التأليف فلا بأس.

***

أومأ الجميع برأسهم إيجابًا ثم استأنف: أعلم أن صحفكم تحتاج لبعض الدعم المالي، سيصلكم ما يلزم غدًا بمبعوث من الوزارة.

ابتسم الجميع حالمين بعقود لأراضٍ جديدة يتمدد بها نفوذهم أو سيارة ستتبدل بأخرى أحدث منها وأفخم، ثم استأنف القائد: يمكنكم أن تنصرفوا.

قاموا إلى أعمالهم ثم تنحنح دانيال قائلًا: هذه مجازفة كبيرة.

القائد: أعلم ذلك، لكن السبل قد ضاقت بي مع هذا المتحايل الماكر.

الثامنة مساءً..

ودّع الكون فصل الصيف وحرارته وانحرفت الشمس عن سطح الأرض مصدرة بقايا أشعتها المائلة على اليابسة لتتخلص الماديات من حرارتها وتعصف الريح بالنباتات الجافة نافضة عنها أوراقها منتهية العمر والخضرة وتترك أخشاب الأشجار وحيدة تنتظر الربيع لتؤنس وحدتها بأوراق جديدة، ويستعيد الكون ألوانه بعدما اتشح باللون الأسود والكآبة، اصطدمت بعض الأوراق المحمولة بالريح بجدار خرساني أملس لا يُرى آخره يحيط بأسوار أخرى تضم أكبر المعتقلات في البلاد، يقبع بإحدى الزنازين المتجاورة سيليون مستندًا على بابها في محبسه الانفرادي شاردًا في الفراغ، افتتح عقله حواره الداخلي بسؤاله عما حدث بشأن الخطاب الذي وصله قبل أن يروح لتصفية سام، كان السؤال الذي يشغله هو: "لماذا قد يرسل أحدهم خطابًا كهذا؟!"

***

استمر عقله في حيرته حتى تذكّر ما حدث لمن سبقوه في مهماتهم، شعر أنه ومن سبقوه قد وُضِعوا في خِطَّة كبيرة مُحكمة هدفها هي التخلص منهم وليس من أعدائهم، فلماذا مات كل من سبقوه وهرب من لم يمت منهم وكان شخصًا واحدًا فقط، ذكر عقله الخطاب نصًّا إلى أن وصل لجملة: "منظمة قد أنشأها شخص لا نعلم باسمه" إذًا فهذا هو الشخص الذي خطط لكل هذا،

ولكن من ذا الذي يصدقه وقد اعتقلته الشرطة أمام جثة! ظل في شروده إلى أن شعر ببرودة تجتاح جسده فذكّرته بالضابط الذي خلع عنه سترته لمّا أمسكوا به ولم يعلم ما السبب، سمع دقّات أقدام تقبل إلى باب الزنزانة فانتبه إليه، فتح القادم الباب قائلًا: قم وأقبل إليَّ فقد حان موعد التحقيق.

***

قام سيليون برفقه الجندي الذي قيّده بالأصفاد الحديدية ثم سار معه حتى ولجا غرفة مظلمة وأجلسه الجندي في مَقْعَد يتوسط الغرفة ثم خرج، ظل على وضعه حينًا ينتظر إلى أن أضاء مصباح صغير الغرفة فأبصر حائطًا مواجهًا قد تلطّخ باللون الرمادي ومنفذ زجاجي على الجدار الآخر، كان قائد الشرطة قد حضر إلى الاجتماع بنفسه لمّا علم أن المتّهم على علاقة بالقضية الحالية، كان جالسًا في الغرفة المطلّة على الغرفة المظلمة من المنفذ الزجاجي يحيط به بضع ضباط من رتب عليا ومتوسطة.

افتتح القائد الحديث قائلًا: ماذا لدينا الآن؟

أحد الضباط: أمسك أحد الضباط بهذا الرجل أمام جثة المدعو سام بإحدى الطرقات الفارغة ليلًا، كما أن سترته تتطابق مع الزر المفقود في حديقة رجل الأعمال الذي قُتل من مدّة.

القائد: أين الضابط الذي أمسك به؟

الضابط: إنه في الطريق سيدي.

القائد: هيا بنا نبدأ التحقيق.

***

قام الضباط يتوسطهم القائد إلى الغرفة الأخرى، ولجوا إلى الغرفة تتخللهم نظرات سيليون الذي أدرك حضور قائد الشرطة، الأمر الذي أثار خوفه للحظة ولكنه قد جهّز أقواله واستعاد ثباته، أضاء الجندي مصباحًا آخر أوضح الرؤية، ثم قال الضابط المختص بالتحقيق: ما اسمك؟ سيليون: سيليون.

الضابط: كم عمرك؟

سيليون: خمسة وأربعون عامًا.

الضابط: لقد أمسك بك أحد الضباط أمام جثة المدعو سام، هل أنت من قتله؟

سيليون: نعم، كان دفاعًا عن النفس.

الضابط: كيف؟

سيليون: حاول قتلي بسلاحه الناري فاستدركته بطعنتين في عنقه.

الضابط: إذًا أنت معترف بقتله.

سيليون: وماذا يفيد إنكاري والمعمل الجنائي سيثبت كذبي؟

الضابط: هل كان بينك وبين القتيل عداء سابق؟

سيليون: لا.

الضابط: إذًا لماذا قد يحاول قتلك؟!

سيليون: إنها خُطَّة محكمة قد وضعها أحدهم وكان سام أحد المنفذين، لكنه فشل في مهمته.

الضابط: وكيف عرفت بأمر الخُطَّة؟

سيليون: قد وصلني خطاب يفيد بأن هذا الرجل يترصدني.

***

قاطع التحقيق دخول الضابط الذي اعتقله للغرفة طالبًا من قائد الشرطة أن يحادثه على انفراد، قبِل القائد طلبه وأمره أن يتبعه إلى الغرفة المجاورة وأمرهم بوقف التحقيق لحين عودته، ولجا الغرفة وسمح له القائد بالكلام، أخرج الضابط صورة فوتوغرافية وأعطاها للقائد قائلًا: لقد وجدنا هذه الجثة في أحد المصارف، نظر القائد إلى وجه الجثة فاتسعت عيناه دهشة، إنها جثة الرجل الذي أرسل أحدهم صورتها له من قبل، هذا قائد المنظمة على حد قول الراسل، ابتسم بملء فمه لمّا شعر بانتهاء الأمر وتعجّب الضابط من ابتسامته، نظر القائد إليه قائلًا: ما الذي دفعك إلى أن تعطيني هذه الصورة ولم تعطها لمكتب التحقيقات؟

الضابط: سيدي، أشعر بشيء ما غير اعتيادي، على مدار الشهور الماضية وجد رجال الشرطة بضع جثث ملقاة في الطرقات والمصارف وجميع القضايا

قد قُيدت ضد مجهول! ماذا يحدث؟

القائد: ما يحدث هو تقصير جماعي منكم، يبدو أن جهاز الشرطة قد ألمّ بحفنة من عديمي المسئولية.

الضابط: ولكن اسمح لي سيدي، الدلائل غير كافية إطلاقًا كما أن طرق القتل بها شيء من المنهجية، أشعر أننا في مؤامرة كبيرة.

القائد: لا تقلق، سأحيل الضابط المحقق بالقضية إلى المعاش أو أنقله لمكان آخر، ولكن انتظر حركة الترقيات القادمة، همّ الضابط بالكلام فأشار القائد له بالصمت.

***

كان الضابط على علم بصلة القرابة بين الضابط المحقق والقائد ولكنه لم يخمّن للحظة أن القائد متورط في القضية، شرد القائد متذكرًا الخطاب الذي وصله وعلم أن الأمر قد انتهى، لكن لا بد من شخص ما يوضع في خانة الجاني، قرر أن يكون هذا الشخص هو من بالداخل، كما أن الخطاب الماضي من نيرو كان يتحدّث عن قُرب انتهاء العملية ويبدو أن آخر عملية هي التي تمت على يد الرجل القابع في الغرفة المجاورة، فكّر للحظة في الضرر الذي قد يقع عليه إذا وقّع حكمًا قضائيًا على المتهم لكونه من الرجال المنفذين للعملية، ولكنه قرر أن يضرب باتفاقه مع نيرو عُرْض الحائط وينهي هذه القضية، صمت القائد حينًا ثم قال للضابط: هل لديك شيء آخر تقوله؟

الضابط: نعم، أتذكر قضية رجل الأعمال الذي قُتل منذ مدّة ولم نعلم من هو القاتل؟

القائد: نعم أذكرها.

الضابط: لما اعتقلت المتهم تفحصت ملابسه فوجدت أن أزرّة سترته تتطابق مع الزر الموجود في حديقة المنزل، يبدو أن هذه القضية قد انتهت سيدي.

***

عاد القائد لصمته متعجبًا، شعر أنه لا يملك تفاصيل كثيرة تخص القضية وأن واضع خطة المنظمة شخص محترف للغاية، ولكن هذا لا يهم.. المهم هو استقراره بمنصبه، قام القائد من مكانه آمرًا الضابط بالانصراف ثم عاد لغرفة التحقيقات ملاحظًا المحققين ونجواهم، صمتوا جميعًا لما أبصروه ثم قال: استأنفوا التحقيق.

***

استأنف المحقق بسؤاله: ومن تعتقد أنه قد أرسل هذا الخطاب؟

سيليون: لا أعلم، ولكنّي أعلم أن شخصًا ما يتلاعب بي وبكم في مؤامرة كبيرة.

المحقق: أتريد التغطية على جريمتك بهذه الأقوال الساذجة؟

لم يرد سيليون وساد الصمت بعض الوقت حتى أخرج قائد الشرطة

صورة الجثة ووضعها أمامه قائلًا: هل تعرف هذا الشخص؟

ألقى سيليون نظرة سريعة ثم قال: لا.

قائد الشرطة: كيف لا تعرفه! هذا العقل المدبّر للمنظمة التي تنتمي أنت إليها.

لم يرد سيليون وتضاغطت الأفكار في عقله من كثرتها وتشوشت رؤيته تمامًا، ثم استدرك القائد: أنت أيضًا مُتهم بقتل أحد رجال الأعمال ليلًا بسلاح ناري، هل أنت من قتلته؟

سيليون فزعًا: لا! من هذا الرجل، وكيف قتلته، ولماذا؟!

القائد: كل الشواهد تشير إليك، كما أن السلاح الذي وُجد بحوزتك طلقاته تطابقت مع الطلقة التي قُتل بها.

ارتبك سيليون وشعر أنه قد انتهى أمره، فقال مرتعدًا: أقسم أنني لم أفعل ذلك، أنا لم أقتل أحدًا قبل هذا الرجل.

صمت قائد الشرطة وأمر المحققين بإنهاء التحقيق فاستدعى المحقق جنديًا يعيده إلى زنزانته وسيليون قد تجمدت أطرافه خوفًا، قام سيليون مع الجندي وهو يلحظ القائد بنظرة غير مفهومة، ثم دفن القائد وجهه بين يديه وقد اختلط الحابل بالنابل في رأسه، ما الذي يحدث وماذا يخبئ القدر؟!

العاشرة مساءً..

توارى نصف القمر عن الأنظار وتوقفت النسمات عن سيرها خضوعًا لانتصاف شهر حَزيران وارتفعت الرطوبة حتى تصبب العرق على جميع من كانوا بالشركة التي يعيد يصهار بنائها في محاولة لاستعادة مكانته في أوساط الأعمال بعد خروجه من السجن، كانت المؤسسة تحقق أرباحًا جيدة ترضيه على الرغم من صغرها ومحدودية إمكاناتها إلا أنه رسم لمستقبله خيالًا واسعًا يعتمد فيه على ما سيعود عليه بعد تصفية غريمه فيليب حسب الاتفاق، أوشك عاملو الليل على الفراغ من دوامهم إلا يصهار الذي حبسته مشاغل كثيرة عن العودة لمنزله.

***

انتشله من ازدحام أعماله طارق لباب مكتبه، أذن له فولج محييًا ثم قال: سيد يصهار، لقد أرسل لك أحدهم ذلك الخطاب.

يصهار: حسنًا، ضعه على المكتب.

وضعه الأول حيث أمر ثم انصرف، انتهى الأخير من بضعة أوراق كانت بحوزته ثم فتحه ليقرأ:

"السيد/ يصهار

تحية وبعد..

أود أن أهنئك على روحك المصرّة الصامدة وأبشرك بنجاح كبير قريبًا، نظرًا لاعتبارات عدة قررنا أن تنتهي من مهمتك الليلة وأظن أنك لن تمانع في تعجل ثأرك، بعد ساعتين من الآن ستجد فيليب في المقاطعة الرابعة قادمًا من الشرق حيث يوجد، ستبدأ رحلته من أقصى شرق البلاد وتنتهي عند تلك المقاطعة فانظر أي الأماكن أفضل حتى تترصده، هذه آخر فرصة لك إما الانتقام أو الموت، حظًا سعيدًا"

***

انتهى فيليب من قراءة الخطاب ثم تفحّصه ليجد شعار الصليب المعقوف يحتل أدنى يساره، طواه ووضعه في مظروفه، ثم عاد إلى عمله حتى تمت الساعة آخر دقاتها الإحدى عشرة فقام إلى سترته يعتطفها وذخّر سلاحه الشخصي ومضى في طريقه، كان فيليب غارقًا في السبات ينتظر دقات المنبه حتى توقظه فأجابه بصافرة شديدة اعتاد أن يصدرها إذا أدرك ساعة التنبيه، قام فيليب مسرعًا مما سمعه ثم راح إلى المرحاض يستفيق من غياهب السبات ثم عاد إلى خزانة ملابسه، أخرج بذلة داكنة وقبعة بدت له لائقة، ثم وضع يده على طاولة تجاور الفراش يلتقط خطابًا يراجعه ففتحه ليقرأ:

"السيد/ فيليب

تحية وبعد..

قد علمنا أن أخيل يريد تصفيتك بعد ثلاثة أيام من يومك هذا، لذا فقد رأينا أن تُجْهز عليه حين غفله قبل ذلك اليوم، أخبرنا أحد العيون أنه سيكون

عند المقاطعة الرابعة يوم غد غرب البلدة التي أنت بها في تمام الساعة الثانية عشر منتصف الليل، عليك أن تنتهي منه تلك الليلة"

***

أغلق الخطاب بعد أن تمم على الموعد والمكان ثم رمق الساعة ليبصر انتصاف الحادية عشرة فاعتطف ردائه سريعًا ثم استقل سيارته يقصد المقاطعة، ذكر أمر يصهار موقنًا أن أخيل لم يصبح غريمه الوحيد، راوده تكهّن أن يصهار هو من ينتظره ثم نفض عن عقله ذلك لعدم حصوله على ما يربط بينه وبين الزعيم أو أمور تلك الخُطَّة ولم يدرِ أنه كان مخطئًا في تكهّنه، كان يصهار قد أدرك طريق المقاطعة الشرقي واختار أفضل الأماكن لاقتناص فيليب حيث يستدرجه إلى حوار أخير تاقت له نفسه منذ أول أيام سجنه، يعلم جيدًا مرض فيليب بعشقه للإناث ورحيقهم مهما تقدّم به العمر أو كان لديه ما يشغله، ولج جانب الطريق بسيارته ووقف ينتظر خاطرة تساعده في مهمته.

***

أقبلت عاهرة من سكان المقاطعة تلاعب الكحول بعقلها حتى أبطل مفعوله فسارت تخلع ملابسها حتى لم يعد يستتر منها شيء سوى بوابتها، رمقته فراحت إليه مترنحة حتى أدركته فقالت: أتريد شيئًا أيها الوسيم؟

ضحك يصهار حتى شهق من وصفها له بالوسيم، ثم قال: نعم، الوسيم يريدك في أمر ما، دارت حول السيارة ثم فتحت الباب المجاور له وأمسكت

براحته تضمها على منحنياتها المنحوتة بعناية في جسد كساه البياض المختلج بحمرة البصمات، ثم قالت: وكم تريدني من الوقت؟

يصهار: فقط خمس دقائق.

الأخرى: خمس دقائق! يبدو أن صاحبك لا يمتلك من الموهبة شيئًا.

قالتها ثم ضحكت بصوت تصدعت له جوانب السيارة من حدته فاستدركها قائلًا: لا أريدك لما تعملين، أريد أمرًا آخر.

نظرت له بقلق تعجّب منه أن يبدو على مثلها وقالت: ما هو؟

يصهار: صديقي هناك في تلك المقاطعة وأريد أن أحضره ها هنا وإذا دخلت المقاطعة ستعتقلني الشرطة.

الأخرى: وماذا أفعل؟

يصهار: أعلم أنه مغرم بأبناء جنسك، إذن أنتِ كنز بالنسبة لي الآن.

الأخرى: وبعد قليل أصبح لا شيء.

أعادت ضحكتها فأسكتها بقوله: سأعطيكِ ما تربحينه طيلة يوم كامل.

أومأت برأسها إيجابًا، ثم قالت: وكيف سأتعرف عليه؟

يصهار: لا شيء، فقط ستروحين وتصيحين باسمه وسيتعرف عليكِ هو.

الأخرى: حسنًا، وماذا بعد؟

يصهار: ستخبرينه أن يعود من الطريق الشرقي وسأنتظركم.

رمق ساعة يده فأبصر انتصاف الثانية عشر فقال: انتظري نصف ساعة قبل ذلك.

***

أومأت إيجابًا ثم أراحت رأسها على المَقْعَد وبكت كما لم تبكِ من قبل ثم ضحكت حتى كادت أن تخرج أحشائها تبعها غرقها في السبات ويصهار يترقب الطريق لرصد أي حركة مفاجئة، مرت نصف ساعة فأوقظها وقد استعادت جزءًا من وعيها ثم أخرج حزمة أموال وأعطاها إياها وقال: انطلقي الآن.

***

نزلت من سيارته واعتطفت ملابسها ثم راحت إلى المقاطعة تصيح باسم فيليب، سمع الأخير صوتها فنزل من السيارة بعدما يأس من مجيء أخيل ثم قال: أنا فيليب، من أنتِ؟

الأخرى: ألا تتذكرني؟

فيليب: لا.

الأخرى: أنا لويزا، صديقتك في الصف الثانوي.

لم يكن فيليب يذكر أنه أخذ ثانويته من الأساس، لكنها كانت جميلة بحق فقال: نعم تذكرتك، كيف حالك؟

لويزا: أنا بخير، إلى أين أنت ذاهب؟

فيليب: إلى حيث تريدين.

مدّت يدها وربتت على ذكورته التي انتفضت للمستها، ثم قالت: هيا نقضي وقتًا ممتعًا.

تبعها فيليب كالأبله وركبا سيارته، فقالت: أعرف مكانًا جيدًا، استدر بسيارتك في طريق العودة.

فعل كما أمرت وراحوا حتى أدركوا المكان الذي يقف فيه يصهار ثم قالت: هنا.

فيليب: في الطريق هكذا؟!

لويزا: لا أحد يمر في هذا الطريق ليلًا.

أومأ إيجابًا فخلعت جميع ملابسها وبدأ يعبث بمحتوياتها ثم تبعت ملابسه ملابسها حتى سارا كيوم ولدتهم أمهاتهم، قطع عبثهم صوت أصابع تدق على الزجاج ففزع فيليب لذلك، نظر مسرعًا فوجد يصهار يشهر سلاحه في وجهه مبتسمًا وأمرهم بالخروج كما هم عاريين، رفض فيليب فأطلق رصاصة على الزجاج الخلفي فنزلا في لحظتها.

***

أشعل لفافة تبغ وسط ذهول فيليب من رؤية يصهار بدلًا من أخيل وشعر أنه وقع في فخ كبير، ثم قال الأول: من المؤكد أنك تتذكرني.

لم يرد فيليب وهمّت العاهرة بالهروب فأطلق رصاصة في قدمها فوقعت

بجانبه، ثم قال: عقدين لم أرَ فيهم الشمس بسببك ودمرت أعمالي وأصبحت فقيرًا لا أجد مالًا لأطعم نفسي بسببك، ماذا تظن أني فاعل بك؟!

لم يرد الأول فاستأنف: كان من الممكن أن أقتلك على حين غفلة منك ولكني فضلت أن أراك ذليلًا خائفًا قبل ذلك.

***

شهق خوفًا فأطلق الأخير رصاصة فقأت عين الأول اليسرى واخترقت عقله حتى نفذت من مؤخره رأسه فسقط قتيلًا في الحال، خلع يصهار كاتم الصوت ووضع سلاحه في جنبه بهدوء شديد، ثم نظر إلى العاهرة التي أطلقت صرخة مدوّية يقول: أنتِ حرة من الآن، وهذه السيارة هدية لك.

ظلّت ترمقه وقد اختلط عرقها الغزير بالرمال حين عاد إلى سيارته واستقلها ثم راح.

العاشرة صباحًا..

في أحد شهور الربيع المزدهر استعادت الأشجار رونقها ونبتت الأزهار نافضة عنها قطرات الندى متخلّصة من ظلم الخريف للألوان الخلابة التي خُلقت فيها، في إحدى الطرقات العمومية التي تعج بالبشر والشياطين المسيّرين لهم بواسطه شهواتهم بيوت عديدة يفرق بينهم حارات ضيقة ونسمات باردة، يقبع بشرفة أحد المنازل رجل قد قارب خريف العمر مكتفيًا من الدنيا كما اكتفت منه، يحتسي كوب الشاي مواظبًا على وِرده اليومي من الاسترخاء الصباحي على المَقْعَد المطلّ على الطريق وانتظار بائع الجرائد، حضر البائع ودلّى الرجل له قفة صغيرة بحبل ليضع فيها الصحيفة اليومية، جذب القفّه لأعلى والتقط الصحيفة يحررها من أسر قطعة بلاستيكية قد أحكمت لفّتها الإسطوانية، وما إن انتهى من عمله حتى أبصر عنوانًا يتصدر الصفحة الأولى بطلّة حمراء داكنة يتحدث عن أحد أخطر القضايا في البلاد وكان نصّه "قبضة الشرطة الحديدية تقطع أذرع الجريمة"

***

جذبه العنوان على الرغم من اعتياد الصحف على اختيار العناوين الصادمة واعتياده على قراءتها، سارع بفتح صفحة التفاصيل فقرأ: "انتصار آخر حققته الشرطة كما اعتادت على الانتصارات، أبلغت الاستخبارات الشرطية قائد الشرطة بوجود منظمة ستستهدف شخصيات عامة لتحقيق

أغراض شخصية، على الفور أمر قائد الشرطة الضباط والمتحرّين بالبحث عنهم والتعامل معهم، ولما قاوموا أمر الاعتقال اضطرَّ الضباط لتصفيتهم جميعًا كما تمكنوا من القبض على الرأس المدبر للمنظمة ويقبع الآن في المعتقل لحين التحقيق معه"

***

مرّ ببصره إلى آخر المقال إلى أن قرأ "انتظروا تحقيقات أخرى خلال أسبوع" ثم أبصر صورة فوتوغرافية أسفل المقال ودقق النظر بها حيث كُتب أسفلها "جثة أحد المجرمين من أعضاء المنظمة" كانت الصورة تخص جثة أحدهم بعدما وجدتها الشرطة ملقاة في إحدى المناطق المهجورة والذي تطابق مع الصورة التي وصلتهم، لم يكن المعمل الجنائي قد بدأ فحوصه بعد إلا أن قائد الشرطة قد سارع بنشر الخبر حتى يزيد نفوذه وسمعته الطيبة بين العامّة، وأرى الرجل الصفحة بالتي تليها فقرأ نبأً قد كتبه محرر آخر ينص على "هل كان مقتل رجل الأعمال الشهير بمنزله بسلاح ناري له عَلاقة بالمنظمة التي تم تصفيتها؟

كشفت تحقيقات الصحيفة أنه بعدما قُبض على الرأس المدبّر للمنظمة وفحصه تبيّن أن السترة التي كان يرتديها قد تطابقت أزرتها مع الذي وجدته الشرطة بحديقة المنزل، القضية التي حيّرت الكثير من المحققين قد استطاعت شرطتنا الباسلة كشف طلاسمها وسيتم التحقيق مع المجرم في قضية المنظمة ومقتل رجل الأعمال كلٌ على حِدَة"

***

مرّ ببصره على باقي الصحيفة التي شغل معظمها تحقيقات مختلفة عن الحادث، بعضها يكشف تورط المجرم المذكور في عمليات موسّعة في أنحاء العالم وآخرها محرر قد كتب تحقيقًا يتهمه فيه بسرقة أسلحة تخص الشرطة لاستخدامها في الأعمال الخاصة بالمنظمة، قطع قراءته صوت إحدى سيارات الشرطة في موكب يحمل أحد المسئولين الكبار من مساعدي القائد قد قصد المبنى الإداري للشرطة، وصل المسئول الإدارة وولج المبنى منتفخ صدره من النشوة، وصل إلى مكتب القائد وألقى عليه السلام الحار ثم جلس قائلًا: لا أحد في البلاد بأسرها أسعد منك اليوم، كيف حالفك الحظ في***

قاطعه القائد قائلًا: الحظ لا يحل قضايا الشرطة، إنما الصبر والذكاء وشيء من المكر، بالإضافة إلى التخطيط الصحيح، كل شيء بحساب.

المسئول: وكل هذه العناصر نعلم نحن والعامّة بتوافرها فيك ونثق بقدراتك لأبعد حد.

***

ضحك قائد الشرطة لِضحك غروره وضحك معه الآخر، بضع دقائق مرّت قبل استئذان جندي المكتب للدخول فأذن له القائد، فتح الباب وولج مؤديًا التحية العسكرية ثم وضع ظرفًا صغيرًا على المكتب وانصرف، أخرج القائد ورقة مطوية من الظرف وفتحها فقرأ: "لقد تعودت على الوفاء بالعهد وقد أوفيت بوعدي، أدركت ذلك لما قرأت العنوان الذي تصدّر صحف

اليوم، أشكرك على التزامك باتفاقنا"

***

أغلق الورقة وأعادها داخل الظرف ووضعها بجيبه فاستدركه المسئول قائلًا: يبدو أنه أحد خطابات التهنئة.

القائد: نعم، أهم خطاب قد يصلني بعد رحلة طويلة من العناء.

***

لم يتفهّم المسئول قصده وارتخى القائد على مَقْعَده يبصر صورته المعلّقة على الجدار المواجه للمكتب، عشر أعوام مضت على بقاءه في منصبه ولم تمر به عاصفة كالتي انتهت، أغلق عينيه يفكر في أعوام أخرى سيبقى فيها بمنصبه بفضل هذا الانتصار، بضع دقائق مرّت قبل استدعائه من قِبل الرئيس لاجتماع عاجل، على بُعد ليس بكبير من المبنى الإداري بُنيت المشرحة، انتهت العاصفة إلا أن القدر قد دبّر توابع أخرى قد تقلب الموازين رأسًا على عقب، ولج الطبيب المختص بالتشريح مكتبه وجلس مشعلًا لفافة تبغ قبل بَدْء عمله، حضر مساعده حاملًا تقريرًا يخص أعمال اليوم وأسماء الجثث التي أتت إلى المشرحة هذا الصباح، حدّق بها حتى انتهت لفافة التبغ من احتراقها ثم قام قاصدًا غرفة التشريح، ألقى بصره على جميع الجثث بدقّة حتى استوقفته آخر جثة وصلته وكانت جثة أغسطس، أطال النظر لوجهه في شعوره بشيء ما بهذه الجثة، شيء لم يبصره من قبل على مدار مسيرته المهنية ولم يكن يعلم ماهيته، همَّ أن يبدأ عمله إلا أن نداء أحد المساعدين قد استوقفه

ينبئه بوجود شخص ما قد افتعل مشاجرة حتى يخرج الطبيب إليه، تعجّب الطبيب من أمره وخرج نازلًا على درج المشرحة فأبصر تجمّعًا بسيطًا حول شخص أدرك أنه المقصود، هرول الطبيب إلى وسط التجمع قاصدًا الرجل وتوقف الرجل عن الشجار قائلًا: اتركوني حتى أتحدث مع الطبيب.

لم يمتثل الناس لأمره حتى أمرهم الطبيب بمثله فتوقفوا وانصرفوا إلى أحوالهم، لما انفضّ الناس عنه أبصره الطبيب فاتسعت عيناه رعبًا ودهشة وتراجع إلى الخلف شاخصًا بصره بوجهه والرجل يبتسم ابتسامة واسعة، لقد كان وجه الرجل مطابقًا لوجه جثة بالداخل، لقد كان أغسطس!

***

لم يقترب أغسطس من الرجل حتى لا يزيد رعبه ويركض هاربًا وإنما طلب منه أن يهدأ حتى يوضّح له الأمر، هدأ الطبيب قليلًا وارتخت عيناه من جحوظها فقال أغسطس: اتبعني فلدينا اتفاق لا بد من أن نتمّه.

دفع الفضول الطبيب إلى الامتثال لأمر أغسطس فتبعه حتى توقّف أغسطس والتفت قائلًا: أعلم أن ما تراه الآن لن تراه مجددًا حتى في أحلامك وأقدّر توترك ولكن اهدأ، فوجودي أمامك يعني أنني ما زلت على قيد الحياة.

الطبيب مرتعدًا: كيف، من أنت، ومن الذي بالداخل؟!

أخرج أغسطس لفافتي تبغ ومدَّ بأحدها إلى الطبيب في إشارة وديّة حتى يزيد هدوئه، تردد الطبيب في أخذها وانتظره أغسطس حتى قرر وأشعلها

ناظرًا له منتظرًا أن يقول ما لديه، أشعل أغسطس خاصته ثم قال: أرى في عينيك الذكاء والشجاعة، وحتمًا قد أبلغك ذكائك أني أستطيع فعل أي شيء بعد هذا الحدث، سأعقد معك اتفاقًا بسيطًا يدرأ عني الشر وينفعك.

لم يرد الطبيب فاستأنف أغسطس: لست مضطرًا إلى التطرّق لتفاصيل لن تفيدك لذا سأدخل في صُلْب الأمر مباشرة، أعلم أن جثتي بالداخل وأنت على وشك فحصها، كل ما هو مطلوب منك هو ألا تخبر أحدًا أن هذه جثة رجل آخر بعد تمام فحصها.

شرد الطبيب متذكّرًا شعوره الغريب تجاه الجثة بالداخل فاستأنف أغسطس: يجب أن تعلم أن شخصًا قد صنع جثته وهو حي قادر على صنع آلاف الجثث، ولكنّي أفضّل الحلول السلمية دائمًا قبل غيرها، ماذا تريد مني مقابلًا؟

ظلَّ الطبيب على صمته يفكّر، أدرك أن هذا الرجل ليس لديه ما يخسره بل إنه قد يخسر حياته إذا لم يتعاون معه، قطع تفكيره حركة أغسطس لمّا فتح السيارة التي تخلفه وأخرج حقيبة جلدية أُغلقت بصعوبة، ثم مدّ يده بها قائلًا: هذه الحقيبة تحمل ربع ألف ألف دولار، نصيبك لقاء هذه الخدمة.

***

صمت أغسطس معطيًا الفرصة لعقل الطبيب أن يأمره بأخذ الحقيبة، بعد تفكير سريع مدَّ الطبيب يده يلتقط الحقيبة فاستأنف أغسطس: لقد اخترت الاختيار المناسب.

ولج أغسطس السيارة وأدار محركها، فقال الطبيب: إذًا من الذي بالداخل؟!

أغسطس: اكتشف بنفسك، وداعًا.

***

انطلقت السيارة مسرعة تشق الهواء ليعصف بملابس الطبيب الهائم على وجهه من الصدمة، استدار عائدًا إلى الطريق تتخلله نظرات من كانوا في المشاجرة ولم يلتفت لهم، فتح سيارته ووضع بها الحقيبة ثم عاد إلى المشرحة، عرج الدرج يتحضّر لمفاجأة أخرى ستواجهه، هرول إلى غرفة التشريح ونظر إلى الجثة يحاول كشف غموضها حتى لاحظ خطًا بالغ الدقة بين وجه الجثة وعُنقها، أقبل إليها ووضع يده على وجهها وأحكم قبضته على شعره وجذبه لأعلى فانخلع الوجه بكامله في راحته فتراجع إلى الخلف قليلًا، ثم أبصر وجهًا قد أُغلقت منافذ أنفه وفمه بإحكام شديد، رفع رأسه لأعلى مبتسمًا ابتسامة واسعة تحولت إلى ضحك وهو يلعن ذلك الرجل الماكر ويحسده على عقله الشيطاني، ظلَّ على وضعه حينًا ثم بدأ عمله حتى انتهى منه ثم أعاد الوجه المستعار لمكانه كما كان حتى وارى الوجه الحقيقي للجثة، وجه إبرام سارق اللوحات.

الثانية صباحًا..

الطريق الطويل الضيق لا يُرى آخره من التواء تفاصيله وتفرعاته الأضيق منه، لاح ظل سترة أنيقة من أحد تفرعاته ثم اقتحمت الطريق، تسير بخُطى واثقة تقصد بيتًا لا يطل مدخله على الطريق فتضطر إلى الدخول من خلف أحد البيوت لتجد بوابته، لا يضيء الطريق سوى مصباح يطل بزاوية تعكس نوره على أرضه اللامعة إلى أعين البشر محددة معالمه، لم يكن بحاجة إلى مصباح آخر حيث ثمة لا أحد قد مر به منذ وقت ليس بالقليل، عرجت السترة الدرج وقد انتابها الإجهاد الذي يصيب البشر إذا أدركوا مقر راحتهم من فراش أو منزل وقد مر وقت طويل بعد آخر مرة خطت قدماها هذا المكان، أدركت البوابة فركلتها بقدمها فافتتحت كاشفة عن فناء ضخم ومداخل تنفذ إلى عدة غرف حواها المنزل، سارت إلى آخر الفِنَاء وانعطفت يمينًا إلى أحد المداخل لتبصر مَقْعَدًا يتقدمه مكتب عتيق يحوي بضع أوراق ودواية حبر قد نفدت مع آخر ورقة قد كتبها، أبصرت عيناها مظروفًا ذا طلة رمادية داكنة ينتظره أن يفتحه، كانت السترة تحوي أغسطس وتنوب عنه في أعماله الحيوية لما تعاطى من الكحول القدر الكافي لشل حركة جسده الإرادية، تراجعت قدماها إلى المرحاض فأهالت على وجهه ماءً باردًا تحاول مساعدته لاستعادة وظائف عقله، استعاد منها عينه فقط ولم يكن بحاجة لأكثر من ذلك، أعادته إلى المكتب وجلس ناظرًا إلى دواية الحبر بابتسامة تجلى

فيها إعجابه بنفسه ودقتها، طالما كان تقديره لكمية الحبر دقيقًا حيث ينفد بعد انتهاء كل خطاب أو أمر حتى أنه ذكر نفاد الحبر تمامًا بمجرد أن كتب آخر كلمة في خطاب أخيل مما أزاد ابتسامته اتساعًا وبريقًا، كان قد أوصى أعضاء المنظمة ليلتها باجتماع طارئ في مقر الاجتماع الأول وسبقهم إليه على غير عادته من التأخر، حوّل بصره عن الدواية قليلًا ثم التقط المظروف فقرأ ما كان عليه:

"خاص بالزعيم، تقرير عملية (نهر السين) "

كان ذلك اسم العملية كما اختاره أغسطس وأخبر به عمران، استعان برمز الصليب المعقوف إذا كان الخطاب للأعوان أو العيون كعلامة تدل على صدور الخطاب منه وبالنجمة الحمراء رمز الجيش الأحمر السوفيتي إذا كان المقصود بالخطاب الأعداء، حر الخطاب من أسر المظروف وفتحه ليقرأ:

"تقرير العملية:

الأعضاء المشاركين: (جاد – يصهار – ماندي – أغسطس – سام – عمران – نيرو)

عدد الأهداف المرصودة: سبعه أفراد.

تم تصفية: (أخيل – سيرون – بنجامين – هيلينا – إبرام – فيليب)

تقدير العملية: ناجحة.

الخسائر: مقتل سام والقبض على قاتله سيليون.

***

كان المتعاهد عليه بين أغسطس ومن قاموا بالعملية ألا يصل أحدهم إلى الآخر أو يجري معه أي صورة من صور الاتصال إلا بعد انتهائها في وقت لم يقدّره أغسطس كحد أقصى لانتهائها، ترك المظروف وارتحى على مَقْعَده يرمق لوحة (نهر السين) منتشيًا بالنصر، مرت بضع دقائق قبل أن يستخرج بندقيته الآلية مصوبًا فوهتها تجاه الباب لما سمع صوت أحدهم يفتتح باب المقر تحسبًا للخطر، ولج الأعضاء رافعين أيديهم عاليًا فأنزل بندقيته تبعتها أيديهم ثم جلس الجميع إلا ماندي التي ركضت إلى حيث يجلس ولطّخت فمه بأحمر الشفاه الأنيق ثم عادت إلى مَقْعَدها، تنحنح أغسطس قائلًا: أودّ أن أهنئكم على شجاعتكم وانتهاء العملية بفضلكم.

نيرو: بل أودّ أنا أن أشكرك على تلك الخُطَّة المحكمة فلولاها لما عدت لحياتي السابقة.

أومأ أغسطس مبتسمًا ثم رمق جاد في ثبات، تنحنح الأخير قائلًا: أين سام؟ لماذا لم يحضر الاجتماع؟!

رد عمران الذي أعد التقرير الخاص بالعملية والذي جند أعداء المنظمة لصالحهم حسب توصية أغسطس: لقد فقدناه، سبقه سيليون وقتله ثم اعتقلته الشرطة وحمّلته كافة الجرائم التي تمت.

صمت جاد متعجبًا من حضور أغسطس، بل كان متعجبًا أنه دعاه إلى الاجتماع بعدما رأى صورة جثته في الصحف، ظن لوهلة أن أغسطس هذا

شيطان مريد لا يموت أبدًا ثم استدركته نفسه باحتمال فشل الشرطة في مهمتها ولفقت الأكاذيب حول موته ولم يعلم أغسطس بالأمر فحضر الاجتماع كأن شيئًا لم يكن، تظاهر بالصدمة لما سمع موت سام لما كان بينهم من صداقة، رمقه أغسطس بمكر يقول: أخبرني عن يدك التي فقدت أصابعها.

جاد: لا شيء، حادثة تسببت في قطعهم.

أغسطس: ولماذا تبقى الإبهام ولم يتبع أقرانه؟!

جاد: هذا نصيبه أن يعيش حينًا آخر.

لم يرد أغسطس ونظر إلى نيرو قائلًا: كم أعطى لك قائد الشرطة؟

نيرو: ألف ألف دولار.

أغسطس: هل أحضرتهم معك؟

نيرو: نعم.

مَدَّ يده جوار مَقْعَده ورفع الحقيبة التي تحوي المال على المكتب وفتحها، رمقها الجميع من بينهم أغسطس الذي ضحك من غباء ذلك القائد مرتعش اليد، ثم قال الأول: هذه جميعها لكم ولا أرغب في نصيبي، فما قدمتموه لي أثمن بكثير من تلك الحقيبة بما فيها.

نظروا جميعًا إلى نيرو الذي كان أرق قلب فيهم، وما كان ليقتل أخاه لولا ما فعل به وقد طلب أن ينهي مهمته بيده لعدم تحمله ذلك الخطب الجلل من قتل أحدهم ممن لا يعرفهم، أغلقها أغسطس قائلًا: هذه نصفها لكم

ونصفها لي، وعلى كل منكم أن يعطيني ثلثي ما في تلك الحقيبة من ماله الخاص وينتهي الأمر.

لم يعارض أي منهم نسبته ومنهم من حضر بأموال ودفاتر الشيكات حتى ينهي الأمر مرة واحدة، أخذ نصيبه من اثنين وأخبره الآخرون أن أمواله ستروح له غدًا أو بعد غد، أومأ الأول برأسه إيجابًا حين رمق أحدهم لوحته ثم قال: ما أجمل تلك اللوحة، أهي لك سيد أغسطس؟!

أغسطس بشرود: هذه ثمرة أعظم الأمور في حياتي وحياة الكثيرين، وما كانت تلك الخُطَّة إلا لأستعيدها فقط

تعجب الحضور من عظمة تلك اللوحة في نفسه أو أن أحدًا على استعداد لصنع مثل تلك الخُطَّة الشيطانية من أجل رسم مجرد، مَدَّ أغسطس يده أسفل المكتب قائلًا: بقى شيء واحد لا أعلمه، رمق جاد واستأنف: هلّا تخبرني عن علاقتك بهيلينا؟! لا بد من أنها قصة حب كبيرة.

تعجب جاد من ذلك السؤال فلم يكن أحد على علم بعلاقته بهيلينا إلا القليل، هم أن يرد فاستوقفه عقله يتكهن علم إحدى العيون أو أغسطس نفسه بالأمر، لعل أحدهم حدثه بأمر علاقتهم ثم تواصل عقله يربط الأحداث حتى توصل إلى سبب وجود سام في أحضانها حين قتلها، تلعثم متظاهرًا بالجهل لما تذكر قائلًا: لا شيء، كانت مجرد صديقة.

أغسطس: صديقة! وكيف تقتل صديقتك بعد ما انقطعت علاقتكم؟! لا بد من أنك تحبها وانكسر قلبك.

جاد: وماذا بعد؟ ماذا تريد أن تقول؟!

أغسطس: أود أن أثنى على موهبتك الفذة في التصوير بالرسم، لقد كانت أفضل صورة لي رأيتها في حياتي.

انفرج فم جاد واستأنف الأول: ألم أقل لكم أنني أراقبكم جميعًا؟! هل ظننت أنني أعبث معكم.

لم يتغير وجه الأخير فاستأنف: على أي حال لا تحزن، ففي كل دقيقة تمر تقترب قدماك من نهايتك حيث ستمكث مع سام وهيلينا أبد الدهر، في الجحيم.

اندفع الأدرينالين في جسده ثم استخرج أغسطس بندقيته وسط بلاهة بدت على الجميع وأفرغ ذخيرتها في صدر الأول، وقام الجميع فارين ظنًا منهم أنه سيقتلهم ثم قال: الآن ستلقاهم، أبلغهم مني السلام أيها الخائن.

الثانية صباحًا..

عاد الهدوء للمدينة بعدما فارقها شهورًا طويلة ربح بها من ربح وخسر بها من خسر، في أوائل نسمات كانون الأول الذي أظل البلاد بتراكمات الثلوج المتزاحمة وغيوم كست السماء وحرمت مظاهرها من التجلي لأهل الأرض، الجرامفون يصيح بصوت موريس شوفالييه الذي كان غناؤه مرافقًا لغناء الطلقات وقصف المدافع، قام أغسطس من رقدته يرمق البومة التي ترتجف من شدة البرد من تقدم الأيام بها على الرغم من فرائها الكثيف، كان قد خرج من البيت وأخبر ماندي أنه ذاهب لقضاء حاجة وسيعود عند الثانية، أقبل إلى أحد الأدراج وأخرج بذلة عسكرية قديمة، البذلة التي كادت تكلفه حياته في محاولة إخفائها، احتل شعار النازية أوسط ذراعها الأيسر الذي كان يُشعره بالفخر ثم رمق لوحة نهر السين وهي تتوسط الجدار ثم رفع يده أمامه يحيي روح قائده الفوهرر، خرج من باب تلك الغرفة ليجد ماندي تشاهد التلفاز الذي كان رمزًا للثراء في ذلك العصر، رمقته بفزع تحول لتعجب شديد، لقد خرج أمامها من باب المنزل ثم عاد من باب إحدى الغرف في المنزل، قامت منفرج فمها تنشد تفسير ما ترى من سترته النازية فاستدركها بقوله: نعم أنا أغسطس، أحد أفراد الكتائب الألمانية التي احتلت فرنسا في الحرب.

وقد تمت إعادة لوحة "نهر السين" إلى وارث بيسارو الشرعي بعد العثور عليها مع أكثر من ١٥٠٠ قطعة فنية وأخرى أثرية قد نهبها النازيون في منزل بميونخ يملكه رجل يدعى "جورليت"

***

توفي جورليت في مايو من عام ٢٠١٢ حيث عادت مقتنياته لأحد المتاحف السوسرية للتحري عن أصولها.

***

إن إنفاق الغرب الغالي والنفيس من أجل أعمال فنية مجردة على الرغم من إيمانهم بحكم المادة البحت وإهمال الشرق لتلك الأعمال على الرغم من اعتقادهم الراسخ في الروحانيات لهو أسمى تجليات التناقض البشري.

تمت